

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان الأطروحة:



جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
UNIVERSITE CHADLI BENDJEDID - ELTARF



جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
UNIVERSITE CHADLI BENDJEDID - ELTARF

الدراسات الشعبية الأكاديمية في نماذج من الجامعات الجزائرية "دراسات في الموضوع و المنهج"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث

التخصص: دراسات شعبية و لسانية

إشراف الأستاذ الدكتور:

رشيد حليم

الشبة: دراسات أدبية

إعداد الطالبة:

أحلام سلامي

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	أستاذ التعليم العالي	أ-د عبد اللطيف حني
مشرفا ومقررا	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	أستاذ التعليم العالي	أ-د- رشيد حليم
عضوا ممتحنا	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	أستاذ محاضر (أ)	أ-م بروكة حولي
عضوا ممتحنا	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	أستاذ محاضر (أ)	د-نوال عاتي
عضوا ممتحنا	جامعة محمد العربي التبسي - تبسة-	أستاذ محاضر (أ)	د-صبرينة بوقفة
عضوا ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 -سكيكدة-	أستاذ محاضر (أ)	د-نجوى بوقادوم

السنة الجامعية 1444-1445هـ-2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدعاء

اللهم ألهمني علماً أعرف به أمرك و أعرف به نواهيك، وارزقني اللهم
بلاغة فهم النبيين، وحفظ المرسلين، وسرعة إلهام الملائكة المقربين،
وأكرمني اللهم بنور العلم وسرعة الفهم، وأخرجني من ظلمات الوهم
افتح لي أبواب رحمتك.

شكر و عرفان

من أي أبواب الشاء سندخل وبأي أبيات القصيد نعبر،
وكل لمسة من وجودكم و أكفكم للمكرمات أسطر كنتم كالسحابة معطاءة،
سقت الأرض فاخضرت،
كنتم ولا زلتم كالنخلة الشامخة تعطي بلا حدود،
نزف إلى سيادتكم الموقرة تحية عطرة معبقة برياحين الجنة على جهودكم المضنية
التي بذلتموها في سبيل إرساء دعائم هذا البحث.
إلى كل من

الأستاذين الفاضلين :

الأستاذ الدكتور حليم رشيد و الدكتورة إيمان نوري

جزاكم الله عنا أفضل ما جزى العالمين المخلصين
وبارك الله فيكم و أسعدكم أينما حطت بكم الرحال
شكرا جزيلا لكم.

إهداء

إلى من رسم لي الهدف... ونبه عليَّ أن لا أكفُ...
أن أوصل الصعود في درب العلا نحو الأفق...
في الوقوع أن أرمم جراحي وأكفكف دموعي وأقف...
تعلمت منه الشجاعة والبسالة والكرم...
وقعت معاك عقدا لمشروع يومها فرحت أيما فرح...
ألححت علي أن اقتطع معك وعدا...
لبتني لم أوقع ولم أقل تركتني في بداية المشوار ولم تقل...
نعم تركتني وتركت جرحا في الفؤاد غائرا لن ولم يندمل...
غيابك يا معطف أمان أرقني وأثقل كاهلي وأفل...
جاهدت أن انتشل حلمك من الأعماق من السقم بل قتلت نفسي حتى أصل...
حلم أدمه بين أضلعي وفي فؤادي وفي مهجتي...
أرجو منك المعذرة يا معلمي دراستي لم تكن كالمعتاد يا مؤنسي...
لم تتعيني الدراسة بقدر ما أهكني غيابك أنت سندي...
نعم كل يوم وفي كل وقت وفي كل حين في يقظتي وحلمي أنت معي في كل تفاصيل حياتي أنت معي...
كنت أتجرع مرارة فقدك خوفا أن لا أصل إلى مبتغاك يا ملهمي...
وصلت نعم فعلتها ووصلت يا قدير عيني إلى "الدرجة العالية" التي حلمت بها...
اليوم أقف على مشارف تخرجي... أقف بين أهلي وأساتذتي...
أقف وحدي يا أبي ألا تسمعي، استنجد بك، أريد أن أستند على كتفك،
أريد أن احتتمي بظلك، أن تلبي النداء، لماذا يا أبي كغير عادتك صامت تركتني أشلاء ممزقة...
وقفت أبحث عنك يا أبتى لم أجذك أردت أن أرتقي في حضنك، أن أشم رائحتك،
أن أشبع عيني برؤيتك،
أن أشعر بالأمان بوجودك...
الكل حضور أين أنت يا أبتى؟ ألا تعلم أن حضورك أنت يغني عن الكل؟
لماذا تركتني أصارع وحدي يا أنيسي في وحدتي... أناجيك أناذك أن تشد عضدي...
أناذك أسمع صدى صوتك في أذني لا يفارق مخيلتي.. كغير عادتك يا جنتي لم تلبي النداء...
ها أنا اليوم يا على مشارف تحقيق حلمك يا ملهمي...
وصلت إلى مبتغاك، حققت حلمك، وفيت بوعدك، طمعا في لقاءك يا أبتى...
أبارك لك هذا الإنجاز يا أنيسي في وحدتي ويا رفيقي وصحبي ويا من يشد بعضدي...
أتمنى أن يعجبك هذا عملي يا معلمي وإن أخفقت أرجوا أن تسامحني يا أبتى...



مقدمة



- مقدمة :

شهدت العلوم الفولكلورية الشعبية في الآونة الأخيرة طفرة علمية نوعية ما أهلها أن تكون محطّ اهتمام الدراسات الأكاديمية، أين أولت عناية فائقة بموادها بالبحث والجمع والدراسة، فكثّف الباحثون في هذا المضمار جهودهم، ووفّروا الإمكانيات اللازمة، وهبوا هبة واحدة من أجل العودة لدراسة المقدرات الشعبية التي تحمل بين أعطافها زاداً معرفياً وثقافياً ثقيلاً الوزن يساعد كثيراً في بناء شخصية الفرد على أسس شعبية ذات سلوك قويم، فارتأى المتمرسون في هذا الميدان إلى وجوب دراستها من جوانب علمية ومنهجية تعيد لها الاعتبار وتضعها في مصاف العلوم الأخرى.

إن فكرة إدراج الثقافة الشعبية كاختصاص قار بذاته له قواعده وأسسها ضمن المقررات الدراسية الأكاديمية مبادرة طيبة تحفظ جلّ ما تواضعت على إنتاجه وصياغته الطبقات الشعبية من منطلق أن الإنسان ابن بيئته لا يمكنه أن يحيا بمعزل عنها، بل أنها متجذرة فيه ترافقه أينما كان وأينما ولى، على أساس هذا أقيمت لها كراسي في الجامعات وأعدّت لها متاحف وطنية، وأنشأت لها مخابر داخل الجامعات الأكاديمية وخارجها تعنى بها وتحف موادها بالجمع والدراسة.

إذا ما ولجنا عالم الفولكلور والأدب الشعبي نصطدم بكمّ لا بأس به من الموضوعات التي نسجت على منواله، فالموضوع الواحد منها تدرج تحت لواءه العديد من الأنواع الأخرى أبرز مثال على ذلك الأغنية الشعبية لها أنواع مثل أغاني الأعراس، أغاني الحتان، أغاني العمل...، هذا التنوع لا يقف عند هذا الحد بل يتعداها إلى مواضيع أخرى كالحكايات والقصص والسير الشعبية، كلها وعلى اختلاف مواضيعها بتعدد أنواعها كانت تجسّداً حياً لما يتعايش معه الشعب، عبّرت عن آماله وأحلامه نسجت تفاصيلها تبعاً للحالة النفسية، فكانت المتنفس الذي يلوذ

إليه لتفريغ المكبوتات التي تتراقص بداخله، يسكبها في قوالب إبداعية تنم عن جودة في التعبير ورفعة في الذوق وغاية في السبك والصياغة نسجت مواضيعها بدقة وتفاني كبيرين أعطت صورة ناصعة البياض على مدى حنكة وحكمة أجدادنا في صياغة تراكيبها.

إن التّّوع في إيراد مواضيع الأدب الشعبي أمر مفروغ منه لأن الطبيعة البشرية حتمت ذلك، وبالتالي مرده إلى عديد الأسباب التي تكاثفت جميعاً من أجل إنتاج مواضيع مختلفة ترصد اهتمامات الشعب وتضمّنها بين دفاقتها، نلمس مظاهر التّّوع في المواضيع بصفة جلية في الدّراسات الأكاديمية التي احتوته وهيأت له الظروف المناسبة من أجل استجلاءه من رحمه، فهو لا يتعامل معها كمادة جامدة بل ينغمس في لججها لاستنطاق كوامنها وفهم محتواها.

إشكالية بحثنا تقوم على مساءلة التّّوع في المواضيع والتّّعدد في المناهج التي تناولت الأدب الشعبي في بعض الجامعات الجزائرية، بعد أن لمسنا وجود اختلافات جلية بين الأطاريح المنجزة بحسب مقتضى الموضوع الذي بصدد معالجته، و على أساسه تم اختيار مناهج تنوّعت بين الخاصة بالفولكلور والدّخيلة عليه، تساؤلات عدّة تقال في هذا الشأن حول أي المواضيع أصلح في الدّراسة الأكاديمية العليا؟ وهل أبان التّّوع في مواضيع تلك الأطاريح عن محتوى وطموح الإنسان الشعبي في تعاملاته مع بني محيطه؟ وهل وجب علينا أن نعتمد على مناهج خاصة بالفولكلور فحسب؟ أو بإمكاننا إدخال مناهج حديثة عليه؟ ثم أي المناهج أصلح في دراسة المواضيع؟

إشكاليات عدّة تصاغ في هذا المقام حاولنا الاستتباب خلفها واستجلاء أبعادها في هذا البحث الذي نتمنى أن يكون قد لامس جميع النقاط العريضة للبحث.

يحاول البحث أن يكشف اللثام عن مواد التراث الشعبي ومدى حركتها داخل المنظومة الموضوعاتية والمنهجية، في كشفها عن مغزاه وأغراضه باستخدام آليات علمية ممنهجة تفصح عن المضمون مباشرة وتعرب عن الهدف الذي أودى بالباحث لانتهاج هذه التقنية، من هذا المنطلق جاءت فكرة تأسيسنا لموضوع البحث الموسوم بـ: "الدراسات الشعبية الأكاديمية في نماذج من الجامعات الجزائرية - دراسات في الموضوع والمنهج -"

وقع اختيارنا على هذا الموضوع بالذات نظراً لحدثة البحث في ميدان الدراسات الأكاديمية في مجال الأدب الشعبي، فعادة ما يكون البحث عنها في كتاب أو في رواية أو في بحوث ميدانية، غير أننا خالفنا الأمر وفضلنا السير عكس التيار، نزولاً عند طلب المشرف في هذا المسار الذي اقترح اختيار هذا الموضوع نظراً لانعدام البحث فيه، ونظراً لجدته وحيويته شاطرناه الرأي وعزمنا أن نتم مسيرة البحث في هذا المضمار.

نظراً لتنوع وثراء مواد التراث الشعبي بمواضيع عدّة ومناهج متنوعة سجلنا حضورها في بعض الدراسات العربية كدراسة نبيلة إبراهيم الموسومة بالدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، دراسة فوزي العنتيل المعنونة الفولكلور ما هو؟ محمد الجوهري الموسومة بعلم الفولكلور، دراسة أحمد علي مرسى مقدمة في الفولكلور وأحمد رشدي صالح بمنجزه الأدب الشعبي، دراسة عبد الحميد بورايو الأدب الشعبي الجزائري، محمد سعيدي بكتاب الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، أمينة فزاري بمنجزها مناهج دراسات الأدب الشعبي.

استدعى التعامل مع هذا الموضوع اختبار ثلاث مدونات أكاديمية تعنى بدراسة التراث الشعبي من ثلاث جامعات جزائرية مختلفة كل وموضوعه ومنهجه الذي خط

به مسار بحثه، فكانت بذلك منطلقاً لاتباع خطة بحثية مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: افتتحنا المذكرة بمقدمة أجهلنا فيه جلّ ما تم التطرق له في فصول المذكرة الموسومة بالدراسات الشعبية الأكاديمية في نماذج من الجامعات الجزائرية (دراسات في الموضوع والمنهج) صغنا تركيبها بحسب الترتيب التالي:

المدخل: قدّمنا فيه الدراسات الشعبية الجزائرية مع إيراد تقسيماتها من إقترح أو (اجتهاد) الباحث عبد الحميد بورايو، مع ذكر أشكال التعبير الشعبي الجزائري وأقسامه...

الفصل الأول: كان امتداداً للمدخل أين توقفنا عند محطات مهمة كالحديث عن الأدب الشعبي والتراعات القومية والسياسية في أوروبا ومظاهر الاهتمام به، كما تحدثنا عن واقع هذه الدراسات في الدول الغربية (فرنسا، بريطانيا، إنجلترا، أيرلندا الجنوبية...)، وأهم العوامل التي أسهمت في تشييد صروحه، تتبعنا السير في ذات الصدد لكن هذه المرة نحو وجهة الدول العربية (مصر، العراق، سوريا، ليبيا، تونس، الجزائر) درسناها بذات الشاكلة لنخلص في ختام الفصل إلى تضمين ملخص للفصل.

الفصل الثاني: خصصناه لدراسة "نماذج من موضوعات الأدب الشعبي في الجزائر"، لهذا فقد حظي هذا الجانب بالنصيب الأوفر من الاهتمام أين أولينا العناية بالدراسات الأكاديمية التي أقيمت على شرف الأدب الشعبي الجزائري، فأخذنا بزمام "الأغنية الشعبية في الجزائر — الشرق الجزائري نموذجاً" للباحث: عبد القادر نطور اعتمد فيه الباحث على جمع مادته التطبيقية ميدانياً؛ استوقفنا جميع محطاتها درسناها وقدّمنا لها قراءات أخرى وأثرينا معاول البحث فيها كونه موضوع حيوي يشدُّ القارئ إليه شداً لمزيد الانغماس فيها واستجلاء أبعادها.

بذات الشكل سرنا في موضوع "التشكيل الفني في ديوان" الشيخ عبد القادر بلطيجي" والذي اعتمد فيه الباحث "عبد اللطيف حني" مدونة ورقية للديوان

كان من جمع وإعداد: عبد القادر غلام الله تتبعنا مسار المذكرة وتوقفنا بين فصولها وبين طيات أسطرها بالبحث والدراسة.

إلى غاية وصولنا إلى مذكرة "توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشعاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)" اعتمد فيها الباحث "جلال خشاب" على مجموعة من الصور المشكلة للخطابات الاشعارية المغاربية ثلاثة تخص الكسكس كمنتوج غذائي (كسكس "سيم" في الجزائر، "العولة" في تونس، "داري" في المغرب)، وأخرى تخص مجال الاتصال (نجمة في الجزائر، تونيزيانا في تونس، ميدياتيل في المغرب) قدمنا فيها مجموع قراءات لصور المنتجات المدرجة بين صفحات المذكرة.

الفصل الثالث: "خصصناه لدراسة أهم المناهج المتبعة في دراسة المدونات" السالفة الذكر أين راح كل باحث يدلي بدلوه في بناء مسار بحثه، ففي دراسة "الأغنية الشعبية" أقر الباحث بأنه استفاد من مجموع المناهج الخاصة بميدان الفولكلور العالمي (المنهج الجغرافي التاريخي، النفسي، الوظيفي، الأنثروبولوجي)، أما عن المناهج الدخيلة عن مناهج الفولكلور فوجد المنهج الفني الأدبي، والوصفي هذا الأخير اعترف الباحث بأنه أكثر جلاءً من سابقه.

أما الأستاذ "عبد اللطيف حني" في مدونة التشكيل الفني في ديوان "الشيخ عبد القادر بلطيجي" فقد استعان بالمنهج التاريخي من منطلق أن الفولكلور علم تاريخي، وهو أحد مناهج الفولكلور منهم من أبقى عليه لوحده وآخرون فضلوا ربطه بالمنهج الجغرافي، تم توظيفه في دراسة حياة الشاعر، كما اعتمد الباحث على المنهج التحليلي الفني من باب أن المادة الشعرية ثرية بمواطن الجمال هذا ما فرض عليه أن يغمس بين فصوله لتحليله وشرحه جمالياً وفنياً كدراسته للتشكيل الجمالي للصورة الشعرية بتعدد أنواعها (كالصورة التشبيهية، والاستعارية، والكنائية، والبصرية...) درس الباحث جلّ التركيبات المشكلة للأبيات الشعرية في الديوان ملحقاً إياها بتحليل وشرح

للمفردات وصولاً إلى تشكيل الملامح الجمالية العامة له، من جهة أخرى استعان الباحث بالإحصاء والمتمثل في تضمين الدائرية النسبية كإحصاء أكثر المواضيع تواتراً في الديوان.

أما بخصوص مدونة توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشعاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) فقد فضل الباحث السير على خطى المناهج الجديدة أين استعان بالمنهج السيميائي تمثل حضوره عبر كافة فصول البحث فمزج بين الموروث الشعبي القديم قدم وجود الإنسان وشّح إياه بلباس جديد مثله الخطاب الاشعاري، ركز في المقام الأول على الصورة الاشعارية المرئية التي تحوي بين دفتها أبعاد رمزية ودلالية تمت بصلة كبيرة للموروث الشعبي الحضاري للدول المغاربية؛ فركز على مجموعة من التشكيلات اللسانية كتوظيف سيميائية الفضاء البصري، سيميائية الصورة، سيميائية الألوان...

الخاتمة: وظفنا فيها حوصلة شاملة لما ورد في متن البحث، كما عددنا مجموعة من التوصيات تراوحت بين الخاصة والعامة؛ فالأولى تدعو إلى وجوب التعمق والبحث الدؤوب عن موضوعات الأدب الشعبي من كل ربوع الوطن، لأنها ما تزال تزخر بمواضيع عديدة تستحق الوقوف عندها مطولاً بالبحث الجاد والدراسة المستفيضة، وبالتالي إذا ضمن الدّارس وجود هذه المسلمات حق له بأن يدرس هذه المواضيع بأي المناهج قديمة أم جديدة، المهم أن يبقى محافظاً على جوهر ولبّ هذه الموضوعات، أما في الثانية (العامة) فقد وجهنا دعوة لجميع فئات الشعب إلى وجوب الالتفاف حول قضايا المقدّرات الشعبية لوجوب صياغة أطلس فلكلوري يختص بدراسة واحتواء هذه المواد قبل أن تضيع أجزاء أخرى منها.

أمام ما تتميز به مواضيع الأدب الشعبي من مرونة في تعاملها مع الأوضاع والظروف المحيطة واحتواءها ومجاراتها بمناهج متنوعة أين كشف اللثام عن عديد

القضايا التي تشغل بال الإنسان الشعبي، وللتعبير عن مختلف هذه القضايا فرضت علينا طبيعة الموضوع أن نستند في بناء عماد بحثنا إلى مجموعة من المناهج بدائتها بمنهج نقد النقد بهدف مناقشة الموقف النقدي ذاته وفحصه، كما تم الاستعانة بالمنهج الوصفي والتحليل والتفسير.

ألحقنا كل ذلك بملخص واحد باللغة العربية وآخر مترجم إلى اللغة الإنجليزية، ثم انتقلنا إلى إيراد فهرس الموضوعات التي تطرقنا لدراستها، وختمنا إياها بقائمة المصادر والمراجع.

تجشمت كثيرا قبل أن أُلج غمار هذا الموضوع الذي وجدت فيه صعوبة كبيرة أثناء تعاملتي معه ليس لسبب قلة المراجع أو ندرة، الصعوبة تكمن في عدم استيعابي فكرة دراسة وتحليل وتقديم البدائل والمقترحات في مدونات أساتذة أكفاء لهم باع كبير في البحث والتدريس الأكاديمي وبخاصة في ميدان الأدب الشعبي الجزائري، هي إذن تجربة جديدة وجريئة أندلف تحت لواءها وكانت لقامات أكن لهم كل الحب والإحترام والتقدير.

لوما أن أستاذي المشرف الذي اقترح عليا الموضوع وأصر أن لا أغیره وأن أوصل البحث في هذا المضمار ما كنت طرقت بابه، لكن يبقى الخير فيما اختاره الله عز وجل، ونأمل أن يقدم هذا البحث إضافة لميدان تخصصنا بصفة خاصة ولطلاب العلم والمعرفة بصفة عامة.

من هذا المنبر أهدي إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره وأهدى بالجواب الصحيح خبرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء وبرحابته سماحة العارفين، إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور : "حليم رشيد" الذي حرص منذ البداية على متابعة البحث فلم يتوانى للحظة في أن يقدم نصائح وتوجيهات تعينني في مساري البحثي، فكان في كل مرة يخيم عليا الفشل والإحباط إلا وثار في وجهي صارخاً كأنما ابتته بأن

أنتبه وأواصل الدّرب وأحقق حلم أبي الذي طال أمده، أشكر كذلك الأساتذة
الدكتورة بل الأخت التي لم تلدها أُمِّي "إيمان نوري" التي لم تبخل عليا بأي جهد
بتوجيهاتها السديدة التي رافقتني طيلة صفحات البحث وإلى غاية إرساء دعائمه،
أستاذاي الفاضلان لكم مني كل الحب والتقدير لما بذلتموه من جهد في سبيل إخراج
هذا البحث المتواضع إلى النور، في الأخير:

نسأل الله المولى القدير العون والتوفيق والسداد في كل ما يحب ويرضى.



مدخل:

الدراسات الشعبية الجزائرية تأسيسها و أشكالها.

- توطئة.

- أولا: بدايات الدراسات الشعبية في الجزائر.

- ثانيا: أقسام الأدب الشعبي الجزائري .

.



- توطئة :

قبل أن نلج إلى دراسة نماذج من الأعمال الشعبية الأكاديمية الجزائرية استوقفنا عديد التساؤلات بخصوص البوادر الأولى لميلاد الأدب الشعبي في الجزائر وكيفية ظهوره، ثم من أوجده؟ ولماذا ظهرت هذه الدراسات في فترات متأخرة رغم امتلاكها قاعدة ضخمة من التراث الشعبي من حيث العدة و التعداد؟ ما الأسباب الدافعة إلى صياغة معالم الأدب الشعبي؟ هل وجودها نابع من نوازع ذاتية أم وطنية؟ هل صورت هذه الانتاجات فعلاً الواقع الشعبي؟

بما أن الثقافة الشعبية في أبسط معانيها تدل على التراكم الثقافي الذي أوجدته المخيلة الشعبية، ارتبط وجودها بوجود الإنسان الأول ومازال متواصلاً حتى الوقت الحاضر، صور مختلف الإبداعات التي توارثها من الأسلاف سواء كانت مادية أو غير مادية، كما جسّد فيها ارتباطه الكبير بأرضه ودفاعه المستميت عن حاضره ومستقبله، وشكل جسراً تواصلياً رافق الجماهير الشعبية في جميع مطبات حياتها في أفراحها وأقداحها.

في هذا الخضم كانت الإبداعات الشعبية العربية ضئيلة خاصة إذا ما تم مقارنتها بالدراسات الغربية؛ يعود هذا لعدة أسباب بعضها ظاهراً والآخر خفياً وفي كلتا الحالتين ضاعت الكثير من الأعمال الشعبية وحالت هذه الأوضاع دون إرساء معالم هذا العلم، أما عن أبرز الأسباب التي زادت إلى المعلول علّة وإلى الطين بله وحجبت الرؤية عن الشعب الجزائري للإلمام بمقدراته هي الحروب وحملات الاستيطان التي حلت بأرض الجزائر وكان أخطرهما على الإطلاق هو الاستعمار الفرنسي.

كان أهم ما يسعى المجتمع الجزائري لتحقيقه آنذاك هو ضرورة افتكاك تأشيرة الاستقلال من المستعمر الغاشم وقطف ثمار الحرية مهما كلف الأمر، فكانت هذه العقبة إيذاناً بانطلاق البدايات الأولى للاهتمام بالمواد الثقافية الشعبية في الجزائر من طرف المؤسسة الرسمية الاستعمارية في العصر الحديث إلى بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد في الربع الثاني من القرن التاسع عشر.

أولاً : بدايات الدراسات الشعبية في الجزائر:

الثقافة الشعبية الجزائرية أول من بادر بدراساتها ليس الجزائري بل أن المستعمر الفرنسي كان السباق في إيلاء الاهتمام بها بعد أن لمس فيها مواطن الجودة والصياغة المنظمة والتركيب المحكم.

من الأبحاث التي نشرت في السنة الأولى من تاريخ الاحتلال، "ما كتبه ضابط الشرطة دوبنيوسك D'AUBIGNOSC في مجلة باريس REVUE DE PARIS تحت عنوان- مدينة الجزائر- قدّم فيها تفاصيل عن أساليب حياة الحضر في الجزائر، كما سجل عدد من الضباط ملاحظاتهم حول مشاهدتهم في المناطق التي نزلوا بها، ونشروها فيما بعد على شكل مذكرات أرفقوها بذكرياتهم عن الغزو العسكري وبالحديث عن ملامح من أخلاق العرب." (1)

أول من تلقف الثقافة الشعبية الجزائرية بالدراسة هم العساكر الفرنسيين، مستخدمين آليات ديناميكية فعالة لبسط نفوذها عليهم والاندماج في أوساط الفئات الشعبية ودراسة عقليتهم وإبداعاتهم، ومن ثمة نشرها في المجلات التابعة لهم بغية تعريف المحتل بالشعب الجزائري، وارتأى البعض منهم إلى نشرها في

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2007، ص 07.

مذكرات مرفقين إياها بذكرياتهم خلال الاحتلال¹ مع وصف الملامح العامة لأخلاق المجتمع الجزائري آنذاك.

"وقد جند الباحثون العسكريون أقلامهم للكشف عن هذه الجماعات الدينية وطرق تنظيمها وممارستها ومعتقداتها وأعضائها، فنشر الضابط أ.دونوفو E.DENEVEUX كتاباً عن أعضاء الطريقة مسجلاً معلوماته وملاحظاته عنهم، كما ألف الكولونيل ك.تروميلييه C.TRUMULET كتابين عن الأولياء الصالحين بالقطر الجزائري وأضرحتهم، والمعتقدات المتصلة بهم كما سجل فيهما مجموعة من القصص الشعبي المتعلقة بكراماتهم"⁽¹⁾

الاستعمار الفرنسي ترك بصمة خالدة في اتجاهات البحث العلمي التي تناولت الثقافة الشعبية وأدرجتها ضمن جدول أعمالها، ظهرت انعكاسات هذه السياسة جلياً في توجّهات الباحثين ومناهجهم واختيار عينة الدراسة كمثال على ذلك: الجماعات الدينية و الممارسات الشعائرية الصوفية التي احتلت مكانة بارزة في أوساط المجتمع الجزائري، فكانت هذه التوجّهات محلّ اهتمام الباحثين العسكريين، أين تناولوا هذه المواضيع بجمع المعلومات ودراساتها وتحليلها واستنتاج أهم الملاحظات منها، ورصد أوجه الاختلاف الموجودة بينها.

بانتهاى الحرب العالمية الأولى شهد المجتمع الجزائري موجة تحديثات مسّت جميع الجوانب بداية من فكرة الوطنية، وصولاً إلى ازدياد عدد المهاجرين في أوروبا وقوفاً عند جمعية العلماء المسلمين وما تبعها من نزاعات عن الطرق الدينية والمعتقدات التي تقوم بنشرها هذه الجماعات.

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 09.

أمام هذه التغيرات اتجه البحث العلمي الاستعماري نحو الماضي وبالضبط إلى الثقافة الشعبية المادية فقام بدراسة المساكن الأهلية والحرف والصناعات التقليدية والفنون التي ابتدعها المجتمع؛ في حين بعد أن تخلّى العسكريون الفرنسيون عن مشاريع البحث تسلمت هيئته التدريس بالتعليم العالي بالجزائر المهمة التي كانت موكلة إلى الفرنسيين، وتزعمت هي الرئاسة في ظلّ المقدرات الكبيرة التي اكتسبها من التوجه الاستعماري لمناهج التعليم، جعلتهم يسيرون وفقها ولا يخرجون كثيراً عن البنود العريضة بالمناهج التي أقرتها الإدارة الاستعمارية.

الأدب الشعبي الجزائري لم ينل حظوته من الاهتمام في فترة الاستعمار، وحتى إن وجدت دراسات فقد كانت عبارة عن تخمينات أولية لم تلم بجميع جوانب الحياة الشعبية وبمقدارها بل أنها تصلح للكشف عن سلوك الإنسان الجزائري وردود أفعاله فحسب.

بعد جمع النصوص من طرف الباحثين الغربيين، يتم ترجمتها أول الأمر ثم يعلقون عليها ويفسرون الإشارات المتعلقة بالمعتقدات، وهم لا يهتمون بجمع النصوص فحسب، بل يهتم بمحتوى المضامين الاعتقادية، كما أن عملية جمع النصوص تم تغييب عنصر التوجيه العلمي فيها ليتحكم في صيرورتها عاملي الصدفة والارتجال، "فكان الباحثون الفرنسيون وبصفة خاصة العسكريون الذين انفردوا بميدان البحث طيلة القرن التاسع عشر لم يكونوا ينظرون إلى الثقافة الشعبية الجزائرية بوصفها مختلفة فحسب بل أنهم لم يكونوا يخفون احتقارهم لحملة التراث وشعورهم بالاستعلاء اتجاههم".⁽¹⁾

⁽¹⁾ عبد الحميد بوراويو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 16.

قلل الباحثون الفرنسيون من شأن الثقافة الشعبية الجزائرية و اعتبروها متخلفة، محتقرين حاملي التراث مزدريين المقدرات الشعبية في حد ذاتها، وبالتالي بقيت الدراسات الشعبية تدور في حلقة مفرغة قابضة في مكان واحد دون أن تتحرك ساكناً، ولم تستطع أن تلتحق بالركب الحضاري الذي شهده العالم، مما جعل هذه الدراسات تفتقد إلى العديد من المرتكزات، كافتقارها للتطور النظري والمعالجة المنهجية الدقيقة، مما جعلها تكتسي حلة الانطباعات الفردية والعفوية التي لا تحتكم لأسس منهجية.

بدأت الحركة تدب بين العلماء الجزائريين في دعوة منهم إلى وجوب العناية بالتعليم كونه صمام الأمان لحفظ الدول ومدخراتها من الزوال، تكونت بذلك حركات تعني بالتعليم والعلماء وإبداعاتهم، لوما دخول المستعمر الذي كسر شوكتها وحال دون نموها لتخليهم عنها والاهتمام بتحرير البلاد، لكانت الجزائر السباقة في هذا المضمار، وقد كان "عبد الرزاق بن حمادوش نموذجاً بارزاً للمثقفين الذين اعتنوا بالتقاليد الشعبية في مجال الطب الشعبي، فانفق جزء من حياته في جمعها وتصنيفها وقدمها في كتابه الشهير "كشف الرموز" الذي ظل متداولاً في مختلف مدن المغرب العربي طيلة القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين"⁽¹⁾

مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت الدراسات الشعبية الجزائرية تنتعش وتأخذ مجراها الطبيعي لازدهار الشعر الشعبي، ولم تدم الفرحة طويلاً لتصطدم الدراسات الشعبية بوضع أمر من سابقتها وسبب تفهقها يعود إلى ما قامت به السلطة الفرنسية من تدمير شامل للمؤسسة الثقافية، "ولولا الإحتلال

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 21.

الفرنسي لأخذت الحركة في التوسع والنمو ولسبقت الجزائر أخواتها بالنهوض و التخلص من ظاهرة الجمود⁽¹⁾

يمكن أن نوعز أسباب تأخر الجزائر للعناية بالثقافة الشعبية إلى ما قام به الاحتلال الفرنسي في محاولة منه لمحو المؤسسات الثقافية والعلمية الموروثة، لأنها تشكل خطراً بالنسبة لها وتحول دون إرساء دعائم ثقافتها بقضائها على هذه المنشآت التي سوف تضمن صيرورة ثقافتها وبالتالي الاستحواذ عليها، أما عن السبب الثاني فيكمن في هجرة الأدمغة الجزائرية المتمكنة من التعبير باللغة العربية نحو المشرق.

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تجلّت بعض أعمال المثقفين المتكونين في مدرسة المعلمين بمدرسة بوزريعة من بين هؤلاء؛ " نذكر عمار بوليفة الذي تفرغ لدراسة اللهجات البربرية وآدابها، وينتمي لنفس الجيل العلامة محمد بن شنب الذي تخصص في التراث العربي الإسلامي واهتم في نفس الوقت بالأمثال الشعبية فنشر مصنفاً هاماً لها، كما كتب عن اللباس الشعبي عن بعض التقاليد في المدينة العتيقة القصبة (الجزائر)"⁽²⁾

من بين المثقفين الجزائريين الذين تبنا دراسة التراث الشعبي الجزائري نجد كل من عمار بوليفة محمد بن شنب الذين أولوا اهتماماً بالغاً بهذا النوع من الدراسات وأنتجوا بشأنها مصنفات تعنى باحتوائها ودراستها وتوثيقها والتعليق عليها؛ بقرب نيل الجزائر لاستقلالها الوطني برز توجهين ثقافيين أولها الحركة الإصلاحية الدينية التي لم تكن تولي اهتماماً بالثقافة الشعبية، فيما كانت تشغل برد الاعتبار للغة

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1، 1998، ص 19، 20.

(2) عبد الحميد بوراويو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 24-25.

العربية وتعاليم الدين الإسلامي، أما التّوجه الثاني فقد انشغل رجاله بقضايا التنمية وبناء الاقتصاد الوطني الجزائري.

الثقافة الشعبية الجزائرية لم يكن لها نصيب من الاهتمام إلا في ظل الهيئة الموروثة من العهد الاستعماري في نهايات احتلاله للجزائر، أطلق عليه تسميته بمركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا في عصور ما قبل التاريخ والأثنولوجيا، وكان يولي اهتمامه بالعناصر المادية المتمثلة في النقوش والحفريات والعناصر الغير مادية مثل الأغاني والأمثال والبوقالات، أما عن حال الثقافة الشعبية الجزائرية في الأوساط العلمية فقد أتت أكلها في فترات متأخرة بعد أن قضى المستعمر عن كل ما يمت بصلة لتاريخ الجزائر بالتحديد التراث الشعبي، "في الجامعة الجزائرية فقد ظلت بعض مواد الأنثولوجيا مبرمجة في قسم علم الاجتماع إلى غاية السبعينات." (1)

في الجامعات الجزائرية ظلت الأنثولوجيا فرع من فروع الأنثروبولوجيا هذه الأخيرة تولي اهتمامها بدراسة المجتمعات الإنسانية كلها في حين تهتم بدراسة الأعراق البشرية من خلال ثقافتها، وكان علم الاجتماع الحاضنة الشرعية لها حتى بداية السبعينات، وتم إبان هذه الفترة إعادة إصلاح برامج التعليم وفق الخطة التي وضعتها الدولة في برامج العلوم الإنسانية.

تم إدراج تدريس الأدب الشعبي ضمن اختصاص اللغة العربية وآدابها، في حين أن تدريس مادة الأدب الشعبي ضمن مواد اللغة العربية كان تبعاً لما أقرت به الطبقة الشعبية المسيطرة على مقاليد الحكم للفئات الرسمية على اعتبار أن اللغة العربية تشغل دوراً ثانوياً بين العلوم الأخرى خلال تلك الحقبة، هذا ما يؤكد أن

(1) عبد الحميد بوراويو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 29.

نهاية الستينات عند بدايات تأسيسها كان مدعوها يميلون أكثر نحو الاتجاه التربوي الإصلاحي الإسلامي.

في سبعينات القرن الماضي عرف التراث الشعبي تراجعاً كبيراً في المجال الأكاديمي الجامعي، مرجّين أسباب تقهقر هذا النوع من الدراسات استناداً لما جاء في زعم الحداثيين وفكرهم منصب على مواكبة التقدم، على اعتبار أن العالم كل يوم يأتي بأفكار جديدة، لهذا على الفكر البشري أن يقتلع لباس التخلف والدعوة إلى بعث العلم نحو الركب التكنولوجي الحديث.

عكس ما دعت إليه الأطروحة الأولى ومجاراتها لتقدم الحاصل في العالم ومواكبته، دعت الأطروحة الثانية إلى وجوب التماسك بالتراث الشعبي ونشره بين الأجيال الصاعدة باعتباره عنوان لأصالتهم ورباط وثيق لانتمائهم.

أما عن حال الثقافة الشعبية الجزائرية في النصف الثاني من القرن العشرين فقد مستها تغيرات جذرية وهذا راجع إلى العديد من التحولات التي أصابت المجتمع الجزائري وحالت دون ربط أواصر التواصل الثقافي من جملة هذا التحولات.

تكاثفت جهود الدراسيين باحثين ومنظرين لدراسة هذا النوع من الثقافة بوضع خطة محكمة تعنى بالدرجة الأولى بجمع مواد التراث الشعبي من أفواه الشعب لا تكون حكراً فقط على منطقة بعينها ، بل يلزم أن تشمل عملية الجمع لجميع مناطق الوطن وتوكل بعد ذلك لمراكز البحث الانثربولوجي والمخابر ووحدات البحث بأقسام علم الاجتماع والأدب؛ مهمة دراستها وتحليلها وترتيبها وتصنيفها بغية لمّ شمل هذه الدراسات في أطلس خاص بمواد الثقافة الشعبية الجزائرية ومن ثمة إنشاء أرشيف وطني يعنى بهذه المواد وفق ما سارت عليها دول العالم.

وثانيا العناية بالبحث اللساني المتعلق بجميع اللهجات الجزائرية سواء منها العربية أو الأمازيغية عن طريق مخابر البحث والأقسام الجامعية المعنية ومراكز البحث المشار إليها، وكذلك عن طريق الهيئة التي اقترحنا تأسيسها ينطلق هذا البحث من منهجية علمية مناسبة تشمل مختلف الظواهر.

على التوجه اللساني أن يكون حاضراً في مثل هكذا مناسبات تحثي بدراسة اللهجات المحلية الجزائرية على اختلافها وتنوعها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال نحو الجنوب وسواء كانت اللهجات عربية أم أمازيغية سيكون لها نصيب من الدراسة إذا ما تم تأسيس مخابر أقسام جامعية ومراكز تعني بها وتضع لها خطة منهجية تلمّ بمختلف الظواهر اللهجية بعد تحقيق تكافؤ بين العلوم الاجتماعية في دراسة عدد منها.

و اقترح عبد الحميد بورايو و كثير من الباحثين المهتمين بالدراسات الشعبية إلى ضرورة الإسراع بوضع خطة لدليل ميداني يساعد جامعي مواد التراث والدراسين على تنفيذ عملية الجمع المنظم، "يعمل هذا الدليل على تحديد تفضلات مواد الثقافة الشعبية وحدودها، وينتقل في ذلك من الكليات إلى التفريعات والجزئيات، ويمكن الاستفادة في هذا المجال من الخبرات العالمية التي سبقتنا إلى مثل هذه الدليل، خاصة منها تلك التي تقع في محيطنا الثقافي والحضاري." (1)

خطة العمل الميداني ستساعد كثيرا جامعي مواد التراث على الجمع المنظم، وقد أيد بعض المختصين والباحثين هذه الفكرة ودعوا إلى وجوب تكاثف الجهود

(1) عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية، تاريخ والقضايا والتجليات؟، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، دط، دت، ص38.

لإنشاء دليل يحوي مواد التراث الشعبي وحدودها مع الاحتذاء بخبرات السابقين من دول العالم وخاصة منها التي تقع في محيطنا الثقافي والحضاري.

"والواقع أن ازدهار الآداب والفنون الشعبية ينشأ ويتطور وفق عوامل البيئة وتفاعل الإنسان معها فيسجل الإنسان ذلك و يدون تجاربه وفق المنطوق المواكب لها، ومثل هذا أيضا بدأت اللهجات الأخرى لعوامل البيئة فتباينت آدابها وثقافتها بتباين بيئتها"⁽¹⁾

أما عن تقسيمات الثقافة الشعبية في الجزائر فهناك بعض الاجتهادات التي قدمها الباحث " عبد الحميد بورايو " ويرى بأنه مجرد اقتراح⁽²⁾، نقدمها في هذا البحث لأهميتها العلمية.

1-العادات والتقاليد الشعبية وتشمل:

أ-دورة الحياة: (الميلاد، الختان، الزواج، الوفاة).

ب- الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العام:(الأعياد الدينية، الأعياد الوطنية احتفالات المناسبات الزراعية).

ج- المعاملات الاجتماعية الاعتيادية بين أفراد الجماعة:

الاستقبال، التوزيع، الضيافة علاقة الصغير بالكبير، علاقة الغني بالفقير، علاقة الذكر بالأنثى، علاقة الحرفيين فيما بينهم العلاقات الأسرية، علاقة الجيرة العلاقات بالغريب، آداب المائدة، فضّ النزاعات والتحكيم...

2-الأدب الشعبي وفنون المحاكاة:

⁽¹⁾ محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، الحجار، عنابة، الجزائر، ج1،

2013، ص55

⁽²⁾ ينظر: عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية تاريخ والقضايا والتجليات؟، ص38، 39، 40.

تشكل من قصص البطولة، قصص المغازي، قصص البطولة البدوية، قصص الزهاد، قصص الأولياء، قصص الخارجين عن القانون، قصص المقاومين والثوار، قصص التاريخ المحلي...، الأساطير الحكايات العجيبة، الحكايات العجيبة الخالصة، حكايات الجنّ والعفاريت، حكايات الأغوال (الأغبياء) الحكايات الشعبية وحكايات المغازي (الحكايات المرحية، الواقعية، المعتقدات، الحيوان)، الشعر الجمعي (شعر المناسبات، الشعر الموجه للأطفال، الشعر النسوي، الحوفي، شعر البوقالات...)، الشعر الملحون شعر الحكمة، شعر المآثر التاريخية، شعر الأغاني (أغاني المناسبات، أغاني الأفراد المبدعين أمثال عيسى الجرموني، لونيس آيت منقلات، الأغاني الموجهة للأطفال، المدائح الدينية، الأذكار، بكائيات المراثي والمآتم، الأغاني الأندلسية، الأغاني الشعبية (العاصمية) أغاني العمل... الأمثال، الحكم الأقوال السائرة الألغاز، النداءات، النوادر، الأخبار، الأعمال الدرامية، (حلقة المدائح، الأرجواز، بوغنجة، السكتش الأداء التمثيلي الغنائي...).

3-المعتقدات والمعارف الشعبية:

تشتمل المعتقدات والمعارف المتعلقة بالظواهر الكونية (السماء، الأرض، الكواكب...) بالحيوان، بالنبات، بالزّمان، بالأحجار والمعادن، بالأماكن، بالإنسان، بالطب الشعبي، بالأحلام، بالسّحر، بالكائنات الماورائية، بالألوان، بالأعداد، بالروح، بالطهارة والنجاسة، بالبدايات والنهايات، بالاتجاهات في برؤية العالم...

4-الفنون الشعبية والثقافة المادية:

تحتوي على الموسيقى (الموسيقى الأندلسية، الشعبية العاصمية، البدوية، الصحراوية، الموسيقى البدوية للغرب الجزائري، موسيقى أولاد نهار، موسيقى

الحواضر، الموسيقى القبائلية الريفية، التيندي، موسيقى المناسبات الدينية الموسيقى المصاحبة للغناء، الموسيقى المصاحبة للإنشاد الديني، موسيقى أهل الديوان، الموسيقى المصاحبة للرقص...، الآلات الموسيقية (آلات النفخ، الآلات الوترية، آلات الإيقاع...، الألعاب الشعبية (الكرة، الفروسية، البارود، المبارزة بالعصا السباق... فنون التشكيل الشعبي (الأشغال اليدوية المختلفة، صناعة الحلبي صناعة أدوات الزينة، النسيج صناعة الأدوات المتزلية، فن العمارة الشعبية، صناعة الدمي، صناعة التعاويذ، الوشم، الرسوم الحجرية والرملية والحدارية... أدوات العمل الزراعي، الأدوات المتزلية، الحرف، الصناعات الشعبية (صناعة الزرابي، الفخار الحلفاء...)

- ثانيا : أقسام الأدب الشعبي الجزائري :

ينقسم الأدب الشعبي الجزائري إلى قسمين أساسيين هما النثر الشعبي والشعر الشعبي.

1- النثر الشعبي: يشتمل النثر الشعبي على الأنواع التالية:

- الأسطورة: جنس أدبي تحاكي أزمنة غابرة تتحدث عن تفاصيلها وأحداثها وتبحث عن أصل وجود الأشياء والآلهة والكون والأرض وكل ما عليها، والحياة والموت.

- الحكاية الشعبية والخرافية: في الثقافة الشعبية الجزائرية "تقابل لفظة حكاية شعبية لفظتا حكاية وخريفة بحيث نسمع العبارات حاجيني يا جدي وخرفني يا جدي و المقصود الدلالي واحد احكي لي حكاية أو قصة."⁽¹⁾

⁽¹⁾ محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، سلسلة دروس جامعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1998، ص55.

والخرافة الشعبية الجزائرية شكل قصصي موضوعها تفسير الظواهر الطبيعية (التي يصادفها الإنسان العامي) في سياق تربوي يهدف إلى تعليم من تشبع بينهم وسائل العيش والاندماج في المجتمع عن طريق إيجاد سبب الظواهر الطبيعية التي يصادفها.

-الحكاية الخرافية:

هي تجربة وقعت لبطل بعد سلسلة من المغامرات تلعب فيها الخوارق دورا بارزا تترجم هذه الدور من خلال حركية الجن والعفاريت والغول.

-النكتة الشعبية (الفكاهة أو النادرة الشعبية):

النكتة نتاج أدبي ينبع من الاهتمام الروحي الشعبي شأنه شأن الحكاية الخرافية والأسطورة واللغز إلى غير ذلك ولكنها تتميز عن هذه الأشكال بأنها قد تعين في يسر على تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما...

-اللغز الشعبي الجزائري الأحجية/المحاجية:

"اللغز الشعبي جنس أدبي قائم بذاته له أصوله ومقوماته الفنية واللغوية والبلاغية فهو يعبر عن الأشكال التعبيرية الشعبية الأكثر شيوعا كالمثل والنكتة"^{١١}

كلما زاد وعي الإنسان في إدراك ما حوله زاد إدراكه لصياغة ألغاز تحوي اختلاف وائتلاف للأوضاع المعاشة ممزوجة بطعم الفكاهة مفادها لا تتبني توقعات واهية على عنصر اللغز ولا تتوقع منه شيئا.

نماذج من الألغاز الجزائرية: حاجيتك ماجيتك.

(1) محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 97.

- حاجيتك ماجيتك: صَحْنُ نَظِيفٍ لَا يَأْكُلُ فِيهِ لَا الْبَايُ وَلَا الشَّرِيفُ يَأْكُلُ فِيهِ غَيْرُ لَمْرِيضٍ بِالْعَلَّةِ وَالْخَارِجُ عَلَى الْمَلَّةِ الْحَلَّ: شهر رمضان.
- حاجيتك ماجيتك: تَبْدَأُ بِالسَّيْنِ وَمَا هِيَ سِلْسَلَةٌ وَلَا سِكِينٌ وَأَوْلَادُهَا السِّتِينُ الْحَلَّ: الساعة.
- حاجيتك ماجيتك: رَاجِلٌ مِسْتَرْجَلٌ مِتْغَطِي بُورْقُ السَّفَرَجَلِ مَكْتُوبٌ بِالْوَهْرَانِي وَيَعِيطُ يَا الْعَالَمُ أَرْوَاحُ أَقْرَانِي الْحَلَّ: الأفعى أو ما يطلق على تسميتها باللهجة الشعبية الحنش.

:- المثل الشعبي:

المثل جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتجهد في الحكمة والموعظة و المثل الشعبي قد يكون خلاصة لقصة أو حكاية ولا يفهم معنى المثل الشعبي إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل الشعبي عن مضمونها.

نماذج من الأمثال الشعبية الجزائرية:

- قَدَهَا قَدْ الْقَوْلَةُ وَصُوتَهَا قَدْ الْغَوْلَةُ.
- اللَّيِّ مِتْغَطِي بِنْتَا ع النَّاسُ عَرِيَانُ.
- الصُّوتُ الْعَالِي وَالْمَرْبُطُ خَالِي.
- مِنْ الْبَرِّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَمِنْ الدَّاخِلِ يَعْلَمُ اللَّهُ.
- نَخَافُ نَحْرَكَ يَا غَرْبَالِي يُطِيحُ مِنْكَ اللَّيِّ حَسَبْتُو غَالِي.
- إِلِي عَيْنِيهِ فِي الرَّبِّحِ الْعَامِ طَوِيلُ.

- السيرة الشعبية (قصص البطولة أدب البطولة):

السيرة حكاية شعبية وملحمة طويلة موضوعها البطولة والفروسية، وتدور أحداثها حول تاريخ واقعي لصاحبها؛ 'والسيرة الشعبية ليست مجرد قصة

حياة بطل أو جماعة بقدر ما يعني بها التّغني وتمجيد سيرة الجماعة أو البطل الذي ألفت حوله الأمة حقق أمانها، وهي تاريخ وأدب، فهي تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له أهميته الموجهة للأحداث في عصره، أو جماعة لعبت في تاريخ الشعب أو الإنسانية دورا ذا أثر.⁽¹⁾

أهم السير الشعبية العربية:

- سيره عنتر ابن شداد العبسي.
- سيره بني هلال.
- سيره الأميرة ذات الهممة.
- سيره الزير سالم أبو ليلى المهلهل.
- سير سيف بن ذي يزن.
- سيره حمزة البهلوان.
- سيره الملك الظاهر بيبرس.

– المغازي:

عرفت الثقافة الشعبية الجزائرية أدب البطولة والمتمثل في المغازي انتشر هذا النوع من القصص كالنار في الهشيم خاصة فترة احتلال فرنسا للجزائر أعجب الباحثين الفرنسيين بهذا النوع الأدبي فكتبوا هذا الموضوع بالدراسة. من أسباب عودة هذا الأدب إلى الساحة العلمية الجزائرية يمكن رده إلى أسباب نفسية بالدرجة الأولى تكمن في اللا استقرار الذي كان يكابده المجتمع الجزائري في سبيل تحرير أرضه من قبضة الاستعمار الغاشم في حين لا تعرف بالإنتاج الثقافي والعلمي للدول المستعمرة.

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية، المكتب الجامعي الحديث ، مصر، دط، 1993، ص97.

سابعاً: قصص الأولياء:

هي قصص تحكي عن "كرامات الأولياء الصالحين وتجسد الإنسان النموذج القابل للاحتذاء، والذي تصلح أعماله لأن تكون هدفاً للمحاكاة، لأنها تتسم بالفضيلة والبطولة في نفس الوقت وتحقق له الولاية عن طريق العمل الصالح المصحوب بالكرامة"⁽¹⁾

- 2 - الشعر الشعبي الجزائري:

- تاريخ العناية بالشعر الشعبي الجزائري:

حظي الشعر الشعبي الجزائري بعناية فائقة من بداياته الأولى جمعاً وتدويناً ودراسة مرد هذا إلى الجهود التي بذلت في سبيل معالجته إلى توجيهين:

* التدوين والتوثيق والتعليق وتسجيل الانطباعات.

* التصنيف الوصف والتحليل.

تم الاعتناء بالشعر الشعبي الجزائري في فترة متأخرة نوعاً ما عن باقي دول العالم ويمكن رد هذا التأخر إلى عديد الأسباب حالت دون إرساء دعائم هذا العلم، غير أن الركود لم يدم طويلاً حتى تلقف الباحثين الشعر الشعبي من أفواه الشعب وإحاطاته بالدراسة ومن ثم النشر والتعليق عليه وإبداء الانطباعات حوله كان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر عندما عثر الدارسون على مجموعة من النصوص التي نشرت باللغة الفرنسية، وكانت هذه الأشعار تحاكي وقائع الاصطدام المحتدم بين الجزائر وفرنسا.

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية، ص 127 .

أول من جمع الأشعار الجزائرية وسلط عليها الضوء بالدراسة هو المستعمر الفرنسي الذي وجد في هذه الأشعار ما يستحق الدراسة نظير ما تحتويه من موضوعات جديرة بالبحث الجاد.

كانت إنتاجات الشاعر الشعبي الجزائري موجهة بالأساس إلى ما يتعايش معه الناس إبان الاستعمار فقد صور فيه أنواع الاضطهاد والظلم المسلط على الشعب، مضمناً إياه جلّ انشغالاته وتصورات من الثورة وما لحق منها من تبعات كانت تكلفتها غالية راح ضحيتها أكثر من مليون ونصف مليون شهيد، ثمن غالي دفع من أجل استرداد الحرية، ففي فترة الاستعمار توالى الدراسات حول الأشعار الشعبية الجزائرية.

وفي فترة ما بعد الاستقلال تم جمع عدد من القصائد تعالج بعض الأغراض مثل: شعر المقاومة، شعر الثورة المسلحة.

- مناهج دراسة الشعر الشعبي الجزائري:

بعد أن نالت الجزائر الاستقلال بدحر المستعمر أولت المؤسسات العلمية الأكاديمية اهتمامها بالشعر الشعبي وهيات له المناخ الملائم ووفرت له الإمكانيات اللازمة وتضافر الجهود لجامع شتات الأشعار من أفواه الشعب حتى لا تضع أكثر، فسعى الدارسون كل حسب تخصصه وبالطريقة التي يراها هو مناسبة لمقام الجمع والدراسة فهذا نشرها في شكل كتب وآخر في شكل مطبوعات وآخرون فضلوا جمعها في رسائل جامعية ويمكن رد هذا إلى ثلاث توجهات كبرى.

أ- الدراسة الميدانية: هذا الجانب يفرض على الباحث التّروّل إلى ارض الواقع (الميدان) وجمع مادة موضوع الدراسة من أفواه جمهور الشعب المنتجين أو المرددّين أو الحافظين لها، هذه الطريقة تلزم على الباحث إتباع جملة من الإجراءات تختلف

فيما بينها، فإذا كان جامع المادة في غير المنطقة المقيم فيها الجامع كان عليه لزماً أن يقيم في هذه المنطقة في الأغلب الأعم تستغرق شهر فأكثر حتى يتمكن الجامع من معرفة اللهجة والطقوس الممارسة العادات والتقاليد الخاصة بهم ومعرفة طريقه تفكيرهم معتقداتهم، أما إذا كان الجامع يأخذ عينة أشعاره من بيئته ستكون المهمة سهلة لأنه في قلب الحدث وتمثل جزءاً من محيطه الثقافي الشعبي، ونستحضر هنا كنموذج لهذا التوجه دراستين هما؛

— "الشعر الشعبي الجزائري في سيدي خالد (ولاية بسكرة الجزائر) من 1850-1950 وعلاقته بالتراث الثقافي العربي الإسلامي أعدها الباحث أحمد أمين (بحث لنيل شهادة الدكتوراه كلية الآداب بجامعة أكس - مرسيليا سنة 1983 باللغة الفرنسية).

- شعراء ذوي منيع الشعبيون (تراجم ونصوص) من إعداد بركة بوشيبة⁽¹⁾

ب- الدراسة الفنية (الشكلية):

هذا التوجه يعني بالأوزان الشعرية والقوافي وبصورة عامه البناء الشكلي للقصيدة؛ من بين الباحثين الذين اهتموا بهذا الجانب (الشكلي للقصيدة) نجد: "كتاب أحمد طاهر الموسوم بالشعر الشعبي الجزائري (الملحون) إيقاعه وبحوره وأشكاله (أطروحة دكتوراه قدمت في جامعة السوربون بباريس)⁽²⁾

ج- الدراسة السوسيو ثقافية:

هذا الجانب من البحث تركز الدراسة فيه على المجتمع الشعبي بثقافته الشعبية، فمن خلال المجتمع تفسر أسباب ميلاد الأشعار وتولي الاهتمام بجانب معين كمثال على ذلك الأشعار الشعبية التي تحدثت عن الثورة؛ أما بخصوص

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 49

(2) المرجع نفسه، ص 51

الأبحاث التي صيغت تبعاً لهذا التوجه نجد دراسة: "تسعديت ياسين للإنتاج الشعري عند أحد شعراء منطقة القبائل الصغرى، وهو عبارة عن بحث ذي طبيعة أنثربولوجية يتضمن مميزات الشعر الشعبي الجزائري"⁽¹⁾

يتميز الشعر الشعبي بعده سمات سنقتصر على ذكر بعض منها:

- من حيث الأسلوب يتميز: ببساطة الألفاظ والعبارات.
- وضوح المعاني وحسن التشبيه وجودة الكناية وجمال التعبير وغلبة الصور البيانية.
- التزوع إلى زخرفة القول وتنميقة.
- الطابع الشعبي يولد من رحم الواقع الشعبي (واقعي).
- لغته اللهجة الشعبية.
- الرواية الشفوية (التداول شفويا).
- موضوعات الشعر الشعبي الجزائري: اختلفت موضوعات الشعر الشعبي الجزائري بحسب توجه كل واحد وبحسب مضمون أشعاره.
- وتعددت مواضيع الشعر الشعبي الجزائري بين المواضيع الاجتماعية والسياسية والدينية بحسب دافعين اثنين، سبب أول نابع من روح الشاعر وما يعتريه من مشاعر بين التصريح والتلميح والتجلى والخفاء تتولد مواضيع وأغراض شعرية متنوعة متباينة في ألفاظها عبرت عن أحلام وطموحات الشاعر الشعبي.
- أما بخصوص الدافع الثاني فيتجلى في الشعر الذي ميدانه الواقع الشعبي وما يتعرض له من مضايقات سياسية كبلت يده وأسرت عقله، حتى أن أشعاره لا تخلو من تضمين قضايا المجتمع بين دفات أشعاره كيف لا وهو المسؤول الأول عن أمته

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 52

ومؤرخ لها عبر أشعاره يحمل رسالتها وتفصح عن مدى حبه وتمسكه بقضايا الوطن، بعد الاستقلال عرفت الجزائر تغيرات كثيرة على جميع المستويات حتى أن الثقافة شعبية قد اجتاحتها تيار التغيير ما اثر بشكل واضح على مبدأ التواصل الثقافي بين الأجيال، هذه الفترة عرفت نزوح جماعي للشعب من الأرياف والقرى نحو المدن مما حال دون الجمع المنظم والسريع لمواد الثقافة الشعبية قبل أن يختلط الحابل بالنابل وتضيع بين الأرجل تاريخ شعب بأكمله، زد على ذلك فان الانفجار الديمغرافي وتزايد عدد السكان وتسارع نمو هذا الانفجار سوف يحوي تدريجيا معالم الثقافة الشعبية من منطلق أن كل جيل جديد يأتي بأفكار جديدة وبالتالي عدم الاعتراف بالتراث الشعبي المحلي الجزائري الذي يشكل بالنسبة له وحسب وجهة نظره هو أنها قديمة جدا.

كما أن انتشار العلم بين الأجيال وسلطة التعليم المدرسي على الساحة بدل الثقافة الشعبية سوف يحوي تدريجيا المعالم هذه الثقافة خاصة بعد التطور التكنولوجي والعلمي الذي شهدته مختلف القطاعات سوف يكون احد الأسباب المباشرة في القضاء على كيان الثقافة الشعبية الشفوية التقليدية.

كل هذه الأسباب حالت دون حفظ المجتمع الجزائري لمقدراته كونه يحى في حالة الاستقرار ويتابع نوعا من التذبذب في نمو انتاجات أسلافه الشعبيين بشكل سليم، كما أن وجود الاستعمار في مراحل سابقة كان اكبر دافع لتشبت الجزائري منها بعد أن عجزت الوسائل الرسمية على احتوائه بالجمع والدراسة الجادة له، هذه الإرتدادات التي مست جذور الثقافة الشعبية وأسفرت عن ميلاد أوضاع جديدة بدا بوسائل البحث.

- خلاصة:

بعد رحلة البحث في الأدب الشعبي الجزائري بين الجانبين النثري الشعري بدا من تاريخ نشوءهما، مع تتبع مراحل تطورها عبر الزمن وما لحقها من تغيرات بقدر ما كانت نقطة ركود وضعف وانتكاسة في مرحلة معينة نتيجة لعدة أسباب حالت دون تثبيت قدمها على ارض الواقع الملهم للباحث الشعبي الذي هو ابن بيئته ولسان حال أمته، بقدر ما كانت نقطه تحول صارخة تنبذ كل ما يعترض سبيلها بحكمة ورجاحة العقل ذوبها إلى وجوب نسج تاريخ الشعب الجزائري وعدم تضييع الوقت في الترهات والأشياء الزائلة وتسليط الضوء على جانب مهم من تاريخه الذي كتب بماء العين ومهجة الروح، وبالتالي فقد جسد في المثل الشعبي التالي ما يلخص هذه الحالة "كُلْ مِحْنَةَ اتْرِيدْ فِي الرَأْسِ اعْقَلْ" ، وكل نقطة ضعف تتحول إلى قوة.

بعد ذلك تعرفنا على تقسيمات مواضيع الثقافة الشعبية الجزائرية إذ تم تجزئته إلى أربعة أجزاء كبرى كل جزء تنطوي تحت لواءه مجموعة من المواضيع المتداولة في الساحة الشعبية الجزائرية وتم بعدها تعرضنا لأقسام الأدب الشعبي الجزائري وتوقفنا عند كل قسم بالشرح وتبيان مميزاته وأنواعه وذكر أمثله عنه وصولاً إلى الشعر الشعبي الجزائري بتعداد مميزاته وموضوعاته.

أخيراً وليس آخراً بل أن نقطة البداية الفعلية تبدأ من هنا لتكملة مسار رحلة البحث في هذا ميدان الأدب الشعبي الجزائري الذي ينتظر منا الكثير من الوقت والجهد بحثاً وتنقياً عن المقدرات الشعبية المحلية التي ما تزال تنتظر من يتلقفها ويأخذ بيدها نحو برّ الأمان حيث التدوين والطباعة وتحفظ في بطون الكتب وبين جنبات البحوث الأكاديمية مع قهياة الظروف الملائمة لاحتواء ما تواضع على

صياغته الأسلاف وتتمه رسالتهم بالبحث عن إنتاجهم بعد أن كانت مهمة دهرًا من الزمن.

لذلك وجب نفض الغبار عليها بجمعها وتدوينها ودراستها حتى نحافظ على جزء مهم من تاريخ الأمة من الضياع، بالرغم من الدراسات التي أنجزت في هذا المضمار ونحن نعترف بأفضلها ولو بالنذر القليل من التعريف بالإنجازات الجزائرية إلا أن هذه الدراسات لا تزال تفتقر إلى العديد من معاول البحث الجاد بشأن هذا العلم الغني بالمواضيع باعتباره أصل العلوم كلها.



الفصل الأول:

الإرهاصات المعرفية والمنهجية للأدب الشعبي

في المؤسسات العلمية.

- أولا: الأدب الشعبي والتراعات القومية و السياسية في أوروبا.

- ثانيا: مظاهر الاهتمام بالأدب الشعبي.

- ثالثا: التأليف العلمي للأدب الشعبي عند العرب.



- توطئة :

الأدب الشعبي وليد خبرات ومهارات أسلافنا وما خلفوه من مقدرات إبداعية محبوكة السبك والصياغة، تحاكي عقوداً من الزمن خلت وسيلة الإنسان الأولى عبر من خلالها عن أفكاره وطموحاته... وأداته الطيعة التي بنى على هديها جسور التواصل؛ فالإنسان لم يولد وهو يتهجى العربية الفصحى أول ما نطق هو اللهجة العامية عبر فيها عن ما يساور تفكيره وحلقة الوصل التي نسج على أعطافها مبادئ الحياة الأولى.

على هذا الأساس كان لزاماً على الباحثين أن يكتفوا جهودهم بالبحث الجاد والتنقيب المستمرين عن معالم هذا العلم والوقوف عنده مطولاً بغية فهم مبادئه وقيمه الروحية الفذة، وقبل طرق باب هذا العلم عليه أن يضع نصب عينيه أربعة حقائق جوهرية؛ أولها "أن الفولكلور قد أصبح علماً مستقلاً له أصوله، مناهجه التي تميزه عن غيره من العلوم الإنسانية، كما تربط بينه وبينها، خاصة تلك العلوم ذات الصلة الحميمة بمجال اختصاصه كالأنثربولوجيا، وخاصة الأنثربولوجيا الثقافية والدراسات الاجتماعية والأدب والتاريخ"⁽¹⁾

أصبح الفولكلور علماً قائماً بذاته له مبادئه وأصوله ومناهجه التي تفرقه عن باقي العلوم الأخرى يتشارك ويتشابه مع بعض الآخر في بعض الحلقات سواء كان شعراً أم نثراً، وهناك نقاط تقارب كبيرة بينهما سواء كان ذلك من ناحية القوالب الفنية أو الصيغة... يبقى الفرق الوحيد بينهما في اللغة (واحدة باللهجة المحلية المتمثلة في الأدب الشعبي، والأخرى باللغة العربية المتمثلة في الأدب العربي).

⁽¹⁾ أحمد علي مرسي، مقدمة في الفلكلور، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية، دار روتايرينت للطباعة، 1995، ص 17.

أما في ما يخص العلاقة بين الأنثروبوجيا والأدب الشعبي فهما يسيران وفق منحى خطي واحد وهي دراسة حياة الإنسان لذاتها ولأجل ذاتها ولثقافتها، في حين أن الدراسات الاجتماعية تهدف لدراسة حياة الإنسان بين أحضان مجتمعه والإلمام بكل مقدّرات الشعب عبر التزول إلى الميدان، أما بشأن تاريخ الفولكلور تكمن في أن كلاهما يحددان زوايا نظرهما خاصة وأن الأولى تستعين بالثانية عندما يغيب لديها تحديد الفترات التاريخية من منطلق أن "الفولكلور هو إتمام لرسالة التاريخ"⁽¹⁾، في حين الفولكلور يستمد من التاريخ مواضيعه.

حقيقة أخرى وجب الوقوف على اعتبارها وهو أن الفولكلور لا بد أن يتم جمعه في إطاره الصحيح، وهذا الإطار الصحيح لا بد أن يكون متضمناً معلومات كافية عن المؤدين تمكنا من اختبار قدراتهم على الأداء والنقل، كما ينبغي أن يتضمن وصفاً دقيقاً لأسلوبهم في الأداء، لأن ذلك سيتيح لنا فرصة أكبر كي نتعرف على طبيعة الإبداع الشعبي وأن نفهمها.⁽²⁾

الباحث ملزم باتباع عديد الشروط والأخذ بزمامها للتمّ أكبر قدر من المعلومات في سبيل النقل الحسن والأداء الفعال للمهام المنوطة به، وملزم أيضاً بأن يكون دقيق الوصف ذو أسلوب سهل ومرن لغرض تقريب الصورة للمتلقي مع الإشادة بطبيعة الإبداع الشعبي المنقول وتسيير فهمه، أما فيما يخص الباحث في ميدان الفلكلور "فعليه أن ينتبه أثناء عمله في الميدان إلى أثر عامل الزمن، سواء على المؤدين أو على المادة نفسها، كما أن طبيعة المكان لا بد من أن توضع أيضاً في حسابه، وأن ينتبه

⁽¹⁾نادية الدمرداش، علا توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور، دار عين الدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، ط1، 2003

، ص14.

⁽²⁾ ينظر: أحمد علي مرسى، مقدمة في الفلكلور، ص17.

أيضا إلى أهمية التفرقة بين تسجيل المادة أو النص وبين الشرح أو التفسير الذي يقدمه الراوي أو المؤدي عامة للمادة التي يقدمها⁽¹⁾.

ومنه فعلى جامع المادة الفلكلورية أن يضع في حسابه عامل الزمن الذي تم فيه جمع المادة الفلكلورية، كما أنه يجب أن يكون على دراية بالمنطقة محل الدراسة، وجمع هذه المادة كأن يكون لديه علم بالعادات والتقاليد والطقوس...، ويلزم عليه عند تسجيل المادة أو النص أن يتقيد بمعايير النقل بأمانة علمية، بمعنى أنه عند تسجيل المادة يلزم أن نراعي اللهجة التي نطق بها من قبل الراوي دون تبديل أو تغيير إلى اللغة العربية الفصحى لأن ذلك سيحدث خللا للمادة المنقولة ويصبح مشكوكا فيها في حين قد آن الأوان لأن نطبق القانون العلمي الذي يقول: "إن كل ثقافة تخلق مصطلحاتها وأشكالها الفنية الخاصة بها"⁽²⁾.

حان الوقت اليوم لكي ننفض الغبار على تراثنا، ونشمر على سواعدنا للإلمام بالمواد الفلكلورية ودراستها محليا، ودون اللجوء إلى الآخر في جلب المصطلحات التي تواضع على وضعها الباحثون الغربيون، كذلك الأمر بالنسبة للأشكال الفنية التي ابتكرها غيرنا، بل وجب علينا أن نكون أكثر وعياً وأن نطلق العنان لأفكارنا حتى تبرز، ونعمل لجمع الأدب الشعبي وصياغة قوالب فنية بمقاس هذه الإبداعات الشعبية.

التراث الشعبي ثري و ذو زاد معرفي ضخم مليء بالحكم والعبر والآراء النيرة التي نقلناها من الآباء و الأجداد...، ونشأت على خطى هذه القيم الاجتماعية الراقية بعاداتها وتقاليدها... حاكت لنا أصالة أجدادنا بميراثهم الذي نطق بدرر الكلام وبقسوة الزمان ورخاءه متفنين في نسج الماضي التليد بحكايات وقصص وقيم شيقة

(1) أحمد علي مرسي، مقدمة في الفلكلور ، ص 19.

(2) المرجع نفسه ، ص 20.

تحمّل بين جنباتها الدروس البليغة التي بنينا من خلالها ركائز ولبنات حياتنا، لهذا فإن الإنسان مهما بلغ من التّقدم في العلم والمعرفة عتياً فإنه من غير الممكن أن يتناسى أنه ولد بين أحضان الثقافة الشعبية وتشرب من نبعها الصافي وتشبع من قيمها الكثير.

الأدب الشعبي ابن الشعب والبيئة الاجتماعية يحاول دائماً أن يرصد جلّ ما هبّ ودبّ داخل المجتمع، طابعاً إياه في قوالب فنية تخدم بالدرجة الأولى المجتمع، تعبر عن اهتماماته إزاء الحياة التي تأبى التوقف في مسار واحد بل أنها دائمة التغير، لهذا عادة ما يتردد على مسامعنا المثل الشعبي القائل: "أَلْبَسُ الْجَدِيدَ أَوْ لَقْدِيمَ لَا تَفْرِطُ فِيهِ" ونحن نحاول أن نقلب هذا المثل وفقاً لما يخدم موضوعنا نقول: لا ضيم أن نتعلم أشياء جديدة تبعاً لمتطلبات العصر الراهن وما يشملها من احتياجات عصرية تخدم الإنسان بجهد أقل وبدقة متناهية وبسرعة في التنفيذ.

إلا أنه لا يمكن أن نمنح أشياء تربينا على هديها وتشربنا من منابعها العذبة، ورضعنا من ثديها معالم الحياة الحقة "فأدبها العامي التقليدي، الشفاهي، المجهول المؤلف، المتوارث جيلاً عن جيل" (1) هو عنوان بقاءها وسرّ وجودها من غير الممكن أن يتجاهل الإنسان المنبت الذي نما في أحضانها تشبع وارتوى من قيمه، ويلغي "الرباط الوثيق بكل أمة يولد معها ويتعرّع بجوارها ويتربى في تربتها، ويرضع من ثديها، ويجتر كل الحياة حلوها ومرّها بلا تباطؤ" (2)

كل فرد لا يمكنه أن ينكر بأن إشعاعات الأدب الشعبي تسري في وريده المرافقة الوفية له من نعومة أظافره لازمته في كل مطبات حياته أبي أن يمسخها أو أن يقتلعها، أصبحت ملازمة له في الصحوة كما في المنام، في الفرح والفرح، عبّرت عن خلجات روحه وعن طموحاته وإهتماماته.

(1) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية للكتاب، د ط ، 2002، ص20.

(2) محمد سعيدي ، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص12.

مهما بلغ الإنسان من الرقي و التّقدم عنان السماء فإن الحنين للماضي يبقى يشد بيده دائماً للرجوع إليه للنهل من ثماره والتّشّدد به بعين ثاقبة لأنه عنوان الأصالة ومحط الوجود، للاستزادة به في مختلف المحافل التي تمر بحياته حتى يعرف بالمشزون الفكري الشعبي المحلي.

الأدب الشعبي هو ذاكرة الشعوب ووعاءها يحفظ ما أقرّت به الذاكرة الجماعية من طقوس فعلية وقولية تحاكي أعمال وأقوال أسلافنا، وتضعه في سجل مكتوب بماء من ذهب عبر عن حكمة أجدادنا في معارك الحياة بهدوئها وتقلباتها.

مما لا شك فيه أن الأدب الشعبي بحر واسع مليء بالدرر المكنون، فهو عميق عمق تجارب الإنسان بمختلف تصدعاتها واهتزازاتها، وهادئ بهدوء ورزانة وحنكة قرائح أجدادها، وهائج باضطرابات معاركهم في غمار هذه الحياة والنطق بجواهر الكلام المعبر والموزون بخبرتهم وتعاملاتهم مع الأحداث بفطنة وذكاء وطلاقة ألسنتهم بأفكار وأقوال تحاكي الواقع وتلامس العقول، كيف لا و"هو عمل ينبعث عن عمل أجيال عديدة من البشرية من ضرورات حياتها وعلاقتها مع أفراحها وأحزانها، أما أساسه العريض فقريب من الأرض التي تشقها الفؤوس وأما شكله النهائي فمن صنع الجماهير المغمورة المجهولة"⁽¹⁾

بات من الضروري أن نقف عند أهم الأبعاد التي دفعت بالباحثين إلى تبني الأدب الشعبي بأن هبوا هبة واحدة من أجل لمّ شتات هذه الإبداعات وجمعها، ويمكننا ردها إلى أسباب سياسية وأخرى قومية بعد أن خاف الباحثون أن تضع أجزاء كبيرة منها نتيجة الصراعات:

(1) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، ص 19 .

أولاً: الأدب الشعبي والتراعات القومية و السياسية في أوروبا :

كانت الظروف السياسية والقومية هي الدافع الأول الذي وجه أعين الباحثين إلى ضرورة جمع التراث الشعبي مخافة اضمحلاله لأنه يمثل تاريخ أمة برمتها، سعت جلّ الدول القابعة تحت رزخ الاستيطان الاستعماري إلى وجوب تسليط الضوء على التراث حتى لا يذهب هباءاً منثوراً، وكان إلزامياً عليهم أن يكتفوا جهودهم بأن ابتكروا معاول جديدة لدراسته ويوحدوا وجهات نظرهم إزاء هذه القضية التي تعبر عن الأرض والانتماء وحب الوطن.

الأدب الشعبي دستور الأمة وبطاقة هوية لكل مواطن يخشى المساس بقوانينها يحاول أن يحفظ ما أقرّت به هذه البنود عن ظهر قلب أو يخبأها داخل الصدور، أو يتكر لها قوالب كتابية تجمع شذراتها.

نشأة الفولكلور مقترنة بظهور القوميات في أوروبا، فالروح القومية والفولكلور يسيران وفق منحى خطي واحد، وازدهار الروح القومية يلزم عنه ازدهار الفولكلور أيضاً، تصبح هذه الأخيرة في متناول الجميع ترددها السنة الكبير كما الصغير، تكون سهلة الحفظ وسريعة الانتشار والتداول بين فئات المجتمع، وإحدى أهم الأسباب التي مهدّت الطريق ويسّرت السبل لميلاد علم الفولكلور، وأولى الأسباب لتبلور فكرة الروح القومية في أوروبا.

العامل الثاني الذي ساهم في بزوغ الروح القومية هو ظهور الحركة الرومانسية التي ثارت عن كل أنواع الظلم والاستبداد ، وركزت نظرتها على الشعب وجعلته محور كل الإبداعات ذهب ينقب عن مخلفات أجداده من خلال مسيرته التاريخية التي تعايش معها القدامى من المسيحية، وما ابتدعوه من آليات ووسائل عيش، وما تعارفوا عليه من فنون وإبداعات وآداب غيرها من أدوات ...

"فمن أكثر الأفكار شيوعاً بين ذلك الفكر الرومانسي عند بداية الدراسات الفولكلورية فكرة العقلية الشعبية **mind pauolar** التي تؤكد وجود الوحدة القومية كما تذيب في نفس الوقت الاختلافات الطبقية ففي الأمة"⁽¹⁾

فالشعب مصدر السلطة والموطن الأصلي لميلاد مصطلح القومية هي في أبسط تحليل لها أنها جمع لمصطلح قوم و الذي يدل على الوفرة و الكثرة ومنه يتولد الاشتراك و الاتحاد بين أفراد المجتمع الواحد من خلال انصهار الدراسات الفولكلور مع مصطلح القومية و ينبذ في ذات الوقت الاختلافات الطبقية في المجتمع ويسعى إلى توحيد شمل أفكار وآراء المجتمع لغرس روح الانتماء و منه تجسيد مبدأ القومية.

قام العالم الألماني جاكوب جريم بمجهوداته في جمع الأقوال والحكايات ووضعه للأجرومية للغة الألمانية خدمة لوطنه بالدرجة الأولى، لأن حبه لوطنه، كان دافعا ومحفزاً له في أن يحذوا حذوه للإمام بترائه والإشادة به، إذ "يرجع الاستخدام الإيديولوجي للتراث الشعبي في القرن العشرين في أغراض سياسية إلى ظروف القوميات الرومانسية في القرن التاسع عشر فلقد قام الدارسون من كل بلد أوروبي تلو الآخر، سيرا على نهج الشاعر الألماني يوهان جوتفريد هيردر الذي حدد كيانات قومية من الشعر الشعبي، بالبحث عن الروح التي تتضح من خلال اللهجات القومية و القصص الشعبي والأغاني الشعبية التي تؤدي بتلك اللهجات"⁽²⁾

معنى هذا أن تاريخ ميلاد التراث الشعبي يرجع إلى القرن العشرين أستخدم أول الأمر لأغراض سياسية وبالتالي دعم للقوميات الرومانسية خلال القرن التاسع عشر، لهذا فقد هذا الدارسون في أوروبا حذو الشاعر الألماني "هيردر" الذي أسس

⁽¹⁾ يوري سوكولوف، الفولكلور قضايه وتاريخه، ترجمة حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس، الهيئة المصرية العامة، ط2، 2000، ص117.

⁽²⁾ ريتشارد درسون، نظريات الفولكلور المعاصرة، تر:حسن الشامي ومحمد الجوهري، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2007، 1، ص 32 .

لكيانات قومية في الشعر الشعبي وذلك بغرض البحث عن روح الشعب من خلال اللهجات المحلية والقصص والأغاني، أثارت هذه النظرة التي دعا إليها هيردر حماسة "الأخوين جريم في ألمانيا وأسيورسين **Asbjorson**، وموي **Moe** في النرويج، ولونروت **Lonrot** وكارل كرون في فنلندا **K.Krohn** ، وفوك كارادجيتش **Vuk Karagjic** في بلاد الصرب (يوغسلافيا) ودوجلاس هايد **D.Hyed** في أيرلندا وغيرهم من العلماء البارزين، ولقد كان لهذا البحث عن التراث أثره الطيبة كحافز لأجراء الدراسات المتكبرة وتدعيم لكبرياء القومية البريئة." (1)

الفكرة التي أقرها "هيدر" نالت إعجاب الأخوين "جريم" والعديد من الباحثين في كل دول أوروبا ، وكان أثره جلياً في التراث الشعبي، ومحفزاً لهم لإجراء ابتكارات في دراساتهم التي كانت تدعم الروح القومية "وقمت الوثبة الكبرى في القرن التاسع عشر مع شيوع الاتجاهات الرومانسية في التفكير كصدى للضمود البرجوازي إذ ذاك" (2)

لهذا فقد ارتبط ظهور الاهتمام بالفولكلور بحركتين فكريتين سادت في أوروبا في القرن التاسع عشر وهما الرومانسية والقومية، ويمكننا أن نلخص العلاقة بين الحركات الثلاث: الفولكلور و الرومانسية والقومية مع الكثير من التبسيط كما يلي: "أن الحركات التحريرية عادت إلى الماضي وإلى الإنسان العادي البسيط للتعرف على جذورها وأصولها من أجل تحديد هويتها القومية، و زيادة وعيها القومي و ذلك كجزء من الإيديولوجية القومية الرامية إلى التحرر القومي" (3).

(1) ريتشارد درسون، المرجع السابق ، ص 32 .

(2) يوري سوكلوف الفولكلور قضايه وتاريخه، تر: حلمي الشعراوي وعبد الحميد حواس، ص36.

(3) شريف كناعنة، ملامح المادة الفولكلورية، مركز الوثائق والأبحاث، جامعة بيرزيت، عمان، 1985، ص4.

يعنى أن الحركات الثلاث جاءت لخدمة بعضها البعض في دعوتهم إلى العودة إلى الماضي التليد واستلهاهم مقدّرات الشعوب من رحم البيئة الشعبية بغية التنقيب عن أصول الإنسان حتى يسهل عليهم تحديد هويته القومية وزيادة الوعي القومي لديه.

كان أثر هذه التزايدات في دول أوروبا و ما جاورها دليل خير على الباحثين الذين ولوا وجهتهم إلى كل ما هو قديم ومتوارث باعتباره عنوان لأصالتهم ومدى تشبّثهم بموروثات أجدادهم الذي زادهم الحماس من أجل الذود عنه من كل يد تطاله من الاستعمار، كما قوى لديهم النخوة القومية بحبهم لوطنهم، وكانت "أول دولة قومية تستخدم دراسات الفولكلور كرأس مال سياسي هي حكومة هتلر القومية الاشتراكية (النازية)، فقد نشرت ألمانيا خلال العقد الرابع من القرن كميات ضخمة من الكتابات التي تدعم المفهوم النازي للشعب السيد **HERREMVOLK** الذي توحد بين جماعته روابط صوفية قائمة على الدّم، واللغة والتراث والثقافة"⁽¹⁾.

أول من أشار إلى فكرة القومية وقام بدعم هذه النظرية وسلط عليها الضوء في عالم الفولكلور باعتباره سلاحاً يتم بواسطته محاربة العدو من ناحية أخرى يعبر عن روح الانتماء وحب الوطن، والتي أقحمها هتلر في إرساء أعمدة حكومته القومية الاشتراكية، وأشار إليها في العديد من المؤلفات التي كان لها أثر بارز فوحدت صفوف الشعب التي تربطه صلات الدّم الواحد واللغة الواحدة والتراث والثقافة الواحدة.

"وفي الفلسفة المثالية الرومانسية في ذلك الوقت وخاصة الأعمال الفلسفية لشيلنج **SCHELLING** وبعدها فلسفة هيغل في شبابه تطورت النظرية القائلة بأن معنى تاريخ العالم يتضمن التغيرات المتتابعة لمختلف الثقافات القومية، فالروح القومية

⁽¹⁾ ريتشارد درسون، نظريات الفولكلور المعاصر، ص33.

لكل أمة تبلغ أوجها خلال العملية الطويلة للنمو الذاتي، كما تثري بقيمتها تراث الجنس البشري في مجموعه⁽¹⁾

الفلسفة المثالية الرومانسية هي بدورها نوهت لتاريخ العالم وما يحمله من تقلبات طرأت على مختلف الثقافات القومية، فكلما امتدت و طالّت مدّة النمو الذاتي كلما زاد الشعور القومي للأمة وزاد معها تمسك الفرد بميراثه، حيث "بدأ الأوروبيين الاهتمام بتراثهم الشعبي في مرحلة النهوض القومي التي عمّت أوروبا في القرون الوسطى، والتي تحول فيها النظام السياسي من الإقطاع إلى الدولة القومية، وذلك ليساهم التراث في تجديد ملامح هويتهم القومية"⁽²⁾

والحق أن إحساس رواد علم الفولكلور بأن أساليب العيش الحديثة تهدد المأثورات الشعبية بالاندثار كان جزء لا يتجزأ من ردود أفعال الفكر الأوروبي وقد غمرته الرومانسية وأشاعت فيه الحنين إلى حياة الماضي و بساطة الحياة الريفية ونقاها خوف الذي اجتاح رواد الفولكلور من مظاهر الأساليب الحديثة التي قد تسهم في زوال أو ضمور الأدب الشعبي الذي تعز به كل أمة على اعتباره دستوراً لهم، ويزوغ الرومانسية قد أفاضت في نفوسهم الحنين الجارف للماضي بكل ما يحمله بين دفتاه من قيم ومعالم جديرة بالحفظ، والتّعرف على الأصول والجذور الأولى التي بفضلها تحدت الهوية القومية.

هذا الأمر جعل أوروبا تندفع بقوة إلى مرحلة جديدة تعيد فيها اكتشاف الذات، عبر سبر تاريخها، وتراثها المكتوب والشفوي، وتدوين كل صغيرة و كبيرة، وجمع كل ما تطاله اليد من تراث مادي، ومنتج حرفي، ولعبت التيارات الفكرية والفلسفية من

(1) يوري سوكولوف، الفولكلور قضاياه وتاريخه، ص 117.

(2) عبير داوود المراغي، تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2013، ص 27.

كلاسيكية ورومانسية، وواقعية، وواقعية اشتراكية دورها في دفع النشاط الثقافي والعلمي، والسياسي قدماً إلى الأمام.⁽¹⁾

آمنت أوروبا بوجود تسليط الضوء على أعماق الذات واكتشافها، من خلال التأريخ لها والاندلافي عبر تراثها المكتوب والشفوي والدعوة إلى تدوين كل شاردة وواردة من التراث الشعبي .

لهذا فقد تكاثفت الجهود وتوحدت الرؤى حول هذه القضية ، وكان لبروز التيارات الفلسفية و الفكرية أثر البلمس على الجرح في كونها حفزت جهود المبدعين للإلمام بالمنتج الثقافي والعلمي و السياسي والحفاظ عليه من الاندثار، وبالتالي "فقد قام القوميون الأوروبيون الذين أهمهم" يوهان جوتفريد هردر" بجمع الفولكلور في محاولة رومانية لإعادة اكتشاف و رفع شأن التعبير الشعري لقلب بلادهم و روحها والذي اعتقدوا أنه بقي حيا في مأثور الفلاحين" ⁽²⁾

مما لا شك فيه أن ظهور ثلة من المفكرين و الفلاسفة والأدباء كان له أثر طيب على الأحداث و تطور الفكر، حيث أعادوا إدارة جدول أعمالهم ورد الاعتبار لفئات الشعوب المختلفة بما في ذلك الطبقات الدنيا للمجتمع، والالتفاف حول مورثهم الشعبي الذي اعتبروه مصدر كل السلطات، ومن منطلق أنه إنتاج "وحصيلة كاملة للعادات والتقاليد والمعتقدات القديمة السابقة التي عاشت بين الطبقات غير المتعلمة في المجتمعات المتحضرة، واستمرت إلى وقتنا هذا " ⁽³⁾

⁽¹⁾ ينظر: محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2009، ص17.

⁽²⁾ جيمس كورسارو، كارين تاوسيج لوكس، الفولكلور في الأرشف، تر: سامية ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص37

⁽³⁾ أحمد علي مرسى، مقدمة في الفولكلور ، ص51.

الأدب الشعبي يبقى دستور الأمة والحافظ لماء وجهها والمعر عن تاريخها لأن
"هذه الدراسات ارتبطت إرتباطاً وثيقاً بالاتجاهات العريضة في مجال الفلسفة والعلم
والتاريخ التي ظهرت باسم الرومانسية"⁽¹⁾

ويمكننا أن نستدل على صحة هذه الفكرة من خلال ما أقرب به آرشر
تايلور ARCHE TAYLOR عن فنلندا هذه الدولة الصغيرة بحجمها والكبيرة
بما تحملها في جعبتها من مآثورات شعبية وزخم فكري واسع إذ استطاعت أن تثبت
مدى التصاق أفراد شعبها بوطنهم ولاسيما من أجل رد الاعتبار للتراث الشعبي.

الاعتزاز بالوطن والارتباط الوثيق به كان الدافع الأساسي لبذل أبناء هذا
الشعب كل مجهوداتهم للإحفاف بالفولكلور والتشيث به مهما كلفهم الأمر
لاسترداد حقوقهم المهدورة والاعتراف بجميل هذا الوطن المفدى ، لأن المحتوى
السلوكي للأدب الشعبي له تأثيره الملحوظ على نفسية الإنسان وبالتالي يكون لها
تأثير مباشر على تلك الفنون المكتسبة، فتزيد بكثرة التداول ترسيخاً عميقاً في ذات
الفرد.

الدراسات الفولكلورية في فنلندا جزءها الدارسون والمهتمون بالدراسات الشعبية
إلى ثلاث محاور كبرى، وبالتالي حددت الملامح الجلية لحضور الفولكلور في صدور
شعبها، وقد كان التركيز على فنلندا بالذات لأنها أول من نوهت لدارسة التراث
الشعبي رغم صغر رقعتها إلا أنها عميقة في دراسة تراثها .

لهذا السبب فإن جهد الفنلنديين أنصب في الأساس على ما يمكن أن نطلق
عليه "الأدب الشعبي" وخاصة ما يرتبط بالشعر والغناء الشعبيين، وربما كان ذلك
مرتبطاً بجمعهم اللغة والأدب نظراً لطبيعة ظروفهم الخاصة"⁽²⁾

⁽¹⁾ يوري سوكلاف، الفولكلور قضاياه وتاريخية، ترجمة: عبد الحميد حواس الشعراوي ، ص65.

⁽²⁾ أحمد علي مرسى ، مقدمة في الفولكلور، ص 42.

بالرغم من الظروف المضطربة السائدة في فنلندا إلا أنهم كثفوا كل جهودهم لحماية التراث الشعبي وتركيزهم على اللغة والأدب كونهما المبدئين الأساسيين لجمع التراث، الذي يكشف مدى الارتباط الوثيق بالأرض والوطن.

إن ميلاد الفولكلور في بلد مثل فنلندا رغم صغر مساحتها إلا أنها استطاعت أن تثبت وجودها وتحافظ على أدبها الشعبي، من خلال سيرانها على الاحتفاظ بالموروث الشعبي يلزم مباشرة إرساء معالم الوطن الواحد، على هذا الأساس فإن الحديث عن الأدب الشعبي حاجة ملحة فرضتها إشكالية البحث في القيم الثقافية والفكرية الأصلية للشخصية الوطنية، فالأدب الشعبي يعد أحد أهم الركائز الثقافية الوطنية، والبحث في مجاله يعد بحثاً أصيلاً مرتبطاً بالكيان الثقافي لأية أمة من الأمم البشرية .

إن البحث عن الأدب الشعبي واجب تقتضيه جلّ القيم الثقافية والفكرية التي تساهم في بناء اللبنة الأولى للشخصية الوطنية، فالموروث الشخصي أساسي في تكوين الروح الوطنية للفرد الذي يمثل جزء من الكلّ (المجتمع) التي تتكاثف جهودهم سوياً في بناء الكيان الثقافي لكل أمة (الروح الجماعية).

يمكننا أن نستدرج أيضاً في هذا المقام نموذج آخر عن التزايدات القومية وما خلفته في أوروبا وتحديداً في ألمانيا أين هتم المثقفون الألمان بجمع التراث الشعبي في فترة متأخرة أي خلال القرن الثامن عشر وعلى رأسهم الأخوان "جريم" بجمع التراث الشعبي الألماني الأصل بعد أن خشيوا من أن تؤدي الامبريالية إلى تغيير معالم الشعب الألماني وخصائصه، ومن ثم فقد بدأ الأخوان جريم بجمع مادة تراث الشعب الألماني الذي ينتمي إلى عصر ما قبل انتشار المسيحية.

جمع الباحثون الألمان تراثهم الشعبي في فترات متأخرة نوعاً ما يعود هذا التأخر لأسباب سياسية في المقام الأول وبالتالي من غير الممكن بل ومن المستحيل أن ينشغل الشعب بجمع التراث في حين أنه يعاني من ويلات الاستعمار، بالرغم من كل هذا إلا

أن درجة الوعي الكبير التي يتمتع بها الأخوين جريم كان بارزاً، كونهما خافا من ضياع دستور الأمة، لهذا فإن الضربة التي لا تقسم الظهر بل قوته بعثت فيه الروح للتنقيب عن المجهول واستئصاله من رحمه.

فالأخوين جريم كانا بادئ ذي بدء "يعدان الدين المسيحي دخيلاً على تراثهم الحضاري أما التراث الذي عاش قبل المسيحية جرماً بني أصيل، هنا كانت نقطة الانطلاق التي دفعت المثقفين إلى العناية بالتراث الشعبي وإلى تحديده وتعريفه"⁽¹⁾

الدين المسيحي عند المثقفين الألمان هو مبدأ أساسي في بناء تراثهم الحضاري، فلا غرو أن يكون التراث الذي بزغ قبل ميلاد المسيحية كان ذو طابع أصيل كانت بداية الشرارة التي حفزت الباحثين إلى الغوص بين طياته والإلمام به.

أما في فرنسا فإن "الاستعمار الفرنسي لبعض دول إفريقيا بصفة خاصة دفعهم إلى دراسة أحوال الشعوب الإفريقية، ولهذا فإن دراسة فولكلور إفريقيا البيضاء على حدّ تعبيرهم يشغل حيزاً كبيراً في دراستهم حتى اليوم، ثم أدرك الباحثون في فرنسا أن اهتمام فرنسا بالفولكلور الأجنبي يفوق اهتمامها بالفولكلور الفرنسي نفسه"⁽²⁾.

فرنسا إبان فترة استعمارها للدول الإفريقية فإن الأوضاع حالت دون إلمامها بالفولكلور الخاص بها، إلا أن هذا لم يمنعها من الإعجاب بتراث الشعوب المستعمرة ودراساتها.

فارتأينا بذلك أن نأخذ نماذج لبعض الدول الأوروبية ورصدنا أهم الملامح السياسية القومية التي أسهمت في ظهور الأدب الشعبي، وكان للشورة الصناعية أثرها البارز في تمخض الأدب الشعبي وميلاده بأبهى حلّة، فقد "أدت نتائجها الاجتماعية

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، دار الحمام للطباعة، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، دط، دت

، ص 11.

⁽²⁾ نبيلة إبراهيم، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 12

إلى تعاظم الاهتمام بالتراث الشعبي، بما فيه من مرويّات شفوية، وعادات ومعتقدات، ومقتنيات تراثية شعبية، ومشغولات حرفية... خوفاً عليها من التلاشي مع ضجيج الآلات المتزايدة"⁽¹⁾

بالرغم من التقدم المذهل الذي طرّحته الثورة الصناعية بين الدول الأوروبية إلا أن هذا لم يمنعها من أن تكشف جهود أكبر للسيطرة على الوضع والتركيز على جمع التراث الشعبي خوفاً عليه من الزوال وحفاظاً عليه من الاندثار بسبب الاستعمال المتزايد للآلات والتكنولوجيا" ويجوز لنا أن نرى في التلازم بين ميلاد الفولكلور والحركة الرومانسية ويقظة القوميات الحديثة والتحوّلات الصناعية ذلك الإطار الذي ازدهرت فيه الدّراسات اللغوية والتاريخية والاجتماعية والنفسية وما إليها من الدّراسات العلمية الحديثة"⁽²⁾

الاتحاد والتلازم بين مختلف الظروف والأوضاع التي سادت في الدول الأوروبية ومسارقتها لبناء الأفق الأولى للفولكلور على اختلافها من حركة رومانسية ويقظة في الوعي الفكري والتغيرات الصناعية، قد أذكى لدى الباحثين النخوة في إنعاش الدّراسات اللغوية والاجتماعية... الخ

"إن الاهتمام بالتراث الشعبي من ردود فعل ما أحدثته الثورة الصناعية من تغيرات اجتماعية و اقتصادية غير مسبوقة، فتركز الاهتمام على المجتمعات وتراثها، وظهرت علوم جديدة و تطورت بسرعة مثل :علم الإنسان، علم الاجتماع، وعلم التاريخ"⁽³⁾

(1) محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، ص18.

(2) صالح رشدي، المأثورات الشعبية والعالم المعاصر ، مجلة عالم الفكر، مطبعة حكومة الكتب، ع1، مج3، أبريل، مايو، يونيو، 1972 ، ص70.

(3) محمود مفلح البكر، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي ، ص 18.

الدول الأوروبية على اختلافها وعلى تعدد مناطقها من شرقها إلى غربها من شمالها إلى جنوبها قد أسهم بشكل فعال في التنقيب على التراث الشعبي والاحتفاء به، وعلى اختلاف بوادرها سواء كانت جيدة أم سيئة إلا أنها استطاعت أن تزيل اللثام عن الكثير من الأمور التي لولاها ستؤول إلى الزوال فلم يمنعها لا هذا ولا ذاك، بل أنه زادها أكثر قوة وإصرار بغية تعرية الواقع والإفصاح عن الهوية الوطنية القومية.

نجحت الدراسات الشعبية في أوروبا بعد شد وجذب وانبساط وإنكماش في إرساء معالم الفولكلور الخاص بكل دولة، ورغم ما عن أنف الظروف واستطاعوا أن يبنوا أساس قويم لإبداعاتهم التي طالها في وقت ما الإجحاف والندرة، إلا أنهم كسروا كل الحواجز واجتازوها إلى بناء القاعدة و الأساس للتراث الشعبي الخاص بهم.

أما عن حال الأدب الشعبي في الوطن العربي وقضاياها مع التزايدات السياسية والقومية، فقد اجتاحتها وقصف بكيانها هذه التزايدات وزعزعت بناءها الصلب في حقل الأدب الشعبي أو حتى التمهيد له، فمرّ التاريخ العربي على مداه بموجات من الهيجان والهدوء ، ومن الاستقرار إلى اللاستقرار، لهذا فإن كل الدول العربية قد اكتوت بنيران الاستعمار الغاشم الذي حاول في كل مرة أن يطمس معالم الهوية والشخصية الوطنية واستئصالها من جذورها القومية الشعبية كالعادات والتقاليد والمعتقدات... الرائجة بين الأفراد والمتعارف عليها بين طبقات المجتمعات، فبدأ الاستعمار بقصف التراث أولا كونه القاعدة الأولى في بناء الحضارة وتقديم الأمم.

عدت هذه القاعدة مصدر إزعاج و قلق للاستعمار الذي سعى بكل قواه أن يزعزع الثقة في نفس المواطن العربي و أن يحوي كيانه، و تأخر الدول العربية للاعتراف بالأدب الشعبي كمادة وعلم أدبي يحتكم لمناهج و قوانين خاصة به يرجع لأسباب سياسية محضة حالت بينه وبين هذا العلم والتنقيب عليه والبحث عن الأصول الأولى له.

من غير الممكن بل وأنه من المستحيل أن يمحي الإنسان دورة كاملة من حلقات حياته التي صارع فيها من أجل البقاء، ومن أجل وضع بصمته في سيناريو هذه الأحداث بحكمة وحنكة تعكس الفوضى التي يحيا في ظلها، فترجم إياها ببصيرة هادئة توحى بمدى الصمود والتّحدي الذي يمتلكه الإنسان الشعبي إزاء الهزات والارتدادات التي مرّ بها والتي قام بترجمتها إلى نصوص أدبية إبداعية تحاكي بالدرجة الأولى قضايا الإنسان الشعبي في المقام الأول، ومن منطلق أن "الأديب الشعبي كان الأديب الأصيل والطاقة المحركة لوجدان الشعب والقادرة دومًا على تحويل النكبة إلى نصر"⁽¹⁾

فالإنسان الشعبي له القدرة على تطويع الظروف والأزمات بحسب ما تقتضيه الحاجة كتحويل النكبة إلى نصر، وبالتالي فقد بدأ الاهتمام بحقل الفولكلور لدى الأمم المختلفة ومن ضمنها الوطن العربي تحت ظروف مشابهة لتلك التي أفرزت حقل الفولكلور في أوروبا.

إن تأخر الاهتمام بالأدب الشعبي في الوطن العربي يمكن أن نرده إلى ظروف مشابهة لتلك الظروف التي تبلورت فيها فكرة الفولكلور في أوروبا ، فقد تولدت بعد صراع طويل مع الظروف السياسية الكائنة في المحيط العربي وبعد شد وجذب مع الحركات السياسية التي بسطت نفوذها على أفرادها وفي محاولة هذا الاستعمار أن يمحي الجزء الأكبر من تاريخ هذه الأمم من خلال طمس الهوية الوطنية المحلية ، بدأ بالتراث الشعبي الذي يعد أصل كل إنسان ومنبته الأول .

⁽¹⁾ ابن الشيخ التلي، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

من يلج عالم الأدب الشعبي سوف تغريه لطرق بابه وتسحره بفيض من المواضيع وبكم هائل من الإبداعات، والأعمال الفنية المشوقة القَدْ والبسيطة المعنى لكنه عميق عمق البحار في دلالتها ومضامينها.

لا يمكننا أن ننكر الدور البارز الذي لعبه الأدب الشعبي في حياة الفرد، لأنه حدد له النقاط العريضة حتى يسير وفقها، أمسك بتلابيب التاريخ وتشرب من منابعها الصافية كونه الركيزة الأصلية في بناء الثقافة الوطنية ومن ثمة زيادة الوعي لديه باستشعار الذات، وتحديد هويته بالحفاظ على استمراريتها.

حسبنا هنا أن نشير إلى أن الأدب الشعبي العربي قد اعترضت سبيله عقبات حالت دون البروز الفعال له في فترات متقدمة من الزمن، ويمكننا أن نوعز ذلك إلى عامل يعتبر الأساس الذي عرقل عجلة غو الفولكلور في الأوطان العريية، كون أن الاستعمار قد نخر بكيافها وحاول أن يطمس تراثها الذي كان بالنسبة لها رأس مال حيّ لكل أمة تسعى لبناء حضارتها من منطلق أن التراث الشعبي يعد الشرارة الأولى لنموها وتطورها.

- ثانيا: مظاهر الاهتمام بالأدب الشعبي:

كان الأدب الشعبي محلّ اهتمام العديد من الباحثين الذين اندفعوا دفعة واحدة لاستقطاب معالم هذا العلم الذي وجدوا فيه متنفسهم لأنه علم عبّر فيه الإنسان البدائي عن كل ما يساور تفكيره من أفكار ورؤى وأمال وأحلام...بوسائل وطرق مختلفة وبمشاعر فياضة توحى بمدى بساطة وعفوية هذه الفئة التي صنعت لنفسها آداب خاصة بها تحمل بين أعطافها أفراح وأقراح هذا الشعب بقوالب فنية أدبية.

أخرج فيها الفرد جلّ ما يكابد تفكيره من مشاغل يتعرض لها خلال مسيرة حياته لو أنه صاغ هذه الأشكال الفنية الشعبية حتى يرفه عن نفسه ويخرج الكبت الذي بداخله عبر صياغة مضامين أدبية يصف فيها حالته عن طريق التعبير الشفهي، أو أنه

أنتج هكذا أعمالاً للمسامرات والسهرات الليلية الطويلة فكانت لأغراض مسلية حتى يعبر الفرد عن فرحه وحزنه ارتأى أن تكون هذه الإبداعات خير ما يصف مشاعره وطموحاته بوسيلة التعبير الشفهي التي كانت فاعليته كممثل البلسم على الجرح، كونه أسهم بشكل كبير نقل صورة البيئة والطبيعة الشعبية التي شبَّ الإنسان على خطاها.

الأدب الشعبي هو الأداة الطيبة استعملها الإنسان منذ عصور خلت وترجم فيه كل ما طرأ على حياته ما اعترض سبيله من مواقف وما تصدى لها من مخاطر عن طريق الكلمة المعبرة والأحاسيس الفياض كانت كفيلاً بأن تصف الفوضى والاهتزاز والركود والهدوء الذي جابهه، فابتدع هذه الآليات الفنية حتى يفصح عن ما يجوب في خاطره ويصقل كل ما تعلمه من دروس عبر رحلته الطويلة مع هذه الحياة بإنشاء أرضية خصبة ليسكب فيها كل الأفكار التي تراكمت لديه بعد مخاض عسير مع ظروف الحياة الصعبة، واستطاع بكل ما أوتي له من قوة أن ينسج لنفسه لباساً أنيقاً مصنوعاً بأنامل ذهبية محلية، وبمواد أولية وبزخارف تقليدية شعبية بامتياز عبرت عن أصالة ومهارة أجدادنا وحكاياتهم الشعبية الأصيلة.

الأدب الشعبي علم يختص بدراسة المعارف والعادات والتقاليد التي تعارف عليها أفراد الشعوب الغابرة وعبروا فيها عن كل انشغالاتهم في حقول أدبية شعبية وسيلتها المشافهة، وعن الإبداعات التي أحاكوها لتسهيل سبل الحياة عبر اختراع تقنيات بسيطة تسمح للعاكفين عليها بتناقلها بسرعة و من ثمة ضمان قوة انتشارها بين جميع أطراف المجتمع.

لهذا فإن الأدب الشعبي أرقى من أن يكون مجرد وسيلة عبر فيها الفرد عن حاجات وأمر تخصه فقط بل أنه صنع لحمة واحدة بين أفراد المجتمع فالذي يتألم تتألم معه جميع أفراد المجتمع كذلك الأمر بالنسبة للفرح، هو أدب تضافرت في إنتاجه

جهود أفراد ذلك المجتمع جميعا و في اتصا لهم ببعض قد ولد لدينا أدب راقى نلمس فيه روح الإنسان ونياط قلبه داخل كل المصوغات التي نسجت.

ومن بين المظاهر الدالة على وجود الأدب الشعبي والتي نادى بها الكثير من الباحثين في كتاباتهم وسلطوا عليها الضوء في دراستهم لكل مقاماتها والكشف عن تركيباتها على أساس هذا، فإننا سنحاول أن نستعرض بين هذه الصفحات لأهم الدول الأوروبية التي ولجت في عوالم هذا العلم، لكن قبل ذلك لابد أن نشير إلى نشأة الفولكلور في الدول الأوروبية بصفة عامة، فقد نشأ في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي (ق19 م) "وإذا كانت الدراسات الشعبية لم يبدأ الحديث عنها إلا منذ نصف قرن على وجه التقريب (أوائل القرن التاسع عشر ميلادي)، فإن التراث الشعبي نفسه قديم قدم آداب الشعوب"⁽¹⁾

معنى هذا أن الأدب الشعبي قديم قدم وجود الإنسان الأول على سطح هذه الأرض "وإذا قيل لنا هيرودوت و هوميرو (...) قد أسهما بحق في هذا المجال، فإننا نرد على ذلك بأن هذا الباحث وذلك الشاعر لم يكتب الدراسات الشعبية على نحو علمي بل كان هوميرو (...) شاعرا وهيرودوت مؤرخا في المحل الأول، ولم يكن النتاج الشعبي بالنسبة لهما هدفا في حد ذاته بل وسيلة لخدمة غرض آخر"⁽²⁾

لو فرضنا مثلا أن "هيرودوت وهوميرو" بالفعل كان لهم دور بارز في مجال الدراسات الشعبية فإننا سوف نصطدم بأن هذا الباحث وذلك الشاعر لم يتقيدا بكتابة هذه الدراسة وفق منهجية علمية من باب أن كلا منهما لديه علم يختص به فهوميرو هو شاعر وهيرودوت مؤرخا، لهذا فإن رايل يرى أن دخولهم في عوالم الإنتاج الشعبي ليس هدف بل وسيلة ابتدعها هؤلاء لخدمة أغراض أخرى لا غير ، ويقرر

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص56

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص57.

"رايل" في هذا السياق بأن "العلم لا يصبح علما مستقلا إلا عندما يعثر على جوهره ويتحرر من عبوديته لأي علم آخر، ما لا يصبح العبد حراً إلا بعد أن ينسلخ من عبوديته لسيده"⁽¹⁾

يرى رايل بأن العلم لا يصلح أن يكون علما إلا إذا انطوى على ذاتيته ولملم شتات أفكاره تحت لواء علم واحد وأن يتخلص من بقايا العلوم الأخرى التي تلصق به كونه ستشكل تعميم لرؤية الحقائق على طبيعتها دون زيف أو تصنع مبالغ فيه، على هذا الأساس قد تم جمع الفولكلور" في أوائل القرن التاسع عشر تتبعاً أثرياً، يجريه دارسون من النخبة بحثاً عن بقايا العادات، والمعتقدات، والأغاني، والحكايات القديمة التي اعتقدوا أنه يمكن اقتفاء أثرها في الفنون التقليدية وممارسات الجماعات الريفية في حياتها اليومية"⁽²⁾

عكف الباحثون الأوائل إبان القرن التاسع عشر على استرداد أثر الأجيال السالفة من خلال بقايا أثارها حتى يعرفون تاريخها من عاداتهم الممارسة ومعتقداتهم التي يؤمنون وأغانيهم التي يروحن بها على أنفسهم وحكاياتهم القديمة التي كانوا يستأنسون بها، ظنا منهم أن هذه الأشكال لا محالة ستكشف عن أهم الممارسات المتداولة في الحياة اليومية .

1 – الدراسات الشعبية في الدول الغربية (دراسة نماذج):

لعل المتابع لتاريخ نشأة الدراسات الشعبية عامة وعلم الفولكلور خاصة يلاحظ من الوهلة الأولى أن الدول الغربية كانت السباقة للدخول في مضمار الدراسات ، باعتبار أن هذا العلم يحوي بين جنباته تاريخ الأمم السالفة بآمالها وطموحاتها وأساليبها لحفظ بقائها كان من الضروري أن يفرد الباحثين على الفولكلور كتب

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص58

⁽²⁾ جيمس كورسارو، كارين تاوسج لوكس، الفلكلور في الأرشيف، ترجمة سامية دياب، ص37.

ودراسات تمجد هذا العلم وتحفز كل المهتمين به إلى شحذ الهمم للملمة شتات هذه الإبداعات في مدونات حتى تبقى مرجع أساسي تتلقف منه الأجيال الصاعدة مزيداً من المعارف، وما "ساعد على انتشار الاهتمام بالفولكلور في أوروبا عاملاً أساسياً: أولهما: المؤتمرات التي تعقد تباعاً في كل دول أوروبا الشرقية والغربية، وثانيهما: إتاحة الفرص للباحثين في جميع البلاد للتعبير عن وجهات نظرهم في مجالات التراث".⁽¹⁾

أ — في ألمانيا :

تذكر كتب الأدب الشعبي بأن الاهتمام بالفولكلور ودراسته قد ظهرت في حقب زمنية غابرة، أي قبل اهتمام كل من "جاكوب وجريم فلهالم" بفترات طويلة، إلا أن الباحثون يقرون بأن هذه المحاولات كانت مجرد إرهاصات أولية مهدت الطريق وحركت فيهم نازع البحث ومن بين الشواهد الدالة عن ذلك هو كتاب "جرمانيا" لتاسيتوس وقد ظلّ هذا الكتاب مجهولاً حتى نشر في القرن الخامس عشر، فلقي اهتماماً كبيراً من الألمان الذين كانوا على استعداد في ذلك الوقت لاستقباله بحفاوة بالغة"⁽²⁾

لهذا فقد ذكرت الكتب بأن الفولكلور في ألمانيا قد ذاع صيته في فترات غابرة والدليل عن ذلك هو "كتاب جرمانيا لتاسيتوس" الذي كان له صدى كبير بين الأوساط الشعبية لما يحتويه بين صفحاته من موضوعات تعنى بتاريخ الفولكلور الألماني، يواصل الألمان السير على خطى "تاسيتوس" وعلى يد ثلة كبيرة من الباحثين فنجد أن "سيباستيان فرانك الذي تناول في كتاباته وصف الأحياء والمدن الألمانية

⁽¹⁾نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 13.

⁽²⁾ أحمد علي مرسي، مقدمة في الفلكلور، ص 27.

بصفة خاصة، مما يمكن أن ندخله الآن تحت ما نسميه "بفولكلور الأسماء والمدن والأماكن"⁽¹⁾

وخلال القرن السادس عشر وبعد ما جاء به "تاسيتوس" في كتابه توالد الاهتمامات بالفولكلور ودراسته، فنجد أن سباستيان قد حفزه كتاب جرمانيا إلى وجوب إيلاء الاهتمام بهذا العلم ، فأفرد كتاباً يتحدث فيه عن الأحياء والمدن الألمانية ، وكأنه ويلمسة منه أراد التأريخ لهذه الأحياء والمدن، ولم يتوقف الاهتمام بهذا العلم عند هذا الحد بل أنه في العام الموالي أي في "القرن السابع عشر والذي شهد فترة ازدهار كبيرة، ازداد الاهتمام بجمع الفولكلور كالحكايات والخزعات والمعتقدات الشعبية، وما إلى ذلك، وإعداد الأبحاث عنها"⁽²⁾

الوقت الذي دَوّن فيه تاسيوس "كتاب جرمانيا" حفز الباحثين للولوج في هذا العلم، فكل عام نشهد فيه تطورات جديدة حول استلهم هؤلاء المهتمين بهذا العلم والتأصيل للعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية ...

ولعل أول من دعا بأن الفولكلور علم هما الأخوين "جاكوب جريم وفلهالم جريم" واللذان يشار إلى كل منهما على أنه أب للفولكلور الألماني وإن كان "جاكوب جريم" أكثر شهرة من أخيه بسبب جمعه مجموعة الحكايات الخرافية الألمانية التي اشتهرت في العالم كله بعد ذلك"⁽³⁾

أول من أقر بأن الفولكلور علم قائم بذاته له أسسه التي تصاغ عليه هما الأخوين "جاكوب وفلهالم جريم" اللذان كان لهما الفضل في أن يعطيان وسام الاستحقاق للفولكلور بمصاف الريادة واعتباره علم يهتم بدراسة ما تواضعت عليه قرائح أسلافنا

(1) أحمد علي مرسى ، مقدمة في الفولكلور ، ص 29.

(2) المرجع نفسه ، ص 30.

(3) المرجع نفسه ، ص 29.

من معتقدات وعادات وطقوس وأقوال بليغة ويجمعون كل ذلك بطريقة منظمة ثم يقوموا بشرح وتحليل كل ما تم جمعه ، ذلك لا يمكننا أن نغفل الدور الفعال الذي قامت به الصحف المحلية والتي كانت لها أثر بالغ الأهمية كونها أسهمت بشكل كبير في نشر التراث الشعبي (الفولكلور) والتشهير به والدعوة إلى ضرورة الإمام به.

في "القرن التاسع عشر شهد مجموعة من الصحف المحلية التي كانت تقوم بوظيفة نفسية غاية في الأهمية وهي إرضاء النعرة المحلية الألمانية، لقد قام المحررون بحماس شديد بنشر المقالات عبر المؤلفين المحليين والأدب المحلي وخاصة إذا كشفت المواد الفولكلورية المحلية عن فترة ما قبل المسيحية أو عن العادات القديمة." (1)

خلال القرن التاسع عشر تلقت الصحف هذا العلم وأدرجته بين صفحتها، في دعوة منها إيقاظ الوعي القومي الألماني إلى ضرورة الالتفاف حول هذا العلم، فتحفزت بذلك أنامل المهتمين به وسعوا إلى نشر مقالات تؤصل للفولكلور المحلي عبر تاريخه الطويل والعريض "وتوج هذا الاهتمام الذي أخذ يتزايد يوماً بعد يوم بإنشاء صحيفة لنشر الفولكلور الألماني سنة 1855، لم يقدر لها أن تستمر أكثر من أربع سنوات، لكن على الرغم من قصر عمر هذه المجلة، فإنها أحدثت تغييراً عميقاً في النظريات السابقة نتيجة للتيارات الفكرية العديدة التي كانت تموج بها الحياة الثقافية آنذاك" (2)

في نهاية المطاف و بعد ازدياد موجة الاهتمام بالفولكلور، ونظراً لتزايد الاعتناء بهذا العلم من قبل الباحثين كان من الضروري أن تنشئ صحف لخدمة الفولكلور وتوجيه رؤى الباحثين به إلى ضرورة الإمام به و تثبيت مبادئه لدى القراء للتنقيب

(1) أحمد علي مرسى، مقدمة في الفلكلور ، ص30.

(2) المرجع نفسه ص30.

عن مخلفات أجدادهم وترصيع أحكامها وقوانينها عبر تقنية الكتابة حتى لا تذهب هباءً منثوراً، غير أن فرحة هؤلاء الباحثين لم تدم طويلاً وتوقفت عن الصدور ، لكن رغم أن المدة وجيزة فقد أثبتت وجودها الفعلي من خلال المنشورات التي مهدت الطريق لدراسة الفولكلور بالرغم من تعدد التيارات الفكرية التي تها فيها الحياة الثقافية إبان تلك الحقبة ⁽¹⁾ وتبدأ مرحلة التأصيل الاتجاهات العلمية المنهجية في دراسة الفولكلور منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والذي لا شك فيه أن الفولكلوريين الألمان قد قدموا الكثير لهذه الدراسات عن طريق كتبهم و مقدماتهم التي سموها (Hand Bucher) وقد اشتملت الكتب والمقدمات على معلومات إضافية عن أنماط التقاليد في القرى وعادات الأسر والجماعات، وعرضت لأزياء الفلاحين وغيرهم ⁽²⁾

وتبدأ مرحلة التأصيل الفعلي لعلم الفولكلور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في هذه الفترة أصبح الفولكلور يدرس وفق طرق علمية ومنهجية فقدم الباحثين في هذا المقام العديد من الكتب والمقدمات التي كانت تخدم بالدرجة الأولى هذا العلم وتؤسس له، لكن خلال القرن العشرين فقد شهدت الدراسات الفولكلورية في ألمانيا تطوراً ملحوظاً، والواقع أنه ليس هناك بلد من بلدان أوروبا يضارع ألمانيا كمّاً وكيفاً في ظهور الكثير من الأبحاث التي تتسم بطابعها الإقليمي ⁽³⁾

فكل الكتب التي تهتم بالفولكلور والأدب الشعبي أكدت على هذه الفكرة ، في كون أن ألمانيا كانت السبّاقة في افتكاك المرتبة الأولى في استقطاب المعالم الأساسية لهذا العلم، والذي أكدّ على هذه الفكرة هي المدونات التي ألّفت لهذا الغرض ففي عام 1898 ألف هوجو ماير (الفولكسكندة الألماني)، ويحتوي هذا الكتاب على

(1) أحمد علي مرسي، مقدمة في الفلكلور ، ص30-31.

(2) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص54.

معلومات دقيقة على شكل القرية الألمانية وأشكال البيوت كما يعرض فيه عادات الفلاحين وتراثهم الروائي من حكايات وأمثال وألغاز.⁽¹⁾

"هوجو ماي" كان من بين الداعين إلى ضرورة الإلمام بالفولكلور الألماني وقد أكد على صحة فكرته بإنتاج كتاب تحت مسمى "الفولكسكندة الألماني" والذي رصد فيه معلومات دقيقة عن عادات الفلاحين وتراثهم وعن مساكنهم وبيوتهم ، صورت بشكل أو بآخر مظاهر الحياة في ألمانيا و" في عام 1904 م ألف إريك شميدت **Eric Schmidt** كتابه عن (الفولكسكندة الألماني في العصر الإنساني وعصر تحول المسيحية)، وفي عام 1926 م ألف جون ماير **Joheln** كتابه حول (الدراسات الشعبية الألمانية) كما ألف ولهم **Wilhelem** (موجز الدراسات الشعبية الألماني) في ثلاثة أجزاء، وفي عام 1934 ألف أودولف سبامر **Adophe** كتابه عن (الدراسات الشعبية الألمانية) ويقع في جزأين.⁽²⁾

وهكذا توالى الدراسات الفولكلورية في ألمانيا، والتي جاءت تؤصل لميلاد الفولكلور الذي هو الحلقة الأساس في بناء الشعوب لمعالمها، ولعل هذا ما لمسناه في الإنتاجات الكتابية التي برهن بها هؤلاء الباحثين عن الزخم الثقافي الشعبي وتسليط الضوء عليه بالدراسة.

قام الباحثون الألمان بتقنيات لتسهيل جمع المواد الفولكلورية، فسعوا إلى تجميع الأنماط المتشابهة والمقارنة بينها، وأردفوا تحتها هوامش وتعليقات التي توضح صدق ما جاء في متن هذه الأنماط التي ذللوها بالشروح والتفسيرات حتى يقربوا هذه المأثورات

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص54.

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

لجميع فئات المجتمع، ومما زاد في أهميتها أنها "جميعاً أشبه بدوائر المعارف التي تعرض التراث الشعبي عرضاً تاريخياً نقدياً تفسيراً"⁽¹⁾

وهكذا استطاعت ألمانيا أن تفرض وجودها بدراساتها للتراث الشعبي (الفولكلور) فراح الباحثون في هذا الميدان يفردون أعمال وإبداعات تثمن المقدّرات الشعبية التي تواضع الأولون على إرساء دعائمها بالجمع الحثيث والدراسة الدقيقة عبر تقنيات التحليل والتفسير.

-الاهتمام بالفولكلور في الجامعات والبرامج التكوينية والمؤسسات العلمية والثقافية والجمعيات في ألمانيا:

يمكننا القول بأن الدراسة الفعلية للفولكلور في ألمانيا قد بدأت إبان القرن السابع عشر⁽²⁾ وقدم الباحثون للجامعات الألمانية برسائل علمية عن الخرافات والأشباح، ولكن لما كانت ألمانيا منجرفة في التيار العقلاني الذي ساد في أوروبا أواخر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، فقد قوبلت مثل هذه الأبحاث بالسخرية من قبل المفكرين الذين لم يروها جديرة بالبحث الأكاديمي"⁽²⁾

عندما أحسّ الباحثون بالأهمية الكبيرة للتراث الشعبي سعوا إلى ضرورة جمعه ودراسته وإدراجه كعلم في المؤسسات العلمية الأكاديمية وقدمت في إطار هذا رسائل تؤكد القيمة الكبيرة للفولكلور داخل حياة المجتمعات، غير أن ألمانيا في هذه الفترة كانت منغمسة تحت لواء التيار العقلاني الذي راج صدهاء في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، وإتباعهم لهذه التزعة التي تدعو دائماً إلى إعمال العقل في كل الظروف التي تعترض سبيل الإنسان، فيما أنهم يعقدون وحسب وجهة نظرهم أن التراث الشعبي يبقى مجرد خزعات لا أساس لها من الصحة وبسببها قد

⁽¹⁾نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص54.

⁽²⁾المرجع نفسه ، ص53.

يقلّ وهج التيار العقلي، ولهذا فإن فكرة إدراج التراث الشعبي في البحوث الأكاديمية قوبلت بالرفض كونها غير صالحة للدراسة في المؤسسات التعليمية لأنها ستقف حائل أمام تطور التيار العقلي.

أما عن البداية الحقيقية للأدب الشعبي في ألمانيا فيعود صداها إلى "سنة 1812 على يد الأخوين" فلهايم وجاكوب جريم" اللذان نشر أول مجموعة للحكايات الشعبية تحت عنوان حكايات البيوت والأطفال وقاما بجمع الأساطير وأشكال العادات والقوانين الجرمانية القديمة، بعد أن خشيا الأخوان من موجة الإمبريالية واختلاط العالم بعضه ببعض نتيجة فتوحات نابليون التي قد تطمس معالم الشعب الألماني".⁽¹⁾

البداية الفعلية لتاريخ ميلاد الفولكلور في ألمانيا تعود إلى عام 1812 تحت بصمة الأخوان "جريم" اللذان تدين لهما ألمانيا بشدة كونهما كانا لهما سبق الفضل لما قدماه لألمانيا نتيجة جهود جلييلة خاصة بعد نشرهم لمجموع من الحكايات الشعبية والخرافية ولم يكتفوا بهذا القدر فحسب بل أنهما جمعا كما لا بأس به من الأساطير والعادات والقوانين الجرمانية باعتبارهما يدرسا القانون.

غير أن الدافع الأساسي الذي دفع بالإخوان جريم لجمع التراث هو الخوف من الهزات الارتدادية للموجات الإمبريالية وما الذي سوف تزعزعه هذه الضربات داخل العالم بعضه ببعض، وقد يؤول الوضع إلى ما لا يحمد عقباه إزاء حملة نابليون التي قد تدمر ألمانيا برمتها، لهذا فإن خوف "الأخوان جريم" كانا كفيلا بأن يعبران عن الصحوة الوطنية والوعي القومي للبلاد من خلال جمع مآثورات بلادهم خوفاً عليها من الاندثار.

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 53.

لقد كانت جهود "الأخوان جريم" بمثابة المحفز الأول الذي انبرى به الباحثين فكان ملهمهم الأساسي للدخول في ميدان الأدب الشعبي بكل عزم و ثبات، ولعل هذا ما لمسناه في الأعمال الأدبية والكتائية التي أسسها ثلة من الباحثين في هذا الميدان، لهذا فقد تم إنشاء قسم للدراسات الشعبية في جامعة تونيجن بألمانيا الغربية .

أينعت جهود الكثير من الباحثين للخوض في ميدان الدراسات الشعبية في ألمانيا بعدما هزتهم دراسات جريم وحركت فيهم نوازع البحث الجاد والمثمر، ولعل الدليل البين على هذا الموقف هو ما قدمته "مجموعة بوكاشيو دي كاميرون ولم يقم بها الباحثون الإيطاليون، بل قام بها الألمان، وإلى جانب هذا فإن عملية الجمع الدقيق والفهرسة المنظمة والتصنيف العلمي من أهم ما يميز الدراسات الشعبية الألمانية"⁽¹⁾

مجموعة بوكاتشو الشعرية المتمثلة في دي كاميرون لم يقم الباحثون الإيطاليون بدراساتها إلا أن الألمان قد حزّ في أنفسهم هذا الأمر فراحوا يدرسون هذه المجموعة لما وجدوه فيها متعة دراستها ، إضافة إلى ذلك فإن ما يميز الدراسات الشعبية الألمانية أنها تتبع في دراسة مآثوراتها بتقنيات منهجية كالاعتماد على الجمع الدقيق و الفهرسة المنظمة و التصنيف العلمي ، كل هذه الآليات أهلتها بأن تحتل الصدارة في طريقة دراستها للنصوص الشعبية مؤكدين على صدق نظرهم هذه بالتحليل والتعليق.

كان صدور "مجلة الفولكسندة الألماني" أثر البلم على الجرح كونه زاد الاهتمام بالفولكلور من قبل كافة المهتمين بالتراث كل حسب اختصاصه هذا الأخير الذي لم يمنعهم من أن يتلقفوا التراث من مصادره الأصلية ، أما فيما يخص الأرشيفات الموجودة في ألمانيا فقد ساهم إنشائها بحفظ كمّ كبيراً من المآثورات الشعبية المتناثرة هنا وهناك، عبر إدراجها داخل أطر منظمة تحافظ على سيرورة بقائها بطرق علمية ومنهجية مضبوطة، فمن أهم الأرشيفات الموجودة في ألمانيا نجد: "أرشيف الأغنية

⁽¹⁾نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص54.

الألمانية في مدينة فرايبوج Freiburg الموجود في جنوب غرب ألمانيا و يضم مئات الآلاف من النصوص التي نظمت وصنفت بطريقة رائعة وقد بدأ العمل في هذا الأرشيف عام 1935 على يد كل من جون ماير وايريك سيمان ثم اكتمل فيما بعد، وصدرت من نصوصه أربعة مجلدات حتى اليوم، وشييه بالعمل في مجال الأغنية"⁽¹⁾

مدينة فرايبوج كانت أهم مدينة في ألمانيا تحتضن دراسات الشعبية وبخاصة الأغنية الألمانية، فقد تم تنظيمها وتصنيفها بطريقة مرتبة وغاية في الدقة بغية حفظها من الزوال وتسهيل تداولها بين أفراد المجتمع مرتبة.

من رواد الدراسات الشعبية في ألمانيا اللذين بذلوا قصار جهدهم في الإعلاء من شأن الفولكلور خوفاً عليه من الاندثار، فتلقفوا هذا العلم بالبحث الجاد والدراسة المستفيضة والتي كتبوها بماء العين لأنها تعبر عن الروح الشعبي في صراعه مع تقلبات الحياة بحلولها ومرها فنطق بما في القلب بكلام موزون ومعبر خارجاً من نياط القلب والروح من بين الإعلام الذين نادوا بضرورة جمع التراث .

لقد استطاعت ألمانيا أن تحجز لها مكاناً في القمم وهذا بفضل جهود الباحثين اللذين أخذتهم الحماسة ممتزجة بالغيرة على وطنهم من أن تضع مكتراته التي أبي الاستيطان إلا أن يحمي وجودها ويقضي عليها، لكنهم بالرغم من ذلك استطاعوا يثبتوا وجودهم بأن هناك زخم ثقافي شعبي مدفون في روح كل فرد من أفراد الشعب الألماني.

لذلك بات من الضروري أن تحفظ هذه الإبداعات في بطون الكتب حتى يسهموا بذلك في بناء تاريخ ألمانيا الذي يعتمد بالأساس على التراث الشعبي، وهذا على حدّ

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص55

تعبير جون مايو: "بأن الكتاب الرومانسيون خلعوا معطف الشحاذين عن الشعب الألماني وألبسوه معاطف الملوك وتيجانهم"⁽¹⁾

لهذا فقد كانت مهمة الكتاب الألمان صعبة لكنهم ذللوا كل هذه العقبات واستطاعوا أن يحجزوا لألمانيا مكانة مرموقة بفضل نباعة ونباهة هؤلاء الباحثين بالقيمة الجوهرية التي يتمتع بها الأدب الشعبي الذي يعد المصدر الأول في بناء الشعوب لكيانها.

— أهم أعلام الفولكلور في ألمانيا:

إضافة إلى ما تم ذكره في الأسطر السالفة عن أهم مؤسسي الدراسات الفولكلورية في ألمانيا على كثرتهم وتعدد إنجازاتهم سنكتفي بذكر قلة قليلة منهم "باول سارتوي" بمنجزه "التقاليد والعادات الألمانية" وهو كتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء جمع فيها المؤلف باقة من العادات والتقاليد الرائجة تداولها بين الفئات الشعبية الألمانية، "بوريكات" باحث ألماني آخر أسهم في إثراء خزانة الأدب الشعبي الألماني "بمعجمه المختصر للحكايات الشعبية"، "كورت رانك" بكتابه "شيلزفج هولشين" وهي حكايات شعبية من شمال ألمانيا، و"فريديش زيلر" بكتاب "المثل الشعبي الألماني" أين قام باستحضار الأمثال الشعبية بين صفحات كتابه ملحقا إياها بالتحليل والتفسير.

ب — الدراسات الفولكلورية في فرنسا :

كانت فرنسا كذلك من الدول الغربية التي سلطت الضوء على الفولكلور ودراسته بالرغم من أن فرنسا كانت مستعمرة لبعض دول إفريقيا إلا أنها أدركت فيما بعد بأنه يلزم عليها أن تدرسه من باب أنه علم يختص بدراسة مآثرات السلف، زد على ذلك فإن الفولكلور الخاص بالدول الإفريقية المستعمرة قد أغراهم

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 59 .

في البحث على حساب الفولكلور الخاص بهم، منتهجين في ذلك على سمة ربط الدراسات الشعبية بالدراسات الأثنولوجية* على اعتبار أن الفولكلور لم ينشأ كعلم مستقل إنما نشأ كفرع من الأنثربولوجيا، وهذه الميزة قد تفردت بها فرنسا دون غيرها من الدول الأوروبية الأخرى، في كونها قد عقدت قران بين الثقافات المعاصرة مع ما توفر من أوراق ومستلزمات ووثائق تاريخية قديمة.

هذا ما يعني أن الدراسات الفولكلورية في فرنسا تركز بالأساس على المقارنة بين ما هو معاصر أو ملاحظ بصورة حية و واقعية و بين ما هو قديم غير ملاحظ أي أنه موجود في الوثائق التاريخية المكتوبة.

- المتاحف والأرشيفات والمراكز التي أنشأت في فرنسا للعناية بالفولكلور :

حذت فرنسا حذوا باقي الدول الأوروبية الأخرى في دعوتها لوجوب إنشاء مراكز ومتاحف وأرشيفات تعنى بالفولكلور وتدرسه وتنظمه وفق قواعد وآليات منهجية دقيقة، بغية حفظ الفولكلور ومساعدة الباحثين على دراستها وتوسيع نطاق البحث فيها بين جميع فئات المجتمع، ففي فرنسا تتركز الدراسات الأثنولوجية التي يفوق اهتمام الفرنسيين بها اهتمام أي دولة أوروبية أخرى " تتركز في متحف الإنسان الذي يقع بين ميدان "تروكاديرو" من ناحية ونهر السين و برج إيفل من ناحية أخرى، ويحتل المتحف الأنثربولوجي الضخم الذي تعرض به نماذج إثنولوجية لكل دول العالم"⁽¹⁾

الدراسات المقارنة أو ما يعرف بالدراسات الأثنولوجية كانت فرنسا قد تفردت بهذه الدراسة في جمعها للمادة الفولكلورية حتى أنها أطلقت على المتاحف باسم

*-الدراسات الاثنولوجية: هي دراسات قائمة على مبدأ المقارنة بين الثقافات السائدة في العصر الراهن وبين الوثائق والملفات وملحقات الكتابات القديمة ، ويمكننا أن نطلق على هذه الدراسات بأنها آلية تحليلية تستهدف دراسة الفلكلور وصولا إلى ملمح عام حول العادات وآثار الاتصال بين الثقافات.

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ،ص13-14.

متحف الإنسان كون هذا الأخير هو مركز اهتمام هذه الدراسة منذ القديم وحتى وقتنا الراهن، ويمكن القول بأن المتحف بهذه الصورة أشبه ما يكون بمعهد مكتمل يتولى الإشراف على الدراسات الأثنولوجية في شتى جوانبها.

كما أنشئ في فرنسا مركز للدراسات الأثنولوجية والفولكلورية "مختصا بفرنسا وحدها وأطلق على هذا المبنى "متحف الفن والتراث الشعبي الفرنسي" ويعد هذا المتحف وفقا لخطته المدروسة ثمرة دراسات واسعة و ثمرة جهود المختصين في هذا الميدان"⁽¹⁾

أثمرت جهود الباحثين في ميدان البحث الأثنولوجي في فرنسا بإقامة متحف خاص فقط بتراثها.

– المراكز والمعاهد والمتاحف الموجودة في فرنسا وتختص بالدراسات الأثنولوجية وربطها بالفولكلور :

– تركزت الدراسات الشعبية التي وضعت جنبا إلى جنب مع الدراسات الأثنولوجية ونتج عن ذلك إنشاء متحف الإنسان الذي يعنى بدراسة نماذج اثنولوجية خاصة بدول العالم.

– متحف الفن والتراث الشعبي الفرنسي.

د – الدراسات الشعبية في بريطانيا :

بدأ الاهتمام بالدراسات الشعبية في بريطانيا في فترة متأخرة نوعاً ما على الاهتمام به في الدول الأوروبية الأخرى"ومع ذلك فقد مرّ جمع الفولكلور والاهتمام العميق بدراسة مواده في طريق طويل ممتد منذ القرن السابع عشر بدأ بكتابة ولیم كامدن

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص14.

عن لندن حتى كتابات جون أوبري وغيره في العقود الأخيرة من ذلك القرن وأوائل القرن الثامن عشر⁽¹⁾

الإرهاصات الأولى للاهتمام بالفولكلور وجمعه مع بداية القرن السابع عشر وكان أول نوه بهذا العلم في بريطانيا هو "وليم كامدن" الذي يتحدث فيه عن لندن وعن المآثورات الشعبية المتواجدة فيها، وكانت هذه الدراسة بادرة خير على الباحثين البريطانيين الذين أخذوا بزمام هذه الدراسة في التفتيش عن الفولكلور ودراسته.

أما في المرحلة الموالية فإن تطور الدراسات الفولكلورية في بريطانيا تزامن مع فترة ازدهار الحركة الرومانسية خلال القرن الثامن عشر بظهور أعمال فولكلورية أكدت هذا الحدث فشهدت هذه الفترة إنجازات كل من الأسقف توماس بيرسي، وسيرو ولتر سكوت، وكانت أعمال هؤلاء لها أثر كبير في تطور الدراسات الفولكلورية وازدهارها.

كتاب **Minster of scottsh Borders** للأسقف توماس بيرسي فقد كان واحد من أهم الكتب التي كانت واسعة الانتشار خلال القرن التاسع عشر وأثر تأثيراً كبيراً على الدارسين والجامعيين على حد سواء⁽²⁾

يذهب معظم الباحثين إلى أن علماء الفولكلور في بريطانيا قد تأثروا بأعمال جامعو الفولكلور في البلدان الأوروبية الأخرى بذات في "ألمانيا بجهود الدارسين في الدول الاسكندنافية وفي فنلندا خاصة، ويذهب ريتشارد درسون إلى أن المرحلة التي تبدأ بعام 1813 كانت هي مرحلة الأساس بالنسبة لتاريخ حركة الاهتمام البريطانيين بالفولكلور⁽³⁾

(1) أحمد علي مرسي، مقدمة في الفلكلور، ص 37.

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص 39.

نتيجة التأثير والاحتكاك بالدول الاسكندنافية وبفنلندا خاصة وألمانيا بشكل أخص والذين كان لهم سبق الريادة في تصدر هذه الدراسات وأول من هيا الظروف وحين الفرص لجمع ودراسة الفولكلور، فكانت هذه الدول محط اهتمام الباحثين البريطانيين فاعتبروهم النموذج الأول الذي سيمنحهم المبادئ الأساسية في طرق باب جمع المواد الفولكلورية وتفسيرها وتحليلها، ويرجح ريتشارد درسون بأن سنة 1813 كانت الإنطلاقة الأولى لبدا حركة الاهتمام بالفولكلور في بريطانيا.

خلال منتصف القرن التاسع عشر بلغت الدراسات الفولكلورية في بريطانيا ذروتها وكان هذا بفعل اكتسابها لمكايح القوة الاستعمارية من زاوية، وامتلاكها لنصف الكرة الأرضية تقريبا من ناحية أخرى كان عاملا في ارتقاء الدراسات الفولكلورية بفضل الجولات والرحلات التي قاموا بها البريطانيون لنقل التعابير الشعبية والعادات والتقاليد من جميع أنحاء العالم.

- الانجازات التي تحققت بفعل الاهتمام بالفولكلور في المتاحف والجمعيات والمؤسسات العلمية والثقافية في بريطانيا :

أثمر الاهتمام الجاد بالفولكلور في بريطانيا إلى إنشاء مرافق ومؤسسات تحفظ هذه الانجازات الفولكلورية و تحافظ على سرّ بقائها من خلال الجمع والدراسة والتصنيف للمواد الفولكلورية وأدت هذه الاهتمامات المتكررة بالفولكلور إلى ميلاد متحف القرن الثامن عشر الذي تزامن وجوده بيزوغ شمس الفولكلور مع ازدهار الحركة الرومانسية التي فتحت الباب على مصراعيه لإحداث هزة في ذوات الدارسين والجامعين الذين راحوا يستقطبون علم الفولكلور بالدراسة والجمع بدليل وجود عدّة إنجازات قاموا بصناعتها من أجل ركب التطور في هذه الدراسات إقتداءً بالدول الأوروبية الأخرى، فلقد 'إنتهب حماس العلماء إبان مجد بريطانيا وراثتها في العصر

الفكتوري للبحث عن القديم خاصة وتدوين كل ما يلاحظونه في الريف وأطراف المدن، وقامت الجمعيات المحلية التي كانت تنمو يوما بعد يوم⁽¹⁾ لقد ازداد الاهتمام بالفولكلور من قبل العلماء خلال فترة ارتقاء بريطانيا في عهد الحكم الفكتوري الذي كان الدافع المباشر ودعى العلماء إلى ضرورة الالتفات حول كل ما هو قديم وتدوين كل ما يلاحظون في الأرياف والمدن، فحرصوا على إنشاء جمعيات محلية حتى تتكفل بكل هذه الانجازات الفولكلورية ودراستها، بالرغم من سير بريطانيا في دراستها للفولكلور بخطى متباطئة وبسيطة إلا أنها أثبتت وجودها بوجود أعلام ودراسات قد قيلت في هذا المقام ، وألت ولو بالنذر القليل بالأعمال الفولكلورية.

- أهم أعلام الفولكلور في بريطانيا:

هناك العديد من الباحثين البريطانيين الذين أسسوا لهذا العلم من ضمنهم "جون براند" بمنجزه "الأثرية الشعبية" وهو كتاب يعنى بدراسة الإحتفالات المرتبطة بالمناسبات المختلفة، و"ريتشارد درسون" بمنجزه **Brilish folklorists** وهو كتاب يتحدث عن تاريخ الإهتمام بالفولكلور في بريطانيا، و"سيرو ولتر سكوت" بمنجزه الأغاني الشعبية القصصية **"Ballads"** عبارة عن أشعار شعبية مغناة وفي ذات الوقت تحوي في طياتها قصص شعبية.

2- الأدب الشعبي في بعض الدول العربية :

لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن ننكر جهود الباحثين والدارسين العرب الذين هبوا هبة واحدة في استئصال الأدب الشعبي من رحم متداوليه وجمعه ودراسته بالتحليل والتفسير، كيف لا وأنهم وجدوا في هذا النوع من الدراسة متفهمهم وأدركوا في النهاية المطاف أنه أحسن من عبر عن مكونات الروح بالكلمة المعبرة

(1) أحمد علي مرسى، مقدمة في الفلكلور، ص38.

والمعنى العميق الدلالة لأنه يمثل زبدة أفكار وإنتاج القرائح الشعبية التي تفننت في صياغته، فنجد في هذا السياق ثلة من الكتّواب قد تبنوا هذا الموضوع وساقوه في صفحات كتاباتهم.

أما العصر الحديث والمعاصر فنجد "الألوسي" بعملة "بلوغ الإرب" والذي ذكر فيه التشابه الحاصل بين العرب من خلال تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وامتزاجها مع بعضها البعض، كما رصد في هذا المؤلف التقارب الحاصل بين العرب من خلال مآثوراتهم الشعبية التي قد تكون مشتركة أو مطابقة لمقدرات الشعوب بين البلدان العربية فيما بينها، كيف لا وهو تراث إستمد وجوده من قلب الواقع النابض بالأحداث حيث تفاعل مع هذه الأحداث والوقائع ليشكل بعد هذا قالب ملم بمقدرات الشعوب من عادات وتقاليده ومعتقدات.

لعل ما وقفنا على أطلاله إبان العصر الحديث والمعاصر وحاولنا أن نتوقف عند أهم المحطات العربية التي استقبلت فكرة الاهتمام بالأدب الشعبي بصدر رحب وبكرم ضيافة لا مثيل لها، نتيجة لصراعات والحروب لم يولي الباحثين للأدب الشعبي الاهتمام اللازم في البحث عنه والإلمام به، كونهم كانوا يعانون من الاستعمار الذي حاول منذ أن وطأت قدماه الأراضي العربية أن يطمس معالم الهوية الوطنية بدأ بصغائر الأمور وتوافهها.

كان وجود الأدب الشعبي في الأوساط العربية جريمة يعاقب عليها المستعمر في كون أن الأدب الشعبي يشكل بالنسبة لهم عائق لفرض سيطرتهم على هذه البلدان، غير أن الأدب الشعبي من زاوية أخرى قد كان محلّ اهتمام ومصدر إلهام للمستشرقين اللذين أعجبوا بهذا المآثور الشعبي العربي وما يحمله من مضامين توحى بصفاء ونقاء المخيلة العربية الشعبية ويانتاجياتها المتنوعة.

لهذا فقد أطلق على الباحثين الذين يهتمون بدراسة علوم الشرق من أعراف وثقافة وديانة وعادات وتقاليده مصطلح المستشرقين، أما بخصوص الدراسات المقدمة على العالم الشرقي فيطلقون عليها تسمية الاستشراق، وهذا النوع من الدراسة يختص بدراسة المواضيع التراثية والثقافية والتاريخية والدينية للشرق، فكان أول من قام بالاهتمام بالتراث الشعبي ودراسته هم المستشرقون الغربيون اللذين⁽¹⁾ كانوا سابقين إلى النظر في التراث الشعبي العربي نظرة علمية حديثة، فقد وضع المستشرق الألماني رودري باريت دراسة لسيرة سيف بن ذي يزن عام 1921 م ووضع برنارد هيلر عام 1931 م مغزى سيرة عنترة الشعبية دراسة في الآداب المقارنة، ووضع المستشرق الألماني هيلموت فانجلين 1936م السيرة الشعبية العربية عن الملك الظاهر بيبرس⁽¹⁾

التراث الشعبي العربي كان محط اهتمام ومصدر إعجاب من طرف المستشرقين الغربيين اللذين انهمالوا على دراسته وجمعه بطرق علمية حديثة، ولعل هذا ما لمسنا أثره في أعمال المستشرق الألماني رودري باريت الذي قام بدراسة سيرة سيف بن ذي يزن بالتحليل والتفسير في كونها من الأعمال الأدبية التي نالت حظوتها من قبل الباحث الغربي والعربي على حدٍ سواء لما تحملته من بطولات وأجساد وتضحيات الشيء الكثير.

أما هيلر برناد فقد قام بدراسة مقارنة عن سيرة عنترة الشعبية وما تتمتع به هذه السيرة من قيم ومعالم جديرة بالدراسة، أما المستشرق الألماني هيلموت فانجلين الذي سلط الضوء على السيرة الشعبية العربية عن الملك الظاهر بيبرس بالبحث الحثيث والدراسة المستفيضة التي تعطي الوجه الحقيقي لهذه السيرة بجل تفصيلها وخلفياتها، لم يقتصر جمع المستشرقين الغربيين على السيرة العربية الشعبية فحسب، بل أنهم حاولوا

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص158.

أن يدرسوا مختلف الانتاجات الشعبية على كثرتها واتساع نطاق البحث فيها، لهذا فقد اجتاح المدّ البحثي حتى معالم الحكايات الشعبية.

لقد أعجب المستشرقون بالإنتاجات التراثية الشعبية على اختلافها ، وكان انتشارهم في مختلف الدول العربية قد حفزهم لدراسة المأثورات الشعبية الغنية بمواضيع متعددة المشارب ودراستها بالتحليل والتفسير ، زد على ذلك قاموا بإصدار مجموعات ضخمة خاصة بالحكايات الشعبية العربية.

أ — الاهتمام بالأدب الشعبي في مصر :

كانت الانطلاقة العربية للإلمام بالتراث الشعبي العربي من مصر و على " وجه التحديد في ثلاثينات القرن العشرين الميلادي (ق 20 م) " بصدر رسالة سهير القلماوي عن ألف ليلة وليلة ورسالتى عبد الحميد يونس عن سيرة الظاهر بيبرس وسيرة بني هلال و(قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية) (1953 م) لأحمد أمين و كتابي رشدي صالح (فنون الأدب الشعبي) و(الأدب الشعبي) ⁽¹⁾

أول من بادر بدراسة الأدب الشعبي هي مصر وكان لها شرف إحتضان هذا العلم فإبان القرن العشرين برعت أنامل ثلة من الباحثين أمثال سهير القلماوي عن ألف ليلة وليلة وعبد الحميد يونس بدراسته لسيرتي الظاهر بيبرس وبني هلال، وسعى كل منهم بطريقته ومنهاجه أن يضع حجر الأسس لهذا العلم وإحتواءه بالجمع والبحث.

أما فيما يخص الخطوة الأهم والتي أخذت طابعا رسمياً " تمثل في إنشاء مركز الفنون الشعبية سنة سبع وخمسين و تسعمئة وألف ميلادية (1957) وهو المركز الذي يرجع إليه الفضل الكبير في الحفاظ على الفنون الشعبية المصرية

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم ، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، ص 162 .

والتعريف بها ⁽¹⁾ في عام 1957 أحست مصر بأنها قد تفقد المأثورات الشعبية أو يضمحل أثرها قامت بإنشاء مركز للفنون الشعبية.

⁽²⁾ وفي سنة خمسة وستين وتسعمائة وألف ميلادية (1965م) أرسلت البعثات الميدانية لجمع التراث القومي المصري وتدوينه، هذا علاوة على إصدار مجلة مركز الفنون الشعبية (1959 م) ومجلة الفنون الشعبية بالقاهرة (1965 م) ⁽²⁾

سنة 1965 قامت مصر بإرسال البعثات الميدانية لجمع التراث القومي المصري من أفواه الشعب و قاموا بتدوينه، زد على ذلك فإن إنشاءها لمجلة مركز خاص بالفنون الشعبية عام 1959 قد ساعدها حفظ التراث الشعبي، كذلك بالنسبة لمجلة الفنون الشعبية بالقاهرة التي كان لها فضل السبق في احتضان الأدب الشعبي المصري ودراسته والتعريف به.

- أعلام الأدب الشعبي في مصر:

اسم المؤلف	اسم الانجاز	نوع الانجاز
سهير القلماوي	رسالة دكتوراه	دراسة وتحليل قصص ألف ليلة و ليلة
عبد الحميد يونس	رسالتى عن السيرة	دراسة ضمنية لسيرتي الظاهر بيبرس وبني هلال
أحمد أمين	العادات و التقاليد والتعابير المصرية	قاموس جامع العادات والتقاليد المصرية
رشدي صالح	فنون الأدب الشعبي. — الأدب الشعبي .	كتابين يدرسان حالة الأدب الشعبي في مصر العربية .

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص171.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص163

ب — الاهتمام بالأدب الشعبي في العراق :

زاد حماس الاهتمام بالأدب الشعبي في العراق بعدما أعجبت بما قامت به مصر في دراستها له، فتشجعت وبذلت جهوداً مضيئة في الإلمام به⁽¹⁾ فأنشأت سنة ثمان وخمسين تسعمائة وألف ميلادية (1958) قسماً خاصاً بالفنون الشعبية تابعاً لوزارة الإعلام⁽¹⁾ فقد أنشأت سنة 1963 سلسلة من الكتب التي تعرف بالتراث العراقي.

اسم المؤلف	اسم الانجاز	نوع الانجاز
الشيخ جلال الحنفي	الصناعات والحرف البغدادية	كتاب يهتم بالحرف والأشغال الحرفية اليدوية التي تعبر عن الثقافة الشعبية العراقية
عبد الحميد العلوجي	من تراثنا الشعبي	يصور هذا الكتاب جانبا من الثقافة الشعبية العراقية .
لعزيز جاسم الحجية	بغداديات	مؤلف يتحدث فيه الكاتب عن الثقافة الشعبية البغدادية .

أما عن أهم الانجازات التي قامت بها العراق في سبيل الإحفاف بالتراث الشعبي كان صدور مجلة التراث الشعبي في العراق بادرة خير لتوالي الدراسات الخاصة بالتراث حيث صدر تشريع حكومي يقضي بضرورة إنشاء مركز يهتم بالفولكلور فكانت مهمته الأولى هو إلقاء الضوء على جوانب الأدب الشعبي العراقي بمختلف جوانبه.

(1) نبيلة إبراهيم ، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 165

ج - الأدب الشعبي في سوريا :

في سوريا كان العناية بالأدب الشعبي محط اهتمام العديد من الباحثين اللذين سعوا إلى جمع شتات هذا التراث وحفظه ودراسته لهذا فقد أنشأت عام 1958 لجنة تابعة للمجلس الأعلى للفنون والأدب لرعاية الفنون الشعبية وخصصت متحفاً فولكلورياً، وأصدرت به كتب عديدة.

كان الاهتمام بالأدب الشعبي في سوريا ضرورة ملحة فرضها الشعور القومي لدى شعوبها فأقاموا بخصوص ذلك لجنة تكون تابعة للمجلس الأعلى للفنون والأدب للإلمام بالفنون الشعبية، كما أسسوا متحفاً فولكلورياً يهتم بشؤون المعارف والفنون الشعبية إضافة إلى ذلك فإنهم أبدعوا كتباً مختلفة تأسس لعلم الفولكلور في مختلف مناطق سوريا .

د - الأدب الشعبي في تونس:

كانت البداية الفعلية لميلاد الأدب الشعبي بتونس خلال القرن العشرين ميلادي (ق 20 م) ، دليل ذلك الإنجازات والإصدارات والأعمال المقدمة بهذا الصدد، فقد أصدرت بهذا الشأن العديد من الأبحاث في "مقدمتها مقالات محمد بالخوجة ، وأبحاث الشيخ الكعك عن عادات الأعراس والمواكب وأبوابها وأسواقها ومعالمها، ودراسات المنوبي التونسي المتعلقة بالموسيقى الشعبية التونسية، وما كتبه صادق المرزوقي عن الأغاني التونسية (كتاب الأغاني التونسية 1968 م)"⁽¹⁾.

قام الباحثون التونسيون بدراسة عديد الأمور الرائجة تواترها في زمن خلى وولى، نفصو عليه غبار القدم وأعادوا إحيائه عن طريق البحث الحثيث عن أصوله الأولى، والتفتيش عن العادات التي تقام في الأعراس التونسية على اختلاف مناطقها وعاداتها

⁽¹⁾نبيلة إبراهيم ، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 167

وطقوسها الممارسة، كذلك هو الأمر بالنسبة لتاريخ الصناعات التقليدية بتونس، وعن حاراتها المتعددة وأبوابها المرتفعة وأسواقها الكبيرة والمتنوعة وعن معالمها الشاهقة والشاحخة التي تحكي عقود من الزمن الغابر.

كما سلط الباحثون الضوء على الموسيقى الشعبية التونسية المختلفة والمتعددة ، أما عن أبرز الانجازات التي أقيمت من أجل الإلمام بالأدب الشعبي فإنهم أنشأوا مجلساً أعلى لرعاية الفنون الشعبية ومركزاً خاصاً بجمع المادة الفولكلورية وتصنيفها حتى يحفظ الباحثون التونسيون هذه المكتنزات أقاموا لها مجلس أعلى لحماية مآثوراتها وفنونها الشعبية كما قاموا بإنشاء مركزاً فولكلورياً يهتم بجمع المواد الفولكلورية وتسجيلها وتصنيفها.

هـ - الأدب الشعبي في الجزائر :

الجزائر لم تكن بعيدة عن البحث في ميدان هذه الدراسات رغم المعوقات التي عرقلت السير الحسن لنمو هذا العلم فيها ، وكان بعد استقلال الجزائر من الحرب الضروس التي شنتها فرنسا على الجزائر لأجل بسط نفوذها والاستحواذ على مدخراتها ، وبعد فترة زمنية طويلة الأمد دامت قرابة اثنين وثلاثون سنة (32 سنة) لهذا فقد أصدرت ليلي روزلين قريش بعملها الأكاديمي المعنون بالقصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، اتبعت في دراستها هذه المنهج التاريخي لغرض التأصيل للحكاية الشعبية في الجزائر مع التأكيد على أن مصدر القصص الجزائري عربي وليس فرنسي.

كما أصدر عبد المالك مرتاض مؤلف بعنوان الألغاز الشعبية الجزائرية دراسة في ألغاز الغرب الجزائري، ركز عبد المالك مرتاض في دراسته على الألغاز الشعبية التي كان حضورها لافت للانتباه كونها تعمل على إعمال العقل وتنشيطه ، وقد أولى الاهتمام في ذلك على الألغاز الرائجة في الغرب الجزائري ، كما أصدر عبد المالك

مرتاض منجز آخر تحت عنوان "الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية و الاقتصادية بالغرب الجزائري " رصد عبد المالك مرتاض في هذا العمل أهم الأمثال الشعبية المتواجدة في الغرب الجزائري والخاصة بالمواسم الزراعية والاقتصادية.

وأصدر عبد الحميد بورايو مؤلف بعنوان "القصص الشعبي في منطقة بسكرة" عام 1985 م ويعتبر عبد الحميد بورايو من مؤسسي الدراسات البنيوية للتراث الشعبي، ثم اتبعها بإنجاز البطل الملحمي والبطلة الضحية 1988 في هذا العمل فرق بين البطل الرئيسي أو المركزي في القصة والبطلة الضحية التي يمارس بشأنها كل مظاهر الظلم والقهر، اتبع هذا العمل بإنجاز بحث موسوم بـ "الحكاية الخرافية للمغرب العربي" وقام فيه بتحليل خمس خرافات مغربية عن طريق الشكل والمضمون.

قدم بعد ذلك أطروحة دكتوراه دولة بعنوان "المسار السردى و تنظيم المحتوى" وهي عبارة عن (دراسة سيميائية لبعض من حكايا ألف ليلة وليلة) كما قام عبد الحميد بورايو بدراسة الحكاية الجزائرية باللغة الفرنسية وكانت تحت عنوان : le populaire algériens d'expression arabe cont ، تم في هذا المقام التركيز على الحكاية الشعبية الوطنية المحلية مع الإشادة بدورها ومدى فعاليتها في تعليم وتكوين النشء، كما تم التطرق لذكر أهم المناسبات التي تسرد فيها هذه الحكايات اعتماداً على المنهج الوظيفي.

كما أصدر التلي بن الشيخ والذي يعد من أبرز مشاهير الشعر الشعبي الجزائري مؤلف بعنوان "دراسات في الأدب الشعبي 1989" و "منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائر عام 1990"، وفي هذين المؤلفين ركز التلي بن الشيخ على الأدب الشعبي الجزائري وما يحمله من مضامين متنوعة و قام بدراسته بالتفسير والتحليل.

إضافة إلى ذلك قدم رابح بلعمري مؤلف بعنوان "الوردة الحمراء" la rose rouge والتي ضمن فيها عشر قصص شعبية من الشرق الجزائري، هذا هو حال الأدب الشعبي في الجزائر بالرغم من التأخر في دراسته إلا أن الانجازات المتوالية بشأنه قد دونت حروفها من ذهب وأصبحت مراجع لا غنى عنا لكل باحث كونها مؤلفات تؤصل لميلاد الأدب الشعبي الجزائري وتحفظ ماء وجهه.

أهم المتاحف الشعبية الجزائرية:

خصصت الدولة الجزائرية عديد المتاحف التي تعنى باحتواء المقدرات الشعبية نذكر منها: متحف باردو بالجزائر، متحف تيمقاد، المتحف الوطني للآثار، متحف المجاهد، متحف الفنون الشعبية...

بالحديث عن قضية ميلاد الأدب الشعبي في الأوطان العربية وكيف تنبعت هذه الأخيرة لدراسة المقدرات الشعبية إستوقفنا عديد الإشكاليات وصارت بشأنها تجاذبات فكرية شتى إستدعتها ضرورة حتمية هدفها في المقام الأول التعرف على أهم مراحل نشأة الأدب الشعبي التي تواضع الباحثون في إيرادها وهي:

—مرحلة الريادة :

"وتمتد هذه المرحلة من مطالع الحضارة العربية إلى خمسينات القرن العشرين وقد غلب على هذه المرحلة ورود الشواهد الشعبية عن غير قصد وفي سياق كتب التاريخ والأدب فقد حفلت كتب المؤرخين والأدباء والجغرافيين والرحالة العرب وعلماء الفلك بذكر شواهد من طبائع الأمم التي خالطها العرب."⁽¹⁾

معنى هذا أن المؤرخين والباحثين الأدباء والجغرافيين والرحالة كانوا يستجمعون الأدب الشعبي بين صفحات كتاباتهم لكن عن غير وعي، لكن هناك من نادى بضرورة البحث عن التراث الشعبي والإلمام به، ولعل من بين الأصوات التي نددت

⁽¹⁾ نادية الدمرداش، علا توفيق، مدخل إلى علم الفلكلور، ص 18.

بمذه القضية نجد كل من "عبد الحميد ابن خلدون الذي أصبح رائد لعلم التاريخ ونظريات الاجتماع ،ورفاة الطهطاوي الذي كان له فضل ترجمة المؤلفات الفرنسية للغة العربية"⁽¹⁾ وغيرها من المؤلفين الذين بذلوا قصار جهدهم لدراسة الحياة الشعبية في عصور من الزمن خلت فقاموا بدراسة الصناعة الشعبية والحرف والعادات والتقاليد والخرافات...

- مرحلة ظهور الجهود العلمية المتعلقة بالفولكلور :

هذه المرحلة اتسمت بالجدّ والجديّة وأضحت البحوث و الانجازات الشعبية تخضع لأسس ومقاييس علمية كالرسائل الجامعية والمؤلفات التي دونت خارج الجامعة ومثلتها أسماء كان لها فضل السبق في الانجاز أمثال "عبد الحميد يونس، رشدي صالح، نبيلة إبراهيم، عبد الحميد بورايو، التلي بن الشيخ، الكعك، محمد بلخوجة، عبد الحميد العلوجي... إلخ" فأصبحت بذلك كل دولة تهتم بتراثها الشعبي وتجمعه من أفواه قائله مع إخضاعها لمبادئ وأسس علمية بحتة تعنى بدراستها وإدراجها بين اروقة الكتب وفي بطون المذكرات الأكاديمية ، وبالحديث عن الأدب الشعبي في الوطن العربي يجرنا البحث للوقوف عند أطلال التأليف العلمي للأدب الشعبي عند الغرب والعرب على حد سواء مع ذكر أهم الدعائم التي صوبت نظرة الباحثين لإقامتها لوجوب الإهتمام بها بغرض الحفاظ على التراث الشعبي.

- ثالثا :التأليف العلمي للأدب الشعبي عند العرب :

عرفت الدراسات الشعبية في الدول العربية تطورا مذهباً واتفقت هذه الدول في العموم على تحديد المفهوم العام للتراث الشعبي، وأسباب دراسته والهدف الأسمى من دراسته.

(1) نادية الدمرداش،علا توفيق،مدخل إلى علم الفلكلور، ص18.

كانت الانطلاقة العلمية للاهتمام بالأدب الشعبي العربي والإشادة به¹ بانعقاد (مؤتمر المآثورات الشعبية) في الثالث عشر من شهر أكتوبر من سنة إحدى وسبعين وتسع مائة وألف ميلادية (1971) تحت رعاية جامعة الدول العربية⁽¹⁾

أكد هذا المؤتمر على وجوب دراسة المآثورات الشعبية إذ كان محط اهتمام الباحثين في مختلف الأقطار العربية، فهو المكان الذي اتحدت فيه أفكارهم وتوسّعت فيه نظرتهم للتراث الشعبي وكان نتيجة هذا هو اتفاقهم على تحديد واحد وعشرين وصية ولكن كان أبرزها على الإطلاق هو دعوتهم لإنشاء مجلس قومي يلم بالمشاريع الشعبية العربية ويحافظ عليها بالدراسة والتحليل والتفسير غير أنه في هذا المجلس قد اتفق على تحديد جملة من النقاط التي من بينها:

✓ تشجيع الهيئات الرسمية والأفراد على جمع المآثورات الشعبية وتصنيفها وجمعها، وتشجيع الاستفادة منها في ميادين البحث العلمي والإبداع الفني وما يتعلق بميادين التعليم.

✓ تحفيز الباحثين وأفراد الشعب على ضرورة لم شمل المآثورات الشعبية لإفادة الأجيال اللاحقة بعلومها ومعارفها، كما دعوا إلى ضرورة إدراج هذا العلم في برامج التعليم.

✓ التعرف بالمآثورات الشعبية والتأكيد على قوميتها، على المستويين العربي المحلي والعالمي.

✓ الإشادة بالمقدّرات الشعبية والتأكيد على أنها معارف نابعة من قلب القوم.

✓ العمل على إنشاء هيئات علمية قومية خاصة بالمآثورات الشعبية، مثل معهد الدراسات العربية الفولكلورية والأرشيف القومي للمآثورات الشعبية العربية.

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 171.

✓ إصدار مطبوعات محققة وإصدار مجلة للمأثورات الشعبية العربية تهتم بالتراث الشعبي القومي.

✓ دعم التعاون بين مختلف الهيئات العربية الخاصة بالمأثورات الشعبية العربية والعمل على التنسيق بينها.

✓ توحيد شمل الهيئات العربية التي تعنى بالتراث العربي والتنسيق بينها.

✓ تمثيل التراث الشعبي العربي في مختلف الهيئات الثقافية الدولية مثل "اللجنة الدولية للفنون والمأثورات الشعبية التابعة لليونسكو والتعريف به، وعلى المجلس أن يوفد مندوبين عنه إلى المؤتمرات والندوات واللقاءات الثقافية في مختلف أنحاء العالم"⁽¹⁾

✓ الإشهار بالمقدرات الشعبية العربية بين مختلف الهيئات والمراكز والمعاهد الدولية، والتعريف بالمأثورات الشعبية الزاخرة بالمواضيع الضاربة في القدم والتأريخ لها.

كل هذه البنود وغيرها كانت الأساس لتنسيق الرؤى بين الباحثين لدراسة الأدب الشعبي العربي وفق معايير علمية تكون أكثر دقة وأعمق موضوعية وأكثر ملامسة وتجسيدا للواقع بما يحمله في جعبته من مواضيع جديدة بأن تكون محط لدراسة علمية مقننة، فكانت ممهدة لبناء لبنات خطوات التأليف العلمي للأدب الشعبي العربي.

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 171-172.



الفصل الثاني

موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية

دراسة في نماذج

- توطئة.

أولا : دراسة في موضوع : الأغنية الشعبية في الجزائر — منطقة الشرق الجزائري نموذجا —

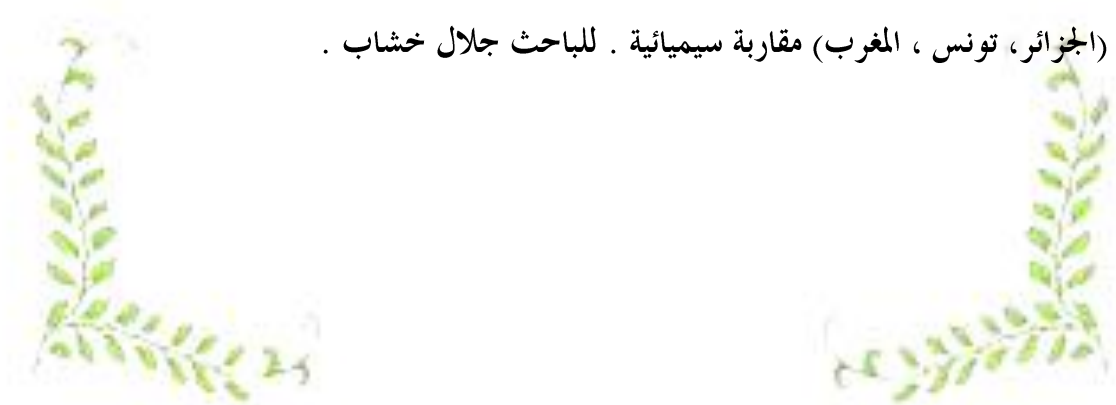
للباحث : عبد القادر نطور .

ثانيا : دراسة في موضوع : التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطبجي للباحث :

عبد اللطيف حني .

ثالثا : دراسة في موضوع : توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشعاري المرئي المغاربي

(الجزائر، تونس ، المغرب) مقارنة سيميائية . للباحث جلال خشاب .



- توطئة:

مواضيع عديدة نسجت بخصوص الأدب الشعبي أحيكت فصولها تبعاً للحالة النفسية والاجتماعية التي يحيا في منظومتها الفرد داخل محيطه، صيغت في قوالب إبداعية متنوعة تتم على صفاء المخيلة الشعبية ونقاء تفكيرها، تفننوا في بناء لبناتها وسكبوا فيها جلّ ما يساور تفكيرهم من خلجات الروح، أطلقوا العنان لبنيات أفكارهم حتى تبزغ وتعبّر وتخرج للعلن متعربة من كل القيود التي تثبط جماحها بغية إيرادها في حلة جديدة تتناسب ومقاس تفكيرهم.

التنوع في مواضيع الأدب الشعبي أفضى إلى إحداث تنوع في الدراسات الشعبية الأكاديمية، أين هبّ الدارسون الجزائريون هبة واحدة للبحث الجاد عن معالمة وتلقفوا إنتاجات هذه العلوم من رحم البيئة الاجتماعية التي ترعرع فيها أو إرتحل إليها أو إستزاد من معارفها، حلحل هذه المقدرات وحللها وفسّرها وإستخرج منها قيم وعادات وتقالييد ومعارف الفئات الشعبية المتجذرة فيه واللاصقة في مخياله تأبى الإندثار، بل أن الزمان والمكان كفيلا أن يحفظا كنهها إذا أصر الإنسان على حفظها والسير على خطاها ونبذ كل ما يززع كيانها بأن يصدّ ويتصدى لكل من يحاول المساس به حفاظا على دستور الأمة الشعبية.

يتساءل السائل عن أي المواضيع نتحدث؟ هل هي مواضيع عامة تخص مختلف العلوم؟ أم أنها خاصة ترعى في إهتمام بالغ إحتواء علوم معرفية بعينها وتقوم عودها وتثريها بالبحث الجاد؟ ومن باب أن الموضوع يعنى بدراسة نوع معين من المعرفة ويحتضنها بالدراسة ويدعم عمادها بالدليل والحجة، وبالتالي نحن نقصد بالموضوع الذي يهتم بدراسة المقدرات الشعبية الجزائرية المحلية التي تؤرخ للتراث الشعبي وتضبط إياه بقواعد وقوانين علمية ومنهجية، تعلي من

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

شأنه وتحفظ إياه في بطون الإنجازات البحثية الجامعية تضع له حجر الأساس بأن يتم الجيل اللاحق المسير في ذات الدّرب.

إن الحديث عن نوع معين من المعرفة (التراث الشعبي) قصة بدأت أحداثها في وقت قريب ما تزال مخاض التكوين تعج بأحداث ومواضيع شتى تعنى بالدرجة الأولى بما أبدعه الإنسان الشعبي من أقوال وأفعال وأحداث وإنجازات... تستحق الوقوف عند اعتبارها لإستخلاص العبر والقيم التي تحملها في جعبتها، إلى غاية إستقامة أسس البحوث العلمية البحوث الأكاديمية لهذا النوع من المعرفة، وبذلك تسعى الجامعات العلمية إلى: ⁽¹⁾

حماية التراث الإنساني والحفاظ على النتاج البشري.

البحث العلمي وكشف أسرار الكون وتنمية المعرفة بشتى ألوانها.

تلبية متطلبات المجتمع وتزويده بالمتخصصين.

تفسير وتبسيط نتائج البحوث العلمية.

البحوث الأكاديمية إذن هي "أقرب ما تكون إلى البحوث الأساسية النظرية منها إلى التطبيقية، لكن هذا لا يمنع من الإستفادة من نتائجها وتطبيقاتها فيما بعد. ⁽²⁾

الدراسات الشعبية قد تمّ الاهتمام بها في فترات متأخرة بالرغم من ذلك آتت أكلها وأدرجت ضمن العلوم والمعارف العلمية ذات ضوابط ومناهج محكمة، وباعتبار أن لكل فرع علمي ميدان تخصصه، فالبحوث تسمح بتطوير المعارف الخاصة بكل ميدان، ولهذا فإن معظم البحوث العلمية تتم في إطار علمي معين.

⁽¹⁾ ينظر: عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، مكتبة الإشعاع للطباعة، مصر، ط1، 1996، ص22.

⁽²⁾ محمد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الإجتماعية و الإنسانية، مكتبة نور، 2020، ص28.

- أنواع البحوث الأكاديمية:⁽¹⁾

* — بحسب طبيعتها: — البحوث النظرية.

— البحوث التطبيقية.

* — بحسب مناهجها: — البحوث الوثائقية.

— البحوث الميدانية.

— البحوث التجريبية.

* — بحسب جهة تنفيذها:

— البحوث الأكاديمية: — البحوث الجامعية الأولية.

— بحوث الدراسات العليا.

— البحوث غير الأكاديمية.

بدخولنا إلى عوالم دراستنا التطبيقية التي أخذنا بزمّام مقاليدها في تكوين لبنات بحثنا الذي إنطلقنا فيه من رواسي أكاديمية محضة وقفنا عند عتباتها، وتتبعنا كيف تلقفت المقدّرات الشعبية وأدرجتها بين صفحاتها، هل كانت مثمرة وجادة أم أنها مرت مرور الكرام على هذه الإبداعات؟ وهل كانت دراسات ميدانية فحسب أم تنوّعت بين الميدانية والتطبيقية؟ وهل كان محتواها ملمّ بجلّ ما جادت به قرائح مبدعيها وتتبع الباحثون الأكاديميون هذه الإنتاجات بالتحليل والتفسير لمضامينها؟ موضوعات التراث الشعبي: التراث الشعبي كموضوع وعلم قار

⁽¹⁾ موريس أنجوس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة للنشر، ط2، 2006، 2004، ص77.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

بذاته يحمل بين أعطافه عديد المواضيع سنحاول أن نجمل جلّ هذه الموضوعات في مجموع النقاط التالية:⁽¹⁾

— الأدب الشعبي: يحمل العديد من المعايير ويبحث عن مواطن البلاغة والجمال والتراكيب اللغوية والقيم والمعاني في البناء اللغوي ذاته.

— الفنون الشعبية (الجميلة): تشتمل على الأغاني والألحان الموسيقية، الرقص، الرّسم بأنواعه، والنّحت.

— النتاج الفكري الحكمي: يصعب تصنيفها تحت باب الآداب أم الفنون لكنها تصطبغ بصبغة التجربة الشعبية تشتمل على الطقوس، المراسيم، والشعائر.

— القوانين والأعراف: القانون الغير مكتوب والمتوارث محط إهتمام الدراسات الشعبية، كذلك الأمر بالنسبة للأعراف التي تهتم بمختلف مناط الحياة.

— المعتقدات والقيم والعادات والطقوس: هي مواضيع شاملة لمختلف جوانب الحياة تتعايش معها وتبنى على أنقاضها جميع مطبات الحياة.

— التداوي والطبابة: التداوي من الأمراض وطبابة الجروح والإصابات خاصاً بذلك الطب الشعبي.

— الألعاب الشعبية: هناك ألعاب للأطفال وأخرى للكبار ومنها للذكور وأخرى للإناث وهناك ألعاب تربوية وأخرى ترفيهية...

— التاريخ الاجتماعي: يختص بأنماط المجتمعات الإنسانية، فمن خلال التاريخ الاجتماعي يتم رواية التاريخ غير المكتوب للشعوب والمجتمعات وفق ما يعرفه أو ما عايشه الرواة.

⁽¹⁾ ينظر: عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي، دار أسامة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص61،

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

— السّحر والشعوذة والرقى وقصص الجان والأرواح: يهتم بدراسة أنماط السحر والشعوذة وما يتصل بها من طقوس ومعتقدات (دراسة المعتقدات والطقوس الإعتقادية).

— الملل والأقوام وأنسابها: يدرس علم الإنسان (الأنثروبولوجي) من جميع جوانبه الفيزيائية والسيكولوجية والاجتماعية يركز بالدرجة الأولى على الدراسة المقارنة للمجتمعات.

— اللغات واللهجات البائدة والمحكية: اللغات تتصف بسمات مشتركة وعامة فهي عرضة للتغيير والنمو، واللهجات تتضمن الكثير من المفردات (بقايا اللغات البائدة).

— الفلك والتنجيم وقراءة الطالع والحظ: هناك الكثير من المعتقدات الشعبية تعنى ولعهم بقراءة الطالع (التنبؤ بالمستقبل)، قراءة الكف، الضرب على الرمل، ومنها قراءة الفنجان.

— الآثار الفولكلورية: وثيق الصلة بموضوعات الفولكلور اللامادية، فهي لا تدرس لذاها بل تدرس كموضوعات مكملّة للجانب اللامادي في التراث.

— أبواب أخرى وآراء متنوعة: الحياة واسعة ومتجددة ومتشابكة وثمة أشكال وتعبيرات قد توجد في مجتمع وتغيب في آخر ومن ضمنها نجد:

الأنماط المعمارية: الهندسة والجمالية للبناء.

المهن والحرف: الأنماط والعادات الزراعية والحرفية المختلفة.

الملابس والحياكة والتطريز: إهتم الفولكلور بالتطريز لأنه مهم وضروري لما يحتزنه من فنون وقيم وعادات وتقاليده، مواضيع عديدة احتفى بها الأدب الشعبي وصاغ لها قوالب إبداعية غاية في السبك والصياغة، هذه المواضيع عن تشعبها وتعدد مناحيها يصعب على الدّارس الفولكلوري الإلمام بها واحتواءها

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

بالدراسة، فالنوع الواحد منها قد يستهلك وقتاً وعمراً طويلاً لجمعه، فصحيح أن الباحث على علم ودراية كافية بتنوع وخصوبة هذه المواضيع، غير أنه يبقى ملماً سوى بالمعارف والمهارات الأساسية التي تربي على هديها ورضع من ثديها.

هذا التنوع لم يبق حبيس البيئات الشعبية فحسب بل أن شظايا هذا التعدد قد اجتاحت حتى معالم الدراسات الفولكلورية بالضبط في البحوث الأكاديمية، لمسنا حضورها بكثرة وبشكل ملفت للانتباه داخل إبداعات الباحثين الأكاديميين الذين اجتهدوا في إستئصال التراث من رحم البيئة الشعبية وتفننوا في دراسته للكشف عن مضمونه والبحث عن غايات الإنسان الشعبي من تضمينها، بما أن ميدان تخصصنا الأدب الشعبي وما يحمّله بين جنباته من قيم وقوانين، ارتأينا أن نخوض في غمار هذه المواضيع، لكن لا نستجمع مادتنا العلمية من أفواه قائلها أو مردديها أو عن طريق الجمع والدراسة، بل أننا سنسلط الضوء في المقام الأول على نماذج من الأطاريح الأكاديمية الجزائرية المحلية المادة والصنع، وفرت العدة والتعداد وغاصت بين الأوساط الشعبية وتلقفت مختلف الإنتاجات وأثرت مكانها بالدراسة، هذه البحوث أخذنا بزمامها وأوردناها كأمثلة حيّة تعكس الموروث الحضاري الجزائري و المغاربي، أردنا من خلالها التعرف على الكيفية والمنهجية السليمة التي بنى الباحثون على إثرها قوام بحوثهم.

التنوع في المواضيع نقطة البداية ومنطلق أساس بنينا على أعطافه معالم بحثنا، فيا ترى هل أوفت هذه الدراسات بمحتوى الموضوعات المطروقة؟ أم أنها ألت بجوانب وأخفقت بأخرى؟ وهل عبّرت بصدق ومصادقية عن أحلام وآمال الإنسان الشعبي؟

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

تساؤلات عدة تقف نصب أعيننا تنتظر الجواب الشافي والكلام الوافي الذي يلملم المقدرات الشعبية ويتبناها الباحث بالدراسة وبعد نظر فيها، ونحن بدورنا سنستقصي الأمر بذات أنفسنا ونقف عند عتبات البحوث الأكاديمية ونشير معاول الدراسة فيها بدءاً بـ:

أولاً: أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه.

كلية الآداب واللغات.

جامعة: منتوري قسنطينة — الجزائر —

السنة الجامعية: 1430/1429 هـ، 2009/2008 م

عنوان الأطروحة: الأغنية الشعبية في الجزائر — منطقة الشرق الجزائري نموذجاً —

إعداد الطالب: عبد القادر نظور.

تخصص: الأدب العربي الحديث.

المشرف على الأطروحة: محمد العيد تاورتة : أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي.

تمت مناقشة أطروحة الدكتوراه من قبل اللجنة العلمية المكونة من:

الرئيس: حسن كاتب : جامعة منتوري قسنطينة.

المشرف والمقرر: محمد العيد تاورتة : جامعة منتوري قسنطينة.

الفاحصون: نوار بوحلاسة: جامعة منتوري قسنطينة.

— دياب قديد: جامعة منتوري قسنطينة.

— عمر عيلان: المركز الجامعي بخنشلة.

— عبد الوهاب بوشليحة : جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

1- المدونة:

المدونة الموسومة بـ: "الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً" للباحث "عبد القادر نظور"، أطروحة تتسم بالجدّ و الجدية من حيث الموضوع الذي تمّ التطرق لدراسته (الأغنية الشعبية)، و من حيث المصدر أو المكان المأخوذ منه عينة الدراسة (الشرق) كذلك من حيث الآليات و المناهج التي اتكأ عليها الباحث في بناء دفات بحثه.

الأغنية الشعبية الجزائرية بصفة عامة و الخاصة بالمناطق الشرقية بصفة خاصة قام باحثنا باستنطاق جوانبها والاستتباب خلف أغوارها للمّ شملها والتّعريف بها لأنها صورت الحياة الشعبية بكل مراحلها من نعومة أظافر الطفل إلى غاية كبره صورته في الفرح كما في الحزن و في العمل كما في الراحة أعطت صورة معبرة و ناصعة البياض عن حياة الإنسان، فكانت صورة معاكسة لما في الواقع لم يغفل الباحث عن إيراد بعضاً من المعتقدات والعادات والطقوس المرافقة لكل مرحلة من هذه المراحل.

جمع الباحث أشلاء الأغنية الشعبية المتناثرة هنا وهناك والمنتشرة في بعض ربوع الشرق الجزائري، و من ثمة قام بتحليلها ودراستها وشرحها و تصنيفها وصولاً إلى تدوينها لتصبح مرجعاً يستفاد منه طلاب العلم و المعرفة كونه موضوع غني و ثري يمتاز بالحيوية و الخفة.

ولوج الباحث لدراسة هذا الميدان تجربة تستحق الشكر والثناء على المجهودات الجبارة التي لمسنا فيها مدى سعيه للاحتفاء بها ،خاصة عند القيام بجمعها وهي مهمة صعبة ، أما عن كيفية اقتناء الباحث لنماذج من الأغاني الشعبية الشرقية فقد اعتمد تقنية الجمع الميداني، أي أنه هو من تكفل بجمع

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

مادته العلمية من طرف قائلها أو مردديها، وقد ذكر الباحث بأنه قد واجه صعوبات جمة أثناء تنقله لهذه المناطق الوعرة والصعبة المسالك.

دراسات عديدة أقيمت على شرف الأغنية الشعبية و تم دراستها من زوايا متعددة غير أن جمع الأغاني من مناطق مختلفة من الشرق الجزائري ، تجربة جديدة خاض فيها باحثنا معاول منجزه بالرغم من وجود العديد من الدراسات حولها من الشمال نحو الجنوب و من الشرق نحو الغرب ، إلا أن هذه التجربة قد خصت مناطق معينة وغالبا ما تكون هذه المناطق مكان مسقط رأس الباحث أو جاراته بالقرب .

هي إذن دراسة قلما نجدها في بحوث أخرى كونها تميزت بالعمق والشمولية وربما تطرق الباحث لهذا الموضوع بالذات وراءه مقاصد أراد الوصول إليه بعدما أحسّ بالقيمة الجوهرية لهذه المادة العلمية لأنها كشفت في هذا المقام عن طريقة عيش الإنسان الشعبي وعن عاداته وتقاليده وطقوسه...، فالمناطق الشرقية بتعدد المناطق الموجودة فيها والتي تزخر بنماذج متنوعة من الأغاني الجديرة بالبحث والدراسة، وهي خاصية تكاد تكون غيبية في البحوث المنجزة قبل وبعد الباحث.

الأغنية الشعبية جسدت ملامح الحياة الشعبية للبلاد والعباد، صورت جوانب من المعاملات اليومية للإنسان الشعبي وطرق عيشه، من منظور آخر فهي وسيلة للتنفيس عن المكبوتات كما عدها البعض، و التزوع إليها سيخفف من وطأة معاناة تكابد تفكيره.

أ- مصدر المدونة:

مدونة الأغنية الشعبية في الجزائر للباحث "عبد القادر نطور" مدونة مجموعة (شفويا) من قبل لجمهور الشعب الذي لا يزال يحفظ بعضها منها، فكان

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

التناقل الشفاهي هو الفيصل في هذا الصدد بل أنه "العامل الرئيسي المؤثر على الأغنية، كما أنها أبدعت في إطاره ويتم نموها و انتشارها عن طريقه وتثري أيضا من خلاله"⁽¹⁾

التداول الشفاهي للأغنية هو عنوان بقاءها وسرّ وجودها ومبدأ تواترها لحدّ الساعة بين جمهور الشعب، وباحتنا قد استقصى الأمر بنفسه وجاب عدّة مناطق شرقية وخاض تجاربه فيها مستحضرا في معرض كلامه نماذج من الأغاني على اختلاف أغراضها وعلى تعدد أنواعها وعلى تباين لهجاتها.

استقى باحثنا المواد الأولية لهندسة بحثه وتشيد صروحه بالاستعانة بما روي عن الجدّات والأمهات والأطفال والتحامها ومضمون بحثه دراسة وتحليلا، هذه الدراسة سوف تحفظ وتحافظ على الأغنية الشعبية الجزائرية الشرقية، وستكون إضافة مميزة لخزانة الأدب الشعبي بما تحتويه بين طياتها من قيم ومعاني جديرة بأن تكون محط دراسة مستفيضة، فهي لم تحاكي فقط الطقوس والعادات والتقاليد الشعبية...، بقدر ما تخطتها بأن تكون مؤشرا يستند إليه الباحثين في تحديد الفترات التاريخية للشعوب.

باحثنا إذن انتقل إلى عين المكان و استقصى الأمر بذات نفسه، وأخذ نماذج من الأغاني الشعبية الشرقية قام بدراستها انطلق من المحيط الذي تولدت منه هذه الأغاني مثل دراسة العادات والتقاليد والطقوس الخاصة بهم تلها البناء العمراني ثم المناخ وبعدها اللهجة المتداولة... إلخ

هذه العوامل وغيرها لها تأثير مباشر على عينة الدراسة كيف لا وهي من الأساسيات ضرورة حتمية، يقف عندها الباحث مطولا لفهم الحشيات التي

⁽¹⁾ أحمد علي مرسى، الأغنية الشعبية (مدخل إلى دراستها)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار المعارف، 1983،

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

دفعت بالمبدع الشعبي لتركيب لبنات الأغنية وفق هذه الخطية، بعدها انطلق الباحث نحو رحلة بحث عن الأغاني المتداولة على ألسنة الشعب، باعتبارها "نمطًا من أنماط التعبير الشعبي تؤدي وظيفة خاصة في حياة الشعب"⁽¹⁾

الأغنية أداة فعالة تفصح عن كل ما يجوب في خاطر مدونها عبر فترات متعاقبة من الزمن تحوي وظائف شتى، ما أهلها أن تكون مختلفة عن باقي أشكال التعبير الشعبي كونها تستعين بالكلمة و اللحن في إيراد مبتغاهما، وبالتالي بانسجام اللحن بالكلمة سيكون له أثر البلمس على الجرح، مما سهل على الفرد حفظها وسرعة انتشارها وتداولها بين الفئات الشعبية لأنها عبرت⁽²⁾ عن وجدان الجماعة الشعبية وأعلت من شأن مثلما العليا، وصانت القيم الخلقية⁽²⁾

الأغنية الشعبية تعري عن مكبوتات و خلجات روح الشعب وعن آماله المرسله وأحلامه الكامنة تحتفي بمقدرات شعبها بأقوالهم و إنتاجياتهم وبقيمهم الأخلاقية، هذه الأخيرة تسعى الجماعة الشعبية إلى ترسيخها بين النشء حتى يشبوا على خطاها لأنها عماد السلوك السوي و من باب أن معايشة الجماعة حجة للصدق.

- ب- طبيعة الأغنية الشعبية :

مما لاشك فيه أن الخوض في غمار هذه القضية قد يفتح الباب على مصراعيه للولوج في العديد من المواضيع التي تخص هذا الجانب كمعرفة نوع المادة الشعبية محل الدراسة هل نثر أم شعر؟ وما هو ميدان دراستها؟ ومن أين تستقي مواضيعها؟

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

، القاهرة، مصر، ط3 ص237

⁽²⁾ أحمد علي مرسي، الأغنية الشعبية ، ص 76 .

فيما يخص طبيعة الأغنية الشعبية فقد أعزى العديد من الباحثين إلى أنها " تلك المقطوعات الشعرية التي تغني بمصاحبة الموسيقى في أغلب الأحيان، والتي توجد في المجتمعات التي تتفاعل آدابها عن طريق الشفاهية"⁽¹⁾

الأغنية الشعبية كما تم وصفها هي عبارة مقاطع شعرية مغناة بالآلات موسيقية في الأغلب الأعم، منتشرة بكثرة في المجتمعات التي تعتمد تقنية الشفاهية في نقل آدابها، وبالنظر إلى محتوى الأغنية نجد أن نسبة كبيرة من موضوعاتها على اتصال وثيق بالواقع وبتحركاته وسكناته.

الأغنية الشعبية إذن موضوع قديم جديد، قديم من حيث وجوده الذي ارتبط بالمرحلة الأولى لميلاد الإنسان الشعبي، فقد تفتقت مواهب العديد من الدارسين بشأن هذا التوجه العلمي الشعبي و لمه من أفواه الشعب حتى لا تضع أجزاءه هباءً منثوراً.

بدخولنا عالم الأغنية الشعبية وحديثاً عنها طبقاً لما ورد في أطروحة الدكتوراه الخاصة بالباحث "عبد القادر نطور" هذه الإشكالية قد حركت فينا نوازع الفضول الجامح لوجوب التنقيب خلف أسطر هذا المنجز واستنطاق كوامنه واستجلاء الأمر بذات أنفسنا حيث أن الباحث بدأ أطروحته:

مقدمة: مهدّ فيها لأسباب اختياره لموضوع بحثه "الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري - نموذجاً" - خاض فيها معاول بحثه تبعاً لأهداف ومرامي يراها أنها الأجدر بتبنيها واحتوائها، أولاً أنها قضية تربط بين الماضي والحاضر، إضافة إلى أن هذا الميدان لم يحظ بالعناية الكافية التي تستفيض بالحديث عنه وتعمق بدراسته من جميع الجوانب مع الإحاطة التامة بموضوعاته

⁽¹⁾ فاروق أحمد مصطفى، المواليد دراسة العادات والتقاليد الشعبية في مصر، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1980، ص 151

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

باعتباره مرآة عاكسة لمجريات الواقع الشعبي، تكشف عن كيفية عيشه وعن عاداته وتقاليده وطقوسه قبل اندثارها ومن ثمة إخضاعها لدراسة منهجية تعني بادئ الأمر بجمعها وتدوينها.

نقطة الاندثار والإهمال قد أثارت حفيظة الباحث واستوقفته طويلا للبحث عن أسباب اضمحلالها، وعزوف الباحثين عن الارتداد عليها خاصة بالمناطق الشرقية رغم أن مواضيعها ثرية وخصبة، تستحق توفير كل الإمكانيات وتذليل كل الصعوبات لدراستها، من هذا المنطلق قام باحثنا بانتقاء موضوع بحثه على اعتبار أن الأغنية تعبر تعبيرا صادقا عن خلجات الروح وتصور آمال وأحلام وآلام الإنسان الشعبي، وأي سهو أو إغفال عن دراستها سيعتبر عليه لا محال غياب أجزاء كبيرة من تاريخنا.

بعد أن اقتنع الباحث بموضوعه الذي جاء نتيجة لأسباب عديدة بخاصة عند جمعه لمادته العلمية وقام بها عبر مراحل:

— القيام بدراسة أولية للمنطقة عينة الدراسة الشرق الجزائري لدراسة العادات والتقاليد، الحياة الثقافية، اللهجة المحلية، المنهاج، العمران...

- جمع فيها المادة العلمية محلّ الدراسة و ذكر أن هذه المرحلة من أصعب المراحل لعدة أسباب كقلة النصوص وبخل الرواة...

ونظرا لقلة المعدات الفنية كالتسجيل والأشرطة والآلات الحديثة وغيرها من الوسائل زدّ على ذلك صعوبة المسالك الريفية، من جهته أقر الباحث بأنه كاد ينسحب من هذا المشروع لولا إصرار الأستاذ المشرف الذي دفعه لتكملة المسار الذي خطه قبلا للسير قدما لمواصلة الدّرب في هذا المضمار.

يرى الباحث أنّ الدراسات المتتالية للبحث في التراث الشعبي الجزائري مهدت الطريق للدراسات الأكاديمية تطأ قدمها وتثبتها على أرضية صلبة بأنّ

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

تسهم في ضبط المواضيع وبدقة المنهج المستخدم، فالأغنية تتناول الثقافة التقليدية والتي هي جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي (علم الفولكلور).

وللتعرف على الأغنية الشعبية وعن أبعادها الزمانية والمكانية الاجتماعية، النفسية والتي يلزم عنها دراسة الألفاظ والأفكار والمعاني والأسلوب والبلاغة والعاطفة ومن خلال التعمق في دراسة هذه الجوانب يتجلى دور الأغنية الشعبية.

عرج الباحث على ذكر مدى الأهمية الكبرى التي تحظى بها الأغنية الشعبية وتكمن في كونها أحد مكونات الحياة الاجتماعية من ناحية، وجزء من الممارسات الشعبية التي تنغرس في الثقافة والتاريخ من ناحية أخرى من هذا المبدأ وجهت الدراسات الحديثة العديد من التساؤلات حول أهم الأبنية الأدبية والاجتماعية المتعلقة بمحتوى ومضمون ونمط الأغنية الشعبية، من هذه البؤرة حاول باحثنا إثارة مشكلته البحثية وتحديد مبرراتها وأهدافها وتبيان إطارها المفاهيمي لغرض طرح الأساس النظري، أسهمت الأغنية الشعبية في توطيد أمشاج الوحدة الوطنية باعتبارها مطلب أساسي في إنماء الثقافة الوطنية القائمة على مبدأ الممارسات الشعبية التي تفصح عن الشخصية والذاتية الوطنية، وقد عدد الباحث مجموع الباحثين الذين أولوا دراستهم في هذا المضمار ودعوا إلى وجوب إيلاء الاهتمام بهذا الجانب من الدراسات والحفاظ عليه، مع الوقوف عند أهم آليات انتقاءها ونظرا لطول الآراء التي نسجت إزاء هذه القضية

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

سنحاول قدر الإمكان أن نقتضب مجمل هذه التّوجهات التي أوردها الباحث في النقاط التالية: ⁽¹⁾

- فانون **FANON** : اعتبر المرأة الناقل الأول للثقافة الشعبية (أداة للتربية).
- مصطفى الأشراف: يدعوا إلى جمع الثقافة الشعبية و تدوينها.
- يعتبر الفولكلور والأغنية الشعبية أبرز مظاهر الثقافة الشعبية تركيزا على القيمة والمصدر.
- الإبراهيمي: عدّ الأغنية الشعبية من بقايا الثقافة الوطنية (مواجهة الاستعمار والتعبير عن الحياة اليومية).
- بوزار: الأغنية الشعبية هي من الثقافة الشعبية يحتفظ بالشخصية الوطنية.
- الأغنية قامت بوظيفة تاريخية في حماية الشخصية الوطنية ضدّ الغزو الاستعماري.

والأغنية الشعبية عند المنظرين لها تحوي قيمة جوهرية تكمن في أنها استعملت في تربية الأجيال الصاعدة على القيم الأخلاقية و الخلقية الحقة التي نادى بها الدين الإسلامي الحنيف، ودعا إلى التمسك بتلابيها لإرساء معالم الأمن والأمان والإخاء والسلم بين أفراد المجتمع، ونظراً لقيمتها البالغة الأهمية والمصدر الذي استقى منه المادة الشعبية فالأغنية في وقت مضى استخدمت للدفاع عن الوطن والذود عنه من قبضة الاستعمار الغاشم.

تعمل أيضا على شحذ الهمم وتبعث فيهم العزيمة والإصرار والتحدي، وتهدف إلى حماية الشخصية الوطنية من الغزو الاستعماري، كلما لها وقع

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر — منطقة الشرق الجزائري نموذجاً —، رسالة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، إشراف: محمد العيد تاورته، 1429 / 1430هـ، 2008/2009م، ص 4، 5.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

خاص وأكثر من وقع السلاح المدوي، فعندما تصدّح الحناجر بعبارات وأغاني شعبية ترتعد لها القلوب وترتعش الأجسام لتلبية نداء الوطن عالياً بكل عزم لافتكاك وسام الحرية، ولتشخيص الواقع الفعلي للأغنية الشعبية ارتأى الباحث إلى "إعطاء صورة تحليلية لها من حيث المضمون و من حيث الزمان والمكان وخصائصها الفنية المتعلقة باللغة المستخدمة، الخيال، الوزن، العاطفة..."⁽¹⁾

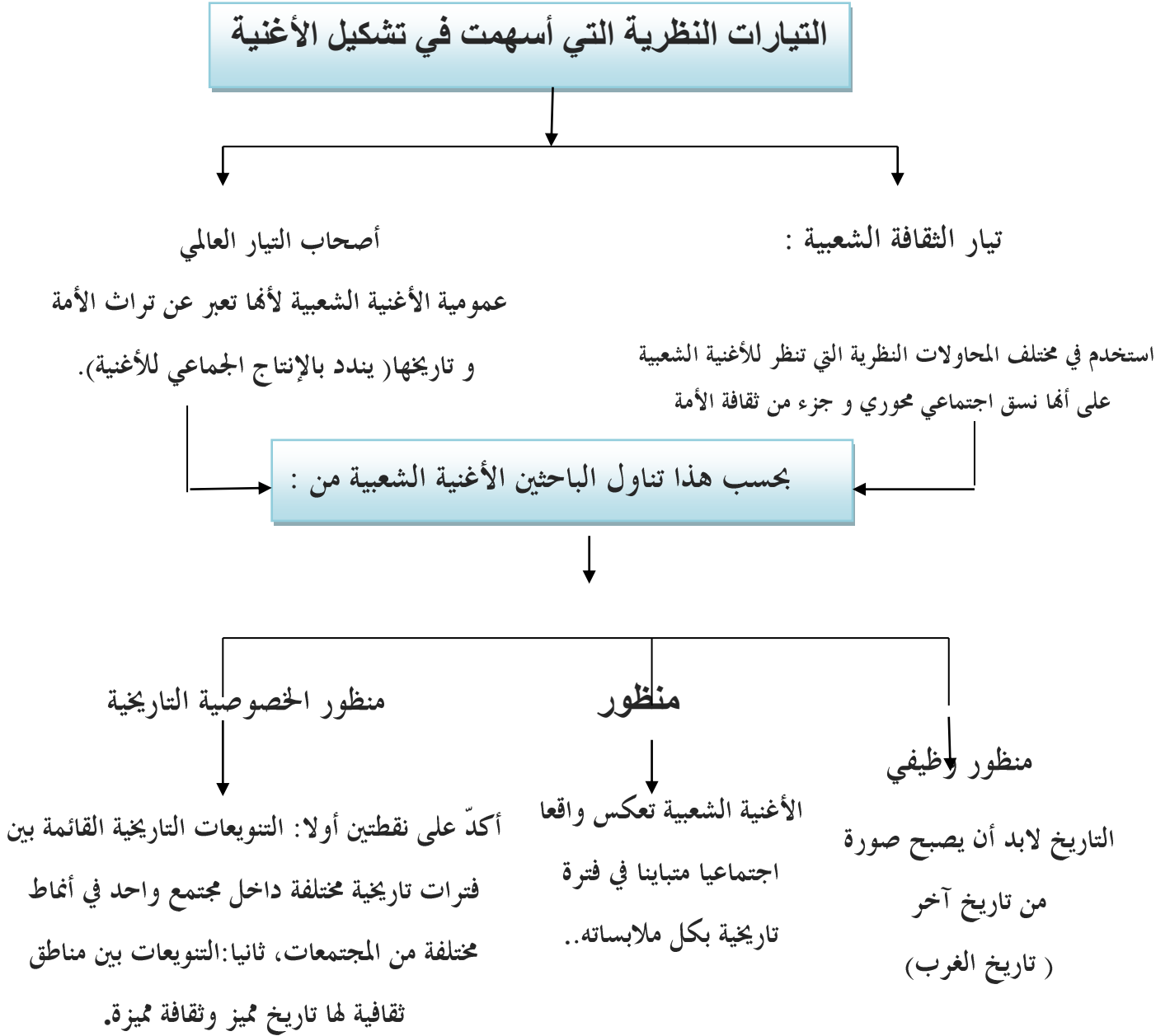
قام الباحث بتحليل نماذج من الأغاني الشعبية مسلطاً الضوء على مضمون كل واحدة فيهم من حيث الزمان والمكان والخصائص الفنية التي أنبنت وفقها، تركيزاً على اللغة المستخدمة من خيال ووزن وعاطفة، في حين أن الباحث عدّ هذه الدراسة بوابة رئيسية تبين مدى الصلة الحميمة بين الأغنية الشعبية والواقع في المقابل يرى أنّ هذه الميكانيزمات لا يمكن تطبيقها على جلّ دول العالم لأنها لا تنتج لهذا الأساس أو ذلك بل أنها تشكلت وفقاً لمتطلبات مجتمع محدد لهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخرج عن إطار هذا الواقع بالرغم من أن الدراسات الفولكلورية قد نادت في أكثر من مرة إلى ربط الأغنية الشعبية بالواقع الاجتماعي الذي أفرزها "و كل أديب لا يستقي مادته وروحه من حياة الشعب فليس أديباً ولا هو بكايت للأدب."⁽²⁾

نوه الباحث في هذا المقام بالمكانة المرموقة التي تحظى بها الأغنية الشعبية على أثر هذا قد تولدت العديد من التيارات النظرية تم حصرها في ما يلي:

(1) عبد القادر نطور ، الأغنية الشعبية في الجزائر—منطقة الشرق الجزائري نموذجاً —، ص 05 .

(2) أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1956، ص09.

—الشكل رقم 1: يوضح التيارات النظرية التي أسهمت في تشكيل الأغنية الشعبية : (1)



(1) ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر—منطقة الشرق الجزائري نموذجاً—، 6، 7، 8.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية – دراسة في نماذج –

أقرّ الباحث بوجود بنى تحتية نظرية أسهمت في بلورة الأغنية الشعبية مقسما إياها إلى تيارين، أولهما تم وضعه تحت مسمى تيار الثقافة الشعبية والذي أكدّ على أن الأغنية ذات محتوى اجتماعي محض يعكس ثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده، وبحسب هذا المنظور تصبح "الأغنية الشائعة الذائعة في المجتمع الشعبي، وأنها تشمل شعر وموسيقى الجماعات والمجتمعات الريفية التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفهية دونما حاجة إلى تدوين أو طباعة."⁽¹⁾

أما أصحاب التيار الثاني فيؤكدون على عمومية الأغنية الشعبية أي أنها مجسم مصغر يحوي بين أعطافه تاريخ وتراث أمة بأسرها "وعلى ذلك يمكن القول بأن الأغاني الشعبية هي حصيلة ذلك التراث من الأغاني الذي تعرض للتغيير ولتعديل أثناء انتقالها بطريق المشافهة"⁽²⁾

وفق هذا التخطيط تناول الباحثون الأغنية الشعبية من ثلاث جوانب، أولها الجانب الوظيفي، يرد البناء الاجتماعي برمته إلى التباين في النسق القيمي.⁽³⁾

النسق القيمي هو الذي يحدد طبيعة البناء الاجتماعي، بدأ من جذوره التاريخية ويدرس المجتمعات على اختلاف التركيبات التي إنبت عليها ليس من منظور تاريخها فحسب، بل أنها تتعداها إلى تاريخ الغرب الذي حدد لها الخطوط العريضة لتاريخها.

⁽¹⁾ أحمد مرسي، الأغنية الشعبية، ص 11.

⁽²⁾ أحمد مرسي، المرجع نفسه، ص 11.

⁽³⁾ ينظر: عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر – منطقة الشرق الجزائري نموذجاً –، ص 07.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية – دراسة في نماذج –

أما أصحاب المنظور الثاني (الاجتماعي) "فقدموا رؤية نظرية تبرز خصوصية البناء الاجتماعي ومنها الأغنية الشعبية التي تعكس واقعاً اجتماعياً متبايناً في فترة تاريخية بكل ملابسها"⁽¹⁾

البناء الاجتماعي حسب هذا المبدأ مرآة عاكسة للواقع على مرّ الأحقاب والفترات التاريخية، يرصد جل التركيبات التاريخية التي تأسست وفقها الأغنية الشعبية "حيث أنها تعكس الأوضاع السائدة إلى جانب رواسب الثقافات القديمة فهي بلا شك صدى للماضي وصوت الحاضر المدوي مختلف العصور التي يسودها والإستغلال والبطش والإضطهاد"⁽²⁾

أما أصحاب منظور الخصوصية التاريخية فقد أولى الاهتمام بنقطتين أساسيتين هما: "التنوعات التاريخية القائمة بين فترات تاريخية مختلفة، داخل المجتمع الواحد، والثاني التنوعات بين مناطق ثقافية لها تاريخ مميز و ثقافة مميزة"⁽³⁾ ركز هذا الاتجاه على التنوعات التاريخية التي أسهمت في إرساء معالم الأغنية الشعبية ثم أرفقها الباحث بأن هذا التنوع قد مسّ المناطق الثقافية التي تحمل تاريخ وثقافة مميزة.

أثار الباحث الحديث في هذه الجزئية عن عدّة قضايا محورية تبنى وفقها العتبات الأولى للأغنية الشعبية هذه البنود التي وجب وضعها نصب الأعين عند البحث عن جذور الأغنية وقد أجمل هذه التوجهات في النقاط الآتية:⁽⁴⁾

- الأغنية الشعبية تجسد الواقع التاريخي للمجتمع الجزائري.

(1) ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر – منطقة الشرق الجزائري نموذجاً – ، ص 07.

(2) عبد الأمير جعفر ، الأغنية الفولكلورية في العراق، مطبعة العبايجي ، بغداد ، د، ط، 1975، ص 29 .

(3) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر – منطقة الشرق الجزائري نموذجاً – ، ص 08.

(4) المرجع نفسه ، ص 09 ، 10.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

بمعنى أنها سجل تاريخي يحوي صراعات وأحداث مرّت على المجتمع الجزائري في فترات سابقة فكانت الأغاني شاهد عيان على أحداثها "عبرت عن زيف المستعمرين لتاريخنا الحضاري وأدبنا الرسمي زيفوا كذلك أدبنا الشعبي، واعتبروه وهم ليس له وجود ولا يمكن أن يكون له وجود." (1)

- الكشف عن طبيعة الثقافة الجموعية ومكوناتها ودلالاتها وانعكاساتها.
أي التنقيب عن المنبت الأصلي الذي كبر في تربة خصبة تدعى في الاتحاد قوة مصدرها الأساس الجماعة الشعبية التي تنشق عن مكوناتها ودلالاتها وانعكاساتها "فهي من تأليف جماعة و إن بدء بها فرد وأنها تعبر عن فكر الجماعة الشعبية ومشاعرها وحياتها العامة." (2)

- الدعوة إلى التزول إلى الواقع ورصد الأغاني الشعبية للحياة اليومية.
لأن هناك العديد من الأغاني تنتظر من يتلقفها ويخوض في غمارها بالبحث والدراسة، فالكثير هي الأغاني المختبئة تحت الألسن وبين جيوف الذكريات ذات قيمة ومحتوى فني معبر عن الجماعة الشعبية يلزم طرق بابها للاندلا ف بين حناياها واستئصال قيمه وأبعاده.

- البحث عن الأغنية الشعبية في إطار الأدب الشعبي مبحث استراتيجي في رسم أنماط الأغنية.

- قلة أو ندرة الدراسات حول الأغنية الشعبية في المكتبات الجزائرية.
- الأغنية الشعبية نسجت بحسب ظروف معينة الأمر الذي يحتم عليه تحديد معالمها لفهم الواقع ارتأ الباحث في هذا المقام أن يودع جملة من النقاط

(1) محمود ذهني، الأدب لشعبي العربي (مفهومه ومضمونه)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1972، ص 149 .

(2) إبراهيم زكي خورشيد، الأغنية الشعبية و المسرح الغنائي، مطابع الهيئة المصرية، العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، دط، 1985، ص 10 .

الجهورية لتتبع مسار الأغنية الشعبية، بعد أن أحسَّ بأن أجزاء كثيرة ذهبت في مهب الريح وولت مع مردديها أو قائلها، وقد ردَّ الباحث أسباب إنكماش و تقوقع الأغنية الشعبية على ذاتها لأسباب علمية وأخرى وطنية، حالت دون ظهورها بالشكل المطلوب، فيا ترى لماذا آثار الباحث الحديث في هذه الأسباب؟ ولماذا أرجع أسباب تأخر الأغنية إلى سببين وطنية وعلمية؟

على إثر ذلك يمكننا أن نوعز هذه التصورات إلى أن الأغنية الشعبية بأي حال من الأحوال نمت و ترعرعت في رحم الواقع الاجتماعي المليء بالتغيرات والأحداث، تحاكي الواقع بكل مطباته إن كان مفرحاً أو تعيساً، تنفس عن مكبوتات تساور تفكير مبدعيها وتفصح عن جلِّ ما يكابده مستخدماً قوالب إبداعية غنائية غاية في السبك والصياغة.

غير أنه بالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلت في إحتضان الأغنية الشعبية علمياً وأكاديمياً إلا أنَّ الجزائر لا تزال لحد الساعة في طور الجبو لم تخطو بعد الخطوات الأولى ربما كان هذا لأسباب عدة، أولها على الإطلاق الاستعمار الذي كبل الأيدي، وربما كان عزوف الباحثين حولها مرده في أن الإنتاجات الشعبية من جهة نظرهم مجرد أقاويل وترهات لا أساس لها من الصحة، و كانت تتداول بين جمهور الشعب فحسب.

كما أن هناك من عدّها مصدر للتسلية والترويح عن النفس ولتعبئة الفراغ لاغير، وآخرون إعتبروها وقتية تغنى في وقت وواقع معينين لكن سرعان ما تضحل ويتلاشى أثرها مع مرور الوقت.

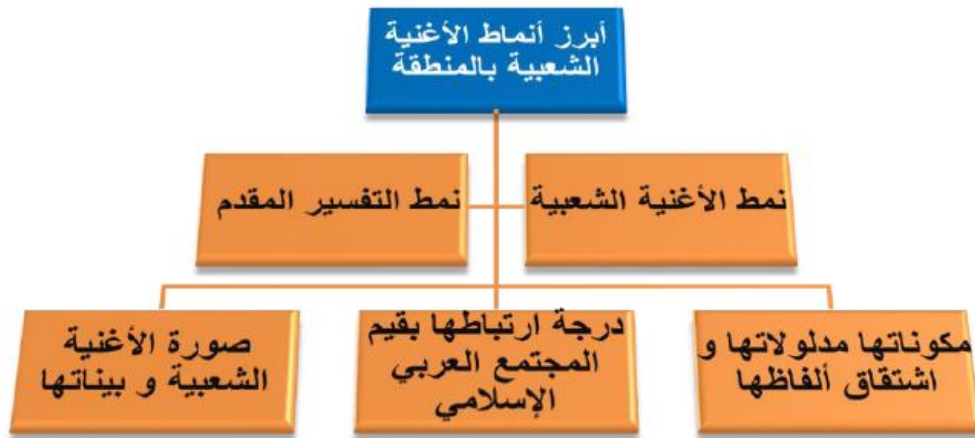
تطرق الباحث إلى هذه المسائل بالذات كانت وراءه مقصد مفاده دعوة الباحثين والدارسين إلى شحذ الهمم وتكثيف الجهود للملمة ما تبقى من الأغاني لأنها همزة وصل بين الماضي التليد والحاضر القريب والمستقبل البعيد، كما أن

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

إثارة هذه النقاط من قبل الباحث تمثل القاعدة الأساس والمبدأ الأول الذي يمكن لأي باحث الأخذ بتلابيبه والسير عليه لفهم كيفية نشأة الأغنية الشعبية.

أما عن أسباب إرجاع الباحث تأخر ظهور الأغنية الشعبية لأسباب وطنية، أي أن الوطن أو بالأحرى الواقع الاجتماعي هو المحفز الأول لتفجير الإبداعات الشعبية، وإذ أنجزت هذه الإبداعات بالشكل المطلوب ستكون محط اهتمام الطبقة العلمية الأكاديمية تتلقفها بالدراسة والبحث وتكشف عن أبرز أنماط الأغنية الشعبية بالمنطقة من حيث:⁽¹⁾

- الشكل رقم 02 : يمثل الكشف عن أبرز أنماط الأغنية الشعبية بالمنطقة



النمط الأول إذن يجمع تحت لواءه مجموعة من العناصر التي تتكاثف سويا لإيراد الأغنية الشعبية انطلاقاً من نمطها، فإذا ما تم تحديد النمط بدقة متناهية سيسهل لا محال تقديم تفسير يفي بالغرض ذو تفصيل بمقاس النمط يعبر عنه ويتعمق في فحواه ومن ثمة تحديد مكونات الأغنية ومدلولاتها ومصدر ألفاظها وبالتالي تحديد درجة ارتباطها بقيم وعادات وتقاليد وما تواضع عن بناءه المجتمع العربي

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 10

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الإسلامي والذي يفضي به الأمر إلى تحديد معالم وهندسة بناء الأغنية الشعبية ككل.

— رسم الإطار العام للأغنية الشعبية وتصوير نمط الحياة الشعبية فيها (الشرق الجزائري) ورصد تحركاتها داخل الوضع الاجتماعي العام.

— وحدة الأغنية الشعبية متشكلة من تركيبات وجدانية وعواطف وانفعالات، بمعنى أن الأغنية محركها الأول الإحساس والوجدان.

غير أن طبيعة هذه الأهداف أنها لا تتأسس وفق منهج محدد بل أنها تعتمد في بناء رواسيها وفق إطار مرجعي يتم تحديده عن طريق الخصوصية التاريخية للمجتمع الجزائري.

إطار تصوري مفهومي يحدد المدركات الأساسية في بناء المفاهيم، من هنا جاءت فكرة بناء الإطار النظري في تحليل و تفسير بعض المصطلحات المفاهيمية.

— الإطار المفاهيمي لموضوع الأغنية الشعبية:

عرض الباحث مجموعة من التعريفات بخصوص الأغنية الشعبية سواء عند الغرب أو عند العرب وقد نوه بالإبداعات الأغنية الشعبية في إنجلترا وقدم إياها بشكل بسيط بالرغم من أنها تستحق الوقوف عندها مطولاً نظراً لأهميتها البالغة في تكوين مبادئها بالشكل الصحيح.

أسهم العلماء بشكل كبير في جمع ودراسة الأغاني والتي تستمد أصولها الأولى من رحم الواقع الشعبي، جهود حثيثة ساهمت في انتشار الأغنية الشعبية من غياهب النسيان، ففي البداية تم التنويه بوجودها من قبل "ماك فرسون" بعد أن أعطى إشارة الانطلاق بدراسة نماذج غنائية بعدها توالى الدراسات تباعاً، هؤلاء الباحثين وغيرهم كثر قد أسهم كل بفكرته في دراستها من مختلف الجوانب "فكان القرن العشرين حافلاً بازدهار العلماء المتخصصين بدراسة

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الفولكلور الغنائي وبتوسع الدراسات المنهجية المقاربة بين مختلف أغاني الشعوب⁽¹⁾

بعد أن عرفت الأغنية الشعبية أوج تطورها عند الغرب خلال القرن العشرين ما تزال الدول العربية لم تخطوا خطوة جسارة في هذا المضمار، وحتى إن كانت هناك إرهابات أولية فقد كانت عبارة عن جمع المبدعات الشعبية الشفاهية المتمثلة في الشعر الشعبي والأمثال العامية⁽²⁾ وإذا انصرم الربع الأول من هذا القرن كانت أولى الاهتمامات الحقيقية بدور الأغنية الشعبية نجد صداها لدى بعض الأدباء العراقيين والمصريين الذين حاولوا جميع و تصنيف عدد كبير من أغاني الشعب، والتعليق عليها ودراسة ألقانها وحكاياتها⁽²⁾

بمرور الربع الأول من القرن العشرين بدأ الاهتمام الجاد بدور الأغنية وما تؤديه من مهام نبيلة، وأول من تلقف دراستها الأدباء العراقيين والمصريين الذين كان لهم سبق الريادة في شرح ودراسة الأغنية مرفقين إياها بالتعليق و التعمق في دراسة ألقانها وحكاياتها.

يطول الحديث عن أصل الأغنية الشعبية عبر العصور التاريخية فاكفينا فقط بالتركيز عن كيفية استقبال كل واحد منهم للموسيقى وكيف أثارها وأسهم في انتشارها أما إذا ذهبنا إلى استشارة سؤال جوهري يقف نصب أعيننا في هذا المقام هو: كيف نشأت الأغنية الشعبية؟

اختلف الدارسون حول تحديد الإطار العام لنشأة الأغنية الشعبية فراح كل واحد يدلي بدلوه في هذا المقام، ليخرجوا بنتيجة مفادها أن هناك من أقر بأنها وليدة المجتمع بأسره وأفراده جلهم اشتركوا في صياغته وإحاكة أمشاجه، واتجاه

(1) عبد الأمير جعفر ، الأغنية الفولكلورية في العراق ، ص 11 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

آخر يرى بأنها من إبداعات الموهبة الفردية للإنسان رغم تنويعهم بتأثيرات المجتمع على الفرد الموهوب.

"وقد سمي الاتجاه الأول نظرية الإنتاج وهي التي ترى أن الأغنية الشعبية بشكل عام نشأت بين الشعب أو أنشأها الشعب، أما الاتجاه الثاني فقد سمي "بنظرية استقبال وهي تذهب إلى أن الأصل أو النشأة غير مهمين وأن الأغاني استطاعت أن تحقق لنفسها انتشارا واسعا بين الناس"⁽¹⁾

ورود اتجاهات قسمت الأغنية لقسمين أطلق كل على واحدة فيهم تسمية الأولى يرى بأنها نشأت بين أحضان الشعب فهو الفائق الناطق لها ، سمي بنظرية الإنتاج، والاتجاه الآخر الذي استبعد الأصل والنشأة وسمي بنظرية الاستقبال ويكفي أنها حققت لنفسها الذبوع والانتشار ما أهلها أن تنتشر بين الأوساط الشعبية.

يتكفل الفرد بصياغة الأغنية الشعبية من ميلادها إلى تكوينها من سيقام عودها إلى أن يصل إلى مرحلة الانتقاء الذي يمنح الأغنية الهنّام أو القالب الذي تصاغ تبعاً له، في حين أن الفصل بين هذه المراحل أمر اعتباطي لا يجدي نفعا، وبالتالي فإن كل مرحلة تخدم التي قبلها والتي بعدها وهكذا دواليك ،تخطى الباحث الحديث عن الجزئية (تاريخ نشأة وميلاد الأغنية الشعبية) فكانت مجرد تلميحات أشار إليها أثناء حديثه عن تعريف الأغنية في قلميش الصفحة الثانية عشر(12) انتقل بعدها مباشرة لتعريف الأغنية والتي آثر فيها الحديث مطولا وخصّ هذه الجزئية بعنوان.

- تعريف الأغنية الشعبية:

(1) أحمد علي مرسى ، الأغنية الشعبية ، ص 26

قبل ولوج الباحث إلى إيراد أهم التعريفات التي قيلت بشأن الأغنية الشعبية أقر من الوهلة الأولى بأن تعريفها شكل "لغزاً حضارياً لأنه من الصعب الوصول إلى تعريف علمي دقيق"⁽¹⁾؛ حتى وإن أدرج الباحث مجموعة من التعريفات تبقى مجرد آراء ووجهات نظر تعود إلى إرادات شخصية قام مبدعوها بتركيبها.

مهدّ الباحث أول الأمر بحديثه عن الأغنية "ذات الشقين، شق يختص بالكلمة وشق يختص بالّلحن والموسيقى"⁽²⁾؛ تتشكل الأغنية بالتحام الكلمة مع اللّحن، أضاف في هذا الصدد تعريفين لها لكل من "ألكسندر هجرتي كراب" بمنجزه "علم الفولكلور" وآخر "لأرنولد هاوذر" أرفق ذلك بتقديم شروحات لهما رغم أن الأغنية نسجت على منوالها تعريفات عدّة إلا أن الباحث أشار لبعض منها، فالشعب سيد كل المواقف وهو "الذي قام بتعديلها وفق رغبته"⁽³⁾ الأغنية الشعبية: "هي حصيلة ذلك التراث من الأغاني الذي تعرض للتغيير والتعديل وأثناء انتقاله بطريقة المشافهة"⁽⁴⁾

الأغنية هي إحدى المقدّرات الشعبية تم تداولها عن طريق المشافهة مما أدى إلى إصابتها بالتغيير والتعديل في ظلّ انتقالها من فرد إلى فرد ومن جيل إلى آخر.

انتقل الباحث بعدها للحديث عن الأغنية الشعبية من منظور عربي فساق تعريف "لأحمد علي مرسى" من كتاب "الأغنية الشعبية" وآخر "لفوزي العنتيل" من مقاله المنشور في مجلة الدوحة ، فالأول يرى بأن الأغنية متواترة

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 13.

(2) المرجع نفسه ، ص 12.

(3) المرجع نفسه ، ص 16.

(4) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور و الفنون الشعبية ، ص 116.

شفاهيا صادرة من الوجدان الشعبي والآخري يرى بأنها قصيدة ملحنة مجهولة المؤلف.

بعد أن قدّم الباحث مجموعة من التعريفات قام بالوقوف عند كل عتبة من عتباتها وأثار فيها الحديث مطولا بأن قدم ما يفند أو يكذب ما تم طرحه، فالتعريف يعني بالمنشأ الجماعي للأغنية و آخر يقر بأنها ذات مصدر فردي، وغيرهم يركز على مجهولية المؤلف في حين هناك من ركز على الرواية الشفوية، وخلافاً عن كل هذا وذلك تبقى "الأغنية الشعبية في المجتمع تعتمد بالدرجة الأولى على ما تؤديه من وظائف وما تعبر به من تطلعات" ⁽¹⁾

بزحفنا للمناطق العربية لمسنا فيها تضارباً بالآراء في تقديمهم لتعريف الأغنية فأحدهم يرى بأنها قصيدة شعرية ملحنة يتم تناقلها شفاهاً، أصل وجودها الوجدان الشعبي ذات أسلوب عفوي وبسيط، وبالعودة إلى التعريفات ضمّنها الباحث بين دقات بحثه سواء عند الغرب أو العرب، بعد أن استجمعنا آراء الطرفين وغصنا في لججها تبين لنا بأن الأغنية قصيدة شعرية ملحنة، مجهولة المؤلف، يتم انتقالها عن طريق تواترها بكثرة بين أفراد المجتمع ما طبعها بسمة الشفاهية، عبرت عن آلام وآمال وأحلام الشعب فهي نابعة من وجدانه تفنن في صياغتها وفقاً لرغباته ما أهلها أن تظل سارية المفعول لحقب متوالية من الزمن.

والأغنية الشعبية كمصطلح "لم تعرفه اللغة العربية إلا حديثاً، و الحق أن المصطلح الألماني VOLKLEID الذي اصطنعه هرذر HERDER في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر هو الذي ترجم إلى كثير من اللغات ليدل

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 19.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

على الأغنية الشعبية وتناقله الرواية الشفوية في الغالب، أن الأغنية الشعبية تؤلف نفسها⁽¹⁾

هذا المفهوم أكد على الأصل الشفوي للأغنية الشعبية وباحثون كثر أيدوا هذه الفكرة غير أن هذا الأخيرة لم تسلم من الانتقاد⁽²⁾ وأقر الناقدون أن الأغنية الشعبية كانت في الأصل من إبداع شخص واحد، ثم راحت الجماعة ترددها وتعديل وتبدل فيها حتى أصبحت ملكاً لها تعبر عن مشاعرها وآمالها وأحلامها، فقد تأثر المبدع بروح الجماعة وانطلق يعبر عن أحاسيسها⁽³⁾

تعريفات عدة أقامت أوتاد الأغنية بالرغم من اختلاف وجهات النظر وتضاربها، إلا أنها قدّمت صورة مصغرة ومعبرة عن المحتوى وملمة بجلّ التعريفات ونوع الباحث في توظيفها بالرغم من إيمانه بعدم إفاء كل تعريف بالمحتوى المنوط به إلا أنه تعمد استحضار هذه التعريفات حتى يستخرج نقاط التقارب والاختلاف القائمة بينها، وبالتالي فالأغنية، بالرغم من تعدد الآراء وتنوعها إلا أن الأغنية الشعبية تبقى⁽⁴⁾ تمثل لونا من ألوان الفن الشعبي إعتاد الناس أن ينظروا إليها نظرة ازدراء ومهانة⁽⁵⁾

من خلال ما تم عرضه آنفاً يمكننا أن نستخلص جملة من البنود العريضة التي تلمم شظايا الأغنية:

✓ تحمل الأغنية في أعطافها قيم نبيلة ومعالم اجتماعية راقية تعمل على بث فحواها في المجتمع ومن ثمة الأخذ بتلايبيها والعمل بها.

(1) إبراهيم زكي خورشيد، الأغنية الشعبية و المسرح الغنائي، ص 08 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) إبراهيم زكي خورشيد، الأغنية الشعبية و المسرح الغنائي ، ص 14 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

✓ الأغنية الشعبية وسيلة الترفيه يلجأ إليها الفرد بغية الترويح عن نفسه وجلب المتعة و السرور.

✓ تكونت الأغنية الشعبية بتضافر العديد من العوامل الاجتماعية و الثقافية وتداخلها مع العادات و التقاليد.

✓ تؤرخ الأغنية للمراحل التاريخية لذلك عادة ما يلجأ الباحثون لتحديد الحقب الزمنية بالعودة إلى الأغنية أن "الأغنية الشعبية لها شأن عظيم في معرفة ثقافة الشعب، والكشف عن شخصيته وروحه، وتفصح عن السلوك والمثل العليا التي يهدف إليها الشعب"⁽¹⁾

بعد رحلة البحث الطويلة التي قضاها الباحث في جمع تعريفات مناسبة للأغنية الشعبية توقف عند كل معلم من معالمها بأن حللناها وشرحناها وطرحنا تساؤلات عدة بشأنها مقدمين بدائل لها مدرجين بين طياتها أرونا الخاصة ملحقين إياها باستشهادات واقتباسات توضح صدق الموقف الذي نحن بصدد دراسته، بعدها أفرد الباحث تعريف قام باقتراحه، ورأى أنه التعريف الملم بجميع التعريفات الأخرى.

اقترح الباحث تعريف للأغنية الشعبية يرى بأنها "تواتر شفاهيا بين أفراد الجماعة مكتسبة صفة الاستمرار لأزمة طويلة"⁽²⁾

الأغنية الشعبية بحسب تعريف الباحث هي التي تم تناقلها شفاهيا بين أفراد الشعب ما ضمن بقاءها لروح من الزمن، في حين يرى بأن مجهولية المؤلف ليست صفة ثابتة وضرورة حتمية تنطبع بها الأغنية بل أنه بالإمكان أن يكون لها مؤلف معلوم ومعروف، في رحلة سفرها ورحلتها الطويلة افتقدت شيئا من

⁽¹⁾ إبراهيم زكي خورشيد، الأغنية الشعبية و المسرح الغنائي ، ص 18 .

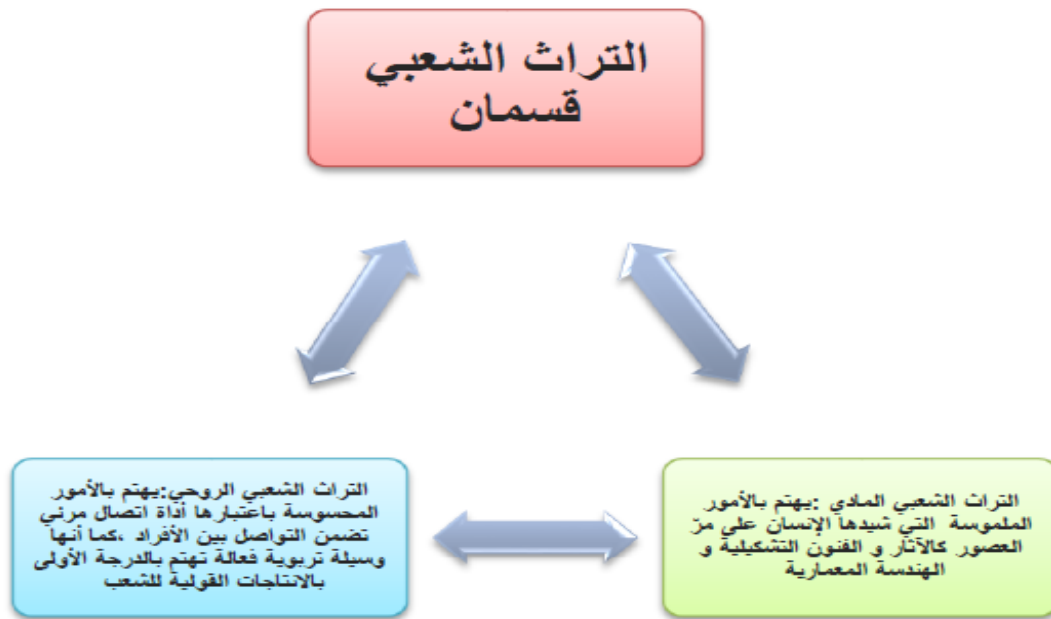
⁽²⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 20.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

خصوصياتهما التي انطبعت بها في وقت مضى كتعرضها للزيادة أو النقصان أو ربما الحذف وهذا أمر طبيعي فيها لأن الانتقال الشفاهي هو من وسمها بهذا الشكل ما جعلها تحمل لقب الإنتاج الجماعي والفني المأثور "فليس شرطاً أن يكون الشعب هو مؤلفها بل تبناها من مؤلفها الأصلي المجهول فأصبحت ملكاً للشعب كله"⁽¹⁾؛ وأثناء تكوين الأغنية الشعبية تلتحم الكلمة باللحن مع الإيقاع لتشكلا سويًا القاعدة الأساس للأغنية الشعبية.

وللخوض في غمار الأغنية الشعبية وجب الوضع في الحسبان أن التراث الشعبي مقسم إلى قسمين : ⁽²⁾

- الشكل رقم 03 : يوضح التراث الشعبي



⁽¹⁾ لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، دط، 1979، ص17.

⁽²⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 21 .

بعد أن عقد الباحث مقارنة بين التراث الشعبي المادي والروحي خرج بنتيجة مفادها أن التراث الشعبي بصفة عامة والغنائي بصفة خاصة يتسم ببساطة اللحن فهي "قصيدة شعرية ملحنة تعتمد على السماع وليس على نوتة موسيقية مكتوبة"⁽¹⁾

هذه الجزئية بالذات استوقفتنا في العديد من المرات ونحن نقرب صفحات المذكرة أثار فضولنا سؤال جوهري يكمن في: لماذا تعتمد الباحث إدراج التراث الشعبي في هذه الجزئية بالذات في ظل أننا كنا غارقون معه في الحديث عن الأغنية الشعبية؟ بمعنى آخر لماذا إنزاح الباحث في حديثه عن الأغنية وعلق شأبيب تصورات في التراث الشعبي؟

الأمر المفروغ منه والمتعارف عليه أن الأغنية الشعبية من الأبنية البكر والورث الشرعي للتراث الشعبي تطرق الباحث إلى ذكره في هذا المقام ليس بالأمر العفوي، بل أنه الباحث تعتمد إقحامها ليين للمتلقى بأن الأغنية هي إحدى تفرعات التراث.

الأغنية الشعبية عبّرت عن أفكار عواطف وأحاسيس الإنسان الشعبي وصورت جلّ الظروف المحيطة به عن طريق النغمة والموسيقى اللذان جعلها سريعة الذبوع، عميقة التأثير في الإنسان زادتها المسحة الفنية أكثر بروزاً لأنها تستميل الأذن بفضل صياغتها المحكمة، التي تتم على أن الإنسان الشعبي فنان ومتذوق للفنّ يحسن التعبير عن دواخله حتى في أصعب وأحلك اللحظات والمحنّ، وفي ذروة تعبهِ عبّر عن إحساسه استناداً إلى الأغنية الشعبية، فحتى في

⁽¹⁾ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور و الفنون الشعبية، ص 114.

المشي عبر عن مشاعره هذا على حدّ تعبير فرجيل: "لنمش ونحن نغني نحف تعبنا من جراء السفر"⁽¹⁾

من جهة أخرى يرى الباحث أن الأغنية الشعبية مقترنة "بعواطف الإنسان الشعبي و طبيعة تفكيره، إنما ترتبط بأحاسيس الناس وتتواصل مع مشاعرهم"⁽²⁾

فالعواطف هي المحرك الأول لتركيب وإنتاج الأغنية الشعبية إذا أحس المرء بالتعب عبّر عنه بالأغنية وإذا شعر بالفرح نسج على منوالها موال غنائي وإذا مسّه القرح، إندلف إلى الأشجان وبكائيات الروح حتى يفصح عن ما يتبادر في ذهنه، مضيفا عليها "النغمة واللحن مما جعلها تنتشر وتتغلغل داخل الإنسان الشعبي"⁽³⁾

مما رسخ هذه الأغاني في المخيال الشعبي وأسهم في انتشارها وذبوعها بين الأوساط الشعبية "لأن التعبير بالموسيقى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعبير بالكلمات والتعبير بالرقص"⁽⁴⁾

- منطقة الشرق الجزائري: تحديد مكان المدونة

حدد الباحث المجال الجغرافي الذي استقى منه المبادئ الأولى لدراسته النظرية والتطبيقية على حدّ سواء أو ما عبّر عنها بمصطلح الامبريقية؛ (هو توجه فلسفي يؤمن بأن المعرفة الإنسانية تأتي بشكل رئيسي عن طريق الحواس والخبرات أي أن أصل المعرفة هي التجربة) وبما أن مناطق الشرق الجزائري متعددة المناطق و متشعبة الأرجاء ذات محيط جغرافي واسع تتداخل بين طياته

(1) أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي ، ص 293

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 21 .

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور الفنون الشعبية ، ص 139 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

جميع الأنشطة المعيشية و تستند في مبناها الروحي إلى أطراف متنوعة الألوان ومتأججة بالعواطف والأحاسيس تحتكم في بناء قوامها إلى معايير و قوانين أخلاقية رادعة.

بعد اكتشاف هذه المناطق وزيارتها من قبل الباحث والتغلغل بين أطرافها يتبين له أن هذه المناطق تحتفي بزخم فني كبير من الأغاني الشعبية على كثرة تنوعها وسعة اختلافها زعم الباحث إلى الخوض في غمارها بالدراسة والتي هي بمثابة التأريخ للأحداث القابعة في الأمة إبان فترات متعاقبة من الزمن.

إيلاء الاهتمام بمناطق الشرق الجزائري بعد رحلة بحث طويلة و صعبة خاصة عند محاولة رسم مخطط يحدد المناطق أو القرى الصغرى التي تتكون منها كل منطقة ومن ثمة يمكن إسقاط التجربة النظرية بخصوصها، إلا أن الباحث في نهاية المطاف اعترف بأن هذا الاقتراح صعب المنال بل أنه مستحيل، رادا ذلك لعدة عوامل من ضمنها كثرة السكان وكبر المناطق التي سيأخذ منها عينات الدراسة مثل (قسنطينة بجاية، باتنة...)، وفي غرة ذلك إرتأى الباحث أن ينتقي المناطق الصغرى لماذا يا ترى؟

عزوف الباحث عن دراسة المناطق الكبرى وأخذ نماذج منه يمكن رده إلى عدة عوامل أولها على الإطلاق أن هذه المناطق لا تزال محافظة، وأشد حرص على إيلاء الاهتمام بالمقدرات الشعبية معتبرة إياها دستور أمتها لا يحق لأي كان المساس بها أو الخدش بمحتواها و قيمتها.

من جهة أخرى أن ضبط منطقة الدراسة ستكبح جماع تفكير الباحث لا يبقى مشتب الذهن وشارد بين هذا و ذاك وبالتالي يصعب عليه لمها والسيطرة عليها مما يضيف على أعماله الزبئية والضبابية في إيراد المعلومات عنها، فإذا كانت عينة الدراسة دقيقة و مضبوطة سيسهل عليه التحكم في احتواءها والتعمق في

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

دراساتها، كما أرجع صعوبة دراسة هذه الخصائص الايكولوجية والثقافية والاجتماعية لكل منطقة من هذه المناطق، وذكر أن الأخذ بعين الاعتبار بهذه العوامل سيساعد على رسم تنميط معين متدرج يعكس هذه التباين.

2 - موضوع الأغنية الشعبية وخصائصها في أطروحته :

ذكر الباحث أن موضوع دراسته يدور حول الأغنية الشعبية تركيزا على المنطقة الشرقية الجزائرية يسعى هذا البحث "للوقوف على التغيرات التي طرأت على شكل الأغنية الشعبية ومضمونها في مختلف المستويات"⁽¹⁾

ركز الباحث على الأغنية الشعبية بالضبط على المتغيرات التي تقصف بكيانها الشكلي لتنخر مضمونها الداخلي مع الوقوف عند جميع التشكيلات الحديثة التي اجتاحت كيانها وامتدت لمجتمع الدراسة بأسره "على الرغم من إدراك الأدباء والباحثين لأهمية دراسة الشعبية في وقت مبكر إلا أن الاهتمام بدراسة قضاياها متأخرا، وبرز بصفة خاصة خلال النصف من الأول من هذا القرن"⁽²⁾

بعد أن أدرك الباحثون مدى أهمية دراسة الأغنية الشعبية في التاريخ لأحداث الواقع، التفوا جميعا لاستئصالها من رحم البيئة الاجتماعية والتنقيب عن أحداثها، وبالرغم من تأخرها لكنها في وقت وجيز استطاعت أن تحقق نجاحات باهرة أصلت لميلاد الأغنية الشعبية، "كما اتفق الدارسون والمحللون رغم اختلاف منطلقاتهم الفلسفية على ارتباط الأغنية الشعبية بالعقائد والطقوس وإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية و الترويح عن النفس"⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا ، ص 28 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 28-29

⁽³⁾ المرجع نفسه ، ص 29 .

رغم اختلاف المنطلقات الفلسفية للدارسين والمحللين إلا أنهم اجتمعوا على أن يفترقوا في تأكيدهم على ارتباط الأغنية الشعبية بمنطلقات عقائدية وطقوسية وإثراء المكونات النفسية والاجتماعية والإفصاح عن ما يجوب في بواطن النفس، مع تصوير جميع المراحل التي تنمط مسيرة حياة الإنسان بمختلف توجهاتها، غير أن الشيء الوحيد الذي اختلفوا فيه يكمن في تحديد مصدر الأغنية الشعبية وطبيعتها، لم يخف على الباحث في هذا المقام من أن يحدد أهم المراجع التي اعتنت بدراسة الأغنية الشعبية ضمن ذلك في ذيل قلميش الصفحات صفحة ثمانية وعشرون و تسعة وعشرون ليدخل بنا بعدها إلى:

- تطور الأغنية الشعبية:

ذكر الباحث أن الأغنية الشعبية "قديمة قدم وجود الإنسان، حيث كانت غذاء روحياً له، ولحناً ينبعث من وتر الحزن في قيتارة الحياة، وصدى لنوازع النفس في الأمل والتطلع للمستقبل وبحر تتلاطم فيه أمواج التفكير الشعبي ببساطة وعفوية"⁽¹⁾

الأغنية الشعبية رافقت الإنسان منذ أن كان مضغة في رحم أمه تخط في مخاضها ونما في أحشائها و تغذى من حبلها السري تعايش مع أمه جميع الظروف مطبات الحياة، في كل حركة لولبية في رحلها كان ينبأ الأم بأنه يحيا و يتنفس كبر ذلك الجنين إلى أن أتم التاسعة أشهر خرج بعدها إلى النور وأتم النمو وهي ترافقه في جميع مراحل حياته في حزنه وفرحه كانت الأم دائما تكرر له هذه الأغاني حتى يشب عليها وينهل من عباراتها وكلماتها وموسيقاها الكثير الكثير لبناء المستقبل بكل عزم وثبات، "فلحن الراعي في شبابه و ترغم الشحاذ في

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص30.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

صفارته وهزيج الحاوي في قافلته، كل هذه التراثيمات التي تنبعث من الأعماق وهي تحمل هيام الروح وظماً العاطفة ولهف النفس⁽¹⁾

اندلف المؤرخون إلى دراسة الغناء الكلاسيكي مستبعدين الأغنية الشعبية لعدة اعتبارات كونها في نظرهم تزيد الطين بلة والمعلول علة فمادتها خاوية المحتوى وشعريتها ذاوية القنديل لا تعطي أدنى فكرة عن المستوى الفني للطبقة الحاكمة التي كانت محلّ اهتمام في عصور ولت،⁽²⁾ كانت الأغنية الشعبية رفيقة الإنسان في بيته وعقله ومرعاه، ومبدعه، فصورت بذلك روح الشعب الذي ينتمي إليها الإنسان الأول وصارت مع الزمن تشكل إرثاً وطنياً يضاف إلى هذا الإرث في كل حقيقة من التاريخ ثروة جديدة⁽²⁾

الأغنية الشعبية كانت لصيقة الارتباط بالإنسان صارت في جميع مراحل حياته وفي جلّ الأمكنة والأزمنة هي رفيقة دربه، أعطت صورة مصغرة لكن ذات محتوى عميق يمكن وضعها في متحف يجتفي بها كإرث وطني يضاف إلى أجندة التاريخ كدراسة حديثة المبنى قديمة المحتوى، من هذا المبدأ تبلورت في مخيلنا العديد من الأفكار والكثير من الإشكاليات من ضمنها: هل الأغنية الشعبية نوع واحد أم عدة أنواع وإذا كانت عدة أنواع هل بإمكان الدارس الفصل فيها وتحديد مضامينها ؟

كل هذا وأكثر عرضه الباحث بين دفات منجزه سنحاول الاستتباب خلفه ونستأصل مكوناته.

(1) إبراهيم زكي خورشيد، الأغنية الشعبية و المسرح الغنائي، ص 14.

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 31.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

- أنواع الأغنية الشعبية : ذكر الباحث أن الأغنية الشعبية عدّة أنواع قسمها بدوره إلى ثلاثة أقسام وهي:⁽¹⁾

✓ أغاني المناسبات الاجتماعية.

✓ أغاني العمل.

✓ الموال.

في حين أن هناك من الباحثين من وسع دائرة هذا التقسيم وأضاف عليها أنواع أخرى مثل :'' أغاني المناسبات وأغاني البحارة وأغاني الفلاحين وأغاني الثورة التحريرية والأغاني الحضرية ذات الطابع الأندلسي''⁽²⁾

أدلى كل باحث بدلوه في هذا المقام وفي تعداد أنواع الأغنية الشعبية مقسما إياها بحسب ميولات كل أفراد مجتمعه و بحسب ما هو ملاحظ في البيئة الاجتماعية التي يحيا في نطاقها، وما الأغاني التي يتم تداولها بكثرة إلا أنها نابغة عن احتياجات الفرد والجماعة وكل باحث ينطلق في تقسيمه لها على خلفيات وظروف ومواقف احتك بها ولا مسمها وتعايش في غمارها لهذا يمكننا ردّ أنواع الأغنية الشعبية بحسب توجه الباحث إلى'' اختلاف المناطق والأقاليم فمثلا على مستوى العالم العربي نجد أنواع مختلفة لها قواعد وأصول منها ما هو مشترك وشمولي ومنها ما تختص به منطقة على أخرى أو بلد على آخر''⁽³⁾

ليبن الباحث موقفه إزاء هذه القضية ارتأ أن يقدم مثلا ييسط فيه هذه الفكرة وأقرّ بأن الاختلاف القائم على مستوى المناطق والأقاليم في العالم العربي مرده انعكاس أنواع شتى للأغنية الشعبية والتي تحتكم إلى قوانين و قواعد منها ما هو

⁽¹⁾ ينظر : عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا، ص 31 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 32 .

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 33 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

عام ومشارك ومنها ما هو خاص بمنطقة أو بلد بعينه، ومن هذه الأنواع نجد "الأهزوجة" (*) الأغنية الحرة، النشيد، الموال، القصيدة الغنائية، الموشح، المغناة، الغناء الديني المختلف فروعها الأنواع السابقة الذكر نجدها في كل منطقة من المناطق العربية في حين لا نجد نوع آخر يمتاز بالخصوصية المحلية حيث أنه لكل منطقة نوع تمتاز به عن المناطق الأخرى⁽¹⁾

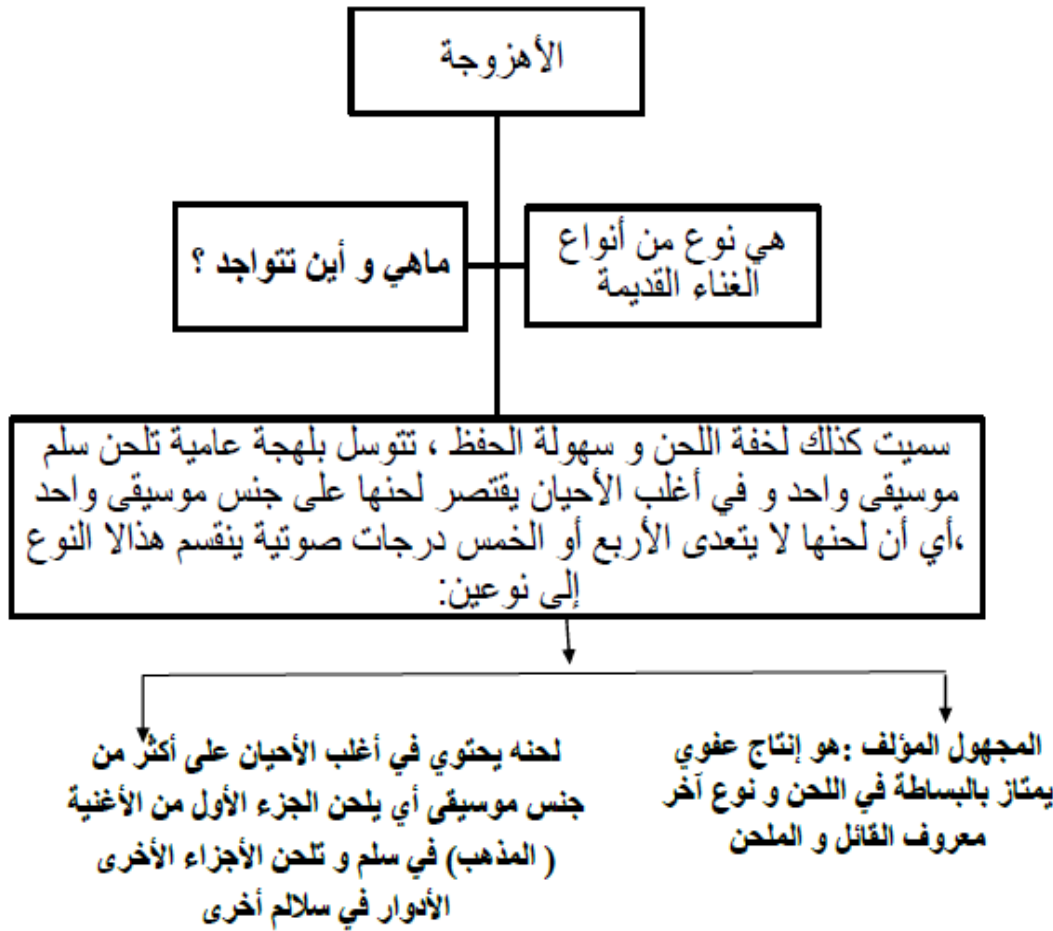
إختلاف المناطق والأقاليم في العالم العربي يلزم عنه مباشرة الاختلاف في الأنواع فقد عدّ الباحث هذه الأنواع كالأهزوجة والأغنية الحرة والموشح...، كلها تحوي بين أعطافها خصوصية محلية فلكل منطقة نوع خاص تمتاز به عن المناطق الأخرى منها "الدور الذي يوجد في مصر، والقدود في سوريا، والمقام في العراق، والمألوف في الجزائر والمغرب وتونس، وأغاني الزار في السودان، والصوت والغناء البحري في اليمن والخليج العربي"⁽¹⁾

نفس النوع الغنائي الموجود في جلّ المناطق العربية غير أن التسمية تختلف من منطقة إلى أخرى لكن المحتوى ذاته، بعد أن أعرب الباحث عن ذكر أنواع الغناء في مقابلها البلد الذي يحتضنها قام بذكر الأنواع الموجودة في كل المناطق العربية وتحمل ذات التسمية وهي: (2)

*الأهزوجة: هي أغاني جماعية تعكس تراث المنطقة مفرحة كانت أم محزنة ذات أسلوب مؤثر و عاطفة قوية و صادقة متدفقة من أعماق الفؤاد فتخلق نوع من الفرح و السعادة، تعبر كذلك عن الأحزان وتحیی القيم الدينية، نقلا عن خيرة صغير، الأهزوجة، النسوية بمنطقة سيدي جيلاني، مذكرة ليل شهادة الماجستير، 2011 — 2012، ص 95 .

(1) ينظر عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا، ص 34 .

(2) المرجع نفسه، ص 35 .

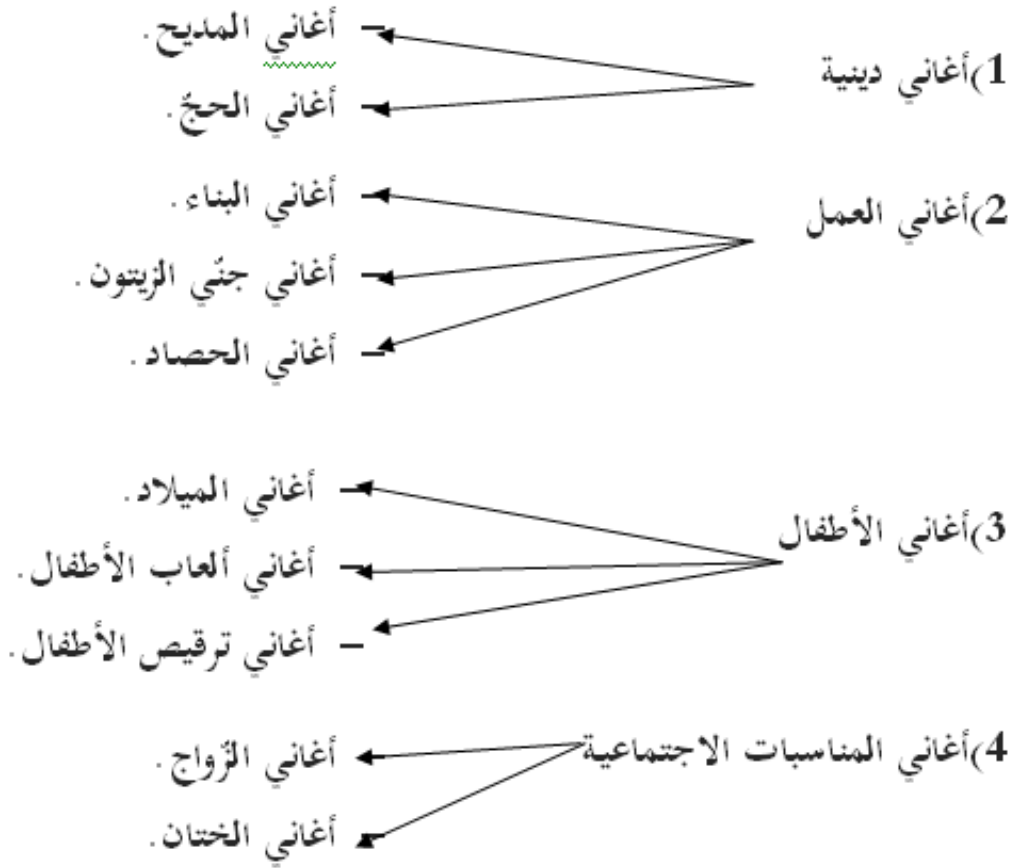


الأهزوجة هي نوع من أنواع الأغاني الشعبية تعبر عن صوت الجماعة الشعبية وعن تراثه فهي مرآة عاكسة لمجريات الواقع بكل خلفياته، وسيلتها اللهجة العامية، تلحن بتأثير الإيقاع الغنائي بواسطة آلة موسيقية شعبية تدعى الطبل.

وألقى الباحث هذا التوجه بإدراج نماذج من أنواع الأغاني الشعبية الأخرى والتي تندرج جميعها تحت لواء الأهزوجة⁽¹⁾ وتحت على العمل والتغني بالأوطان، وغيرها من المواضيع السياسية والاجتماعية والأخلاقية.⁽¹⁾

تطرق الباحث إلى ذكر أنواع عدة للأغنية الشعبية تبني بحسب الظروف والأوضاع التي يحيا ويتعايش فيها الفرد داخل خلية المجتمع، وكحوصلة لما سبق ذكره على الاختلافات القائمة في تقسيم الأغنية الشعبية إلى:

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 34، 35



5) الأهازجة.

6) الأغنية الشعبية الثورية.

سركز في هذه الدراسة على الأغاني الشعبية التي تطرق الباحث إلى دراستها فحسب .

- الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري:

الأغنية الشعبية الموجودة في الشرق الجزائري مثلها مثل باقي الأغاني الشعبية المتواجدة في جميع بقاع القطر الوطني، تعود بداياتها الأولى إلى تاريخ ميلاد ونشأة الإنسان تحمل في جعبتها قيم ومعتقدات وطقوس وعادات وتقاليد ، تواضع على إقامتها جميع أفراد الشعب أو المنظمة التي يقطنون بها تتحكم في نشأتها لعوامل محلية إقليمية وبيئية كالزمان والمكان المؤشر الأول في تركيبها،

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

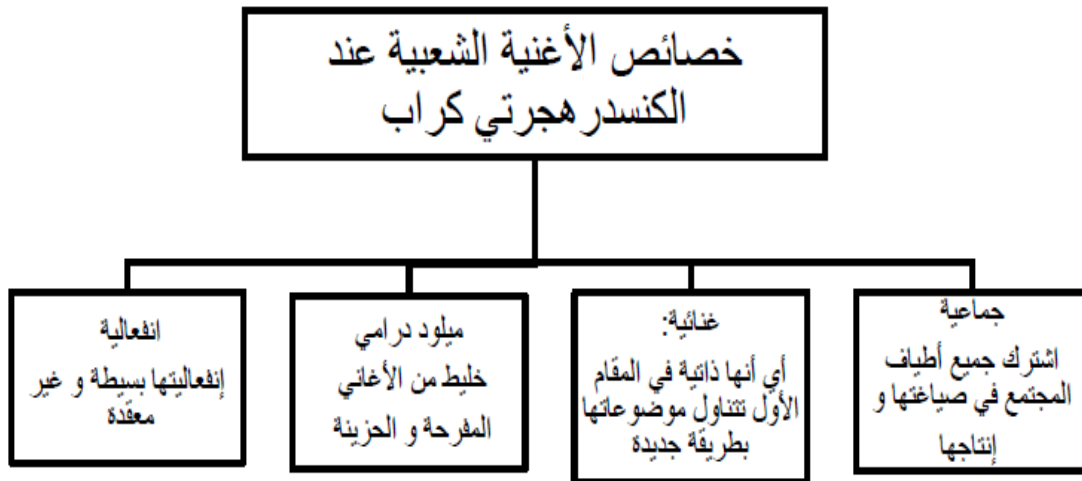
من هذا المنطلق بدأ الباحث بحصر عينة دراسته بعد أن ولج إلى تصنيف ودراسة الأغنية الشعبية داخل نطاق الشرق الجزائري معنوياً إياها بـ:

- تصنيف الأغنية الشعبية:

كل باحث وكل دارس تطرق لدراسة الأغنية الشعبية إلا واقترح جملة من الآليات التي يمكن اعتمادها في تصنيف الأغنية بدأ من منطلق دراستها المتمثل في المناطق التي تنسب إليها الأغنية تليها المواضيع (الأغراض) التي تم التطرق إليها، بعدها الآليات المستعملة فيها.

- خصائص الأغنية الشعبية:

مهّد الباحث أولاً بالمكانة المرموقة التي تحظى بها الأغنية الشعبية، بعدها تطرق إلى ذكر أهم الخصائص التي أوردها ألكسندر هجرتي كراب لخصها في النقاط التالية:⁽¹⁾



⁽¹⁾ ينظر : عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 37 .

أرفق الباحث هذا التصنيف بإيراد تعليق يصف فيه مواضع القوة من مواطن الضعف في تقسيم إلكسندر شاطره الرأي في أنها جماعية هذه السمة التي تتميز

الأغنية الشعبية والتراث لشعبي برمته ، غير أنه حدد مقاصد إلكسندر من توظيفها: (1)

أ) أنها جماعية التأليف لما تتعرض له من التغيرات والتعديلات أثناء تداولها بين الأجيال.

ب) أنها جماعية تعكس فكر الجماعة الشعبية و مشاعرها.

يمكن ردّ جماعية التأليف إلى مقصدين الهدف من تضمينها يمكن إرجاعه إلى التغيرات التي تحتاجها أثناء فترة انتقالها بين الأجيال ، ثم أنها عبارة عن مرآة عاكسة لجلّ ما يختلج في فكر الجماعة الشعبية ، فصل الباحث في هذه النقاط ووقف عند كل لبنة من لبناتها وأطال الحديث فيها بأن حللها وأرفقها بأمثلة، أما عن أسباب التغيرات التي تحدث في الأغنية فيمكن ردّها إلى "الخطأ في السماع، النسيان، عدم فهم الكلمات، أو علاقة الكلمات ببعضها البعض" (2)

بعد أن أطال الباحث الحديث عن هذه التركيبات الجوهرية التي كبحت جهاج الخصائص الفنية للأغنية الشعبية، انتقل إلى تضمين خصائص أخرى:

1) قصيدة شعرية شعبية ملحنة:

الأغنية الشعبية تحاك على نفس منوال الشعر الشعبي في طريقة نظمه وإبداعه، فالأغنية تحفظ ماء وجه اللحن والموسيقى الشعبية هذه الأخيرة تعمل

(1) ينظر: عبد القادر تطور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 37، 38.

(2) أحمد علي مرسى، الأغنية الشعبية (مدخل إلى دراستها) ، ص 45.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

على سرعة حفظها وذيوعها بين الأوساط الشعبية بفعل احتواءها النغمة والتواتر الموسيقي الذي يعمل على رصّ بنية الكلمات والألحان على حد سواء.

(2) مجهولة المؤلف أو معلومة:

الأغنية الشعبية بإمكانها أن تأتي معلومة المؤلف كما يمكن أن تأتي غير معلومة ربما هذا ما قصده الباحث عندما أدرج العنوان و فصل الحديث في هذه الإشكالية وأرفق ذلك بمثال فإذا كانت معلومة المؤلف ساق نموذج عن الإبداع الجماعي لأغنية حيزية "ذات المؤلف المعروف الشاعر الشعبي ابن قيطون قام بغنائها "عبد الحميد عباسـة" تم انتقلت إلى مطربين آخرين أمثال "رابح درياسـة" و"خليفة أحمد"⁽¹⁾

ثم بعد ذلك ردّ الجهل بالمؤلف مردّه الجهل بأصل الأغنية "إنما يعني القدم وتباعد الزمن بين أول ظهور الأغنية و حتى اللحظة التي اتصفت فيها بالشعبية"⁽²⁾

أما إذ توفر للأغنية "معرفة تاريخ وجودها صفة الشيوع ، ورددها الناس من هذا المنطلق لا يذكر مؤلفها إلا عند التعرض لها من قبل الباحثين."⁽³⁾

وبالتالي فالأغنية الشعبية لا بد من أن لها مؤلف اعتنى برسمها وتركيبها وشحنها بتوتر عالي من المشاعر ونظراً لغياب التدوين والكتابة ذاب إبداع هذا الفرد في أحضان الجماعة فأصبحت تتسم بالجماعية في التأليف وبالمجهولية للمؤلف.

(3) منشرة و متداولة :

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 39 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 40.

⁽³⁾ المرجع نفسه ، ص 40 ، 41

خاصية أخرى من خصائص الأغنية الشعبية هذه الأخيرة تحقق نجاحاً باهراً إذا ما تم تداولها على نطاق واسع بين الجماهير الشعبية و تلقفتها العامة ضمنت سرعة تدفقها بين الأفراد وبالتالي تنتشر كالنار في الهشيم وتحقق شهرة و ذيوع كبيرين ،بخاصة "عندما تلقي القبول العام وتظل كذلك لأعوام طويلة وتصبح وسيلة الشعب التلقائية في التعبير الفني عن وجوده وأحلامه ومشاعره فهذه هي الأغنية الشعبية الحقة"⁽¹⁾

الأغنية الشعبية عندما تلقي القبول من طرف جمهور الشعب ويتجاوب معها وينغمس في غمارها تبقى سارية المفعول ولن يفل نجمها الساطع ما حيي الإنسان لأنه تفاعل معها وغاص بين كلماتها وعباراتها وإرتحل عبر أحنائها، هي متنفسه أفصح فيها عن عن خلجات روحه ضمنها أحلامه و آلامه ومشاعره إلى غاية وصولها إلى مصاف الشهرة، ويمكن وصف "الأغنية الشعبية بأنها تتسم بالشيوع والانتشار، لذلك لا بد أن تكون جارية الاستعمال و منتشرة"⁽²⁾

الأغنية الشعبية حتى تضمن بقاءها وسيرورتها بصفة دائمة بين الأوساط الشعبية وجب أن تتحلى بالشيوع والانتشار فهي عنوان لبقاءها وإستمراريتها.

4) التعديل بالزيادة والنقصان :

الأغنية الشعبية عندما تضيع في الأوساط الشعبية عن طريق الرواية الشفهية بإمكانها أن تتعرض إما للزيادة أو للتغيير أو النقصان "وهذا دون المساس بالجوهر والأصل ،حيث أن الأصالة مطلوبة في التراث الشعبي بصفة عامة والأغنية بصفة خاصة"⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد القادر تطور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 40.

⁽²⁾ حسين عبد الحميد أحمد رشوان ،الفولكلور و الفنون الشعبية ، ص 117 .

⁽³⁾ عبد القادر تطور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 41 .

صحيح أنه يحدث اختلالات كبيرة عند انتقال الأغنية الشعبية شفاهيا بين العامة كتبديل كلمة عن موضوعها أو تغيير أخرى أو حذف جزئية منها وهذا مرده لعدة أسباب جلية وأخرى خفية أو ربما حتى يسهل انتشارها وتداولها يلزم أن تكون طيعة في اللسان الشعبي يفهمها الجميع و ميسرة لدى الكل، "ومع ذلك تتصف الأغنية الشعبية بالحيوية و المرونة ،فهي تتغير و تتعدل باستمرار"⁽¹⁾

رغم ما يطرأ على الأغنية الشعبية من تغيرات خلال رحلة مسيرها وانتشارها في الأوساط الشعبية إلا أنها تظل محافظة على رونقها وسرّ جاذبيتها، هذه التحولات جاءت لظروف وأوضاع خاصة، ثم الارتكاز عليها لبث وبعث الأغنية بروح ونفس جديدة يكون مواتيا للظروف وذو قابلية لعقلية الفرد.

خصائص عدة ضمّنها الباحث بين أسطر منجزه إلا أننا بإمكاننا أن نضفي خصائص أخرى تغاضي الباحث عن ذكرها " فالأغنية الشعبية تشترك مع غيرها من ألوان الفنون الشعبية القولية كالأمثال الشعبية، والحكايات الشعبية، والأساطير وغيرها في انتقالها من شخص لآخر ومن منطقة لأخرى، ومن جيل إلى جيل عن طريق الرواية المشافهة، دون أي اعتماد على التسجيل، أو التدوين الذي ربما يعطيها نصاً ولحناً وشكلاً ثابتاً محدداً "⁽²⁾

من غير الممكن أن نتخطى علائقية الأغنية الشعبية بباقي الفنون الشعبية الأخرى بل أنها تشترك معها في العديد من النقاط القولية هذا ما يشفع لها بأن تكون سريعة الانتشار من خلال آليتين الرواية والمشافهة من باب أن الأغنية

⁽¹⁾ حسين عبد الحميد أحمد رشوان ،الفولكلور و الفنون الشعبية، ص 117 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 117

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الشعبية⁽¹⁾ ليست نص مدّون، فهي دراجة الأسلوب وباللّجة العامية، تزدهر بين الأُميين في المجتمعات الشعبية⁽²⁾ (1)

أهم سمة تتحلّى بها الأغنية الشعبية هي أنّها دراجة للأسلوب واللّجة المحلية العامية تحتفي بها الأوساط الشعبية لأنها دستور أمتها.

خاصية أخرى يلزم على الدّارس وضعها نصب الأعين وهو أنّ الأغنية يشترط أن تؤدي وظيفتها الاجتماعية التي خلقت من أجلها تماماً، فإذا كانت ترتبط بطقوس ومناسبات معينة، كان لابد من تسجيلها وتحقيقها عملياً في أثناء استخدامها ميدانياً ومن أفواه الطبقات الشعبية إلى جانب وظيفتها الأساسية، وهي الترفيه والتسلية⁽²⁾ (2)

الأغنية الشعبية ذات مفعول مركز أبدعت لتأدية مهام جليّة كاحتواءها على مجموع الطقوس والمعتقدات التي تحتفي بالمقدّرات الشعبية، وكان لزاماً عليها أن تستجمعها جلّها حتى توثق للتأريخ للإنتاجات الشعبية، لحفظ بقاءها ودوام سيرورتها وسرعة ذبوعها بين الأوساط الشعبية لبساطتها وعفويتها.

وفي ختام حديث الباحث عن خصائص الأغنية نوه إلى أنّه "بالرغم من تفرعها من حيث الكلمات من منطقة إلى أخرى فإنّها تبقى محافظة على الجانب الموسيقي لها، وحتى الإشارات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي تتضمنها الأغاني نجدها متشابهة كثيراً"⁽³⁾ (3)

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور و الفنون الشعبية، ص 118 .

(2) المرجع نفسه، ص 118 .

(3) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 43 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

تتميز الأغنية الشعبية بتنوع تركيبات كلماتها من منطقة لأخرى، لكن على الرغم من ذلك تبقى محافظة على المبنى العام والمحتوى الموسيقي تحوي بين طياتها قيم تاريخية واقتصادية واجتماعية.

بعد رحلة البحث المتواصل والتقيب المستمر عن جذور الأغنية الشعبية تبلورت بوادر الدراسة لدى الباحث بأن إختار موضوع بحثه لبناء فصوله، إستل نماذج الأغنية الشعبية من المجتمع الريفي ثم الحضري لمناطق الشرق الجزائري، وقد راعى في هذه الدراسة شروط عدة، كعدم إغفاله على دراسة الفئات الاجتماعية التي تتميز بالخلق و الإبداع ، ثم أنه من خلال الأغنية يمكن التعرف على حيثيات الواقع المعاش والماضي التليد.

من هذا المنطلق بنى الباحث أسس منجزه وفق إشكاليات بحثيه عدة أطل الحديث فيها، بعد أن حزّ في نفسه كثيرا غنى المحتوى ومدى القيمة الجوهرية التي تتمتع بها الأغنية على الأساس هذا بدأ الباحث مشواره البحثي بأن بدأه بطرح جملة من التساؤلات مهدت الحديث لتتطرق لخاصية أخرى وهي :

- أولا : صياغة الإطار النظري:

ناقش الباحث أول الأمر موضوعات نظرية حول الأغنية والتراث الشعبيين ومن ثمة استنبط المفهوم العام للأغنية الشعبية، بعدها ذكر أن التعريفات الواردة بخصوص الأغنية عامة وشاملة ولا تمت بأي صلة للمجتمع الجزائري، ولج الباحث في لججها وصال وجال بين العالم الغربي ثم العربي وتتبع مسارهما بنظر ثاقب وبعقل واع ، ليقرّ بعدها بأنه "لا يمكن فصل الأغنية الشعبية عن إطارها الوطني الشامل، فتطورها نابع من فكرة الخصوصية التاريخية للمجتمع الجزائري الذي يجب أن يرتبط برؤية عامة للمجتمع ككل" (1)

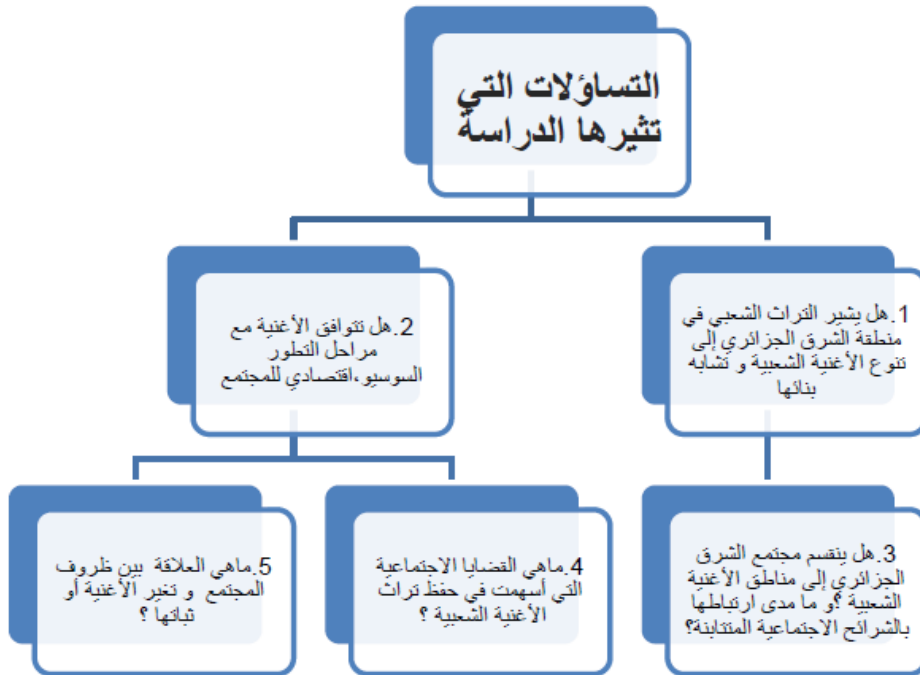
(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا، ص 48 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الأغنية الشعبية لا يمكن دراستها بمعزل عن المجتمع الوطني بل أنه وجب دراستها في أحضان الوطن، وتطورها ناجم من المرجعية التاريخية التي كان يحيا فيها المجتمع الجزائري الذي تقاسم أفرادها نفس الأحداث ونفس الظروف خاصة إبان الثورة التحريرية المضفرة، أي أنها تحوي على تاريخ وماضي مشترك، في إطار هذا صاغ الباحث مجموعة من الفروض ترتبط بشكل مباشر بأنماط الأغنية الشعبية من قاعدتها التاريخية ومدى ارتباطها بالواقع.

- 3- فروض الدراسة وتساؤلاتها:

- طرح الباحث العديد من التساؤلات تصب في صميم الدراسة مقسماً إياها إلى منحين.⁽¹⁾



⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 49.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

لم يخف على الباحث أن يطرح تساؤلات عدّة بنى عليها قاعدة دراسته من هذه الإشكاليات يتكون مضمون البحث، من جهة أخرى طرح الباحث

تساؤلات مناقضة للأولى منها : ⁽¹⁾

- الشكل التالي يوضح مايلي :



تبنى تساؤلات الدراسة على شروط عدة كتعلق الأسئلة بموضوع البحث، وأن تكون قصيرة ومركزة وواضحة و بعيدة عن الغموض، ومن ثمة فالتساؤلات الأولى والثانية تشكل متواليّة فيما بينها فالإجابة على الأولى تكشف اللثام وتعطي إجابات جلية عن الثانية، عمد الباحث إلى إيراد هذه الخاصية في تشكيل الملمح العام للبحث من منطلق أن سرّ الوجود يكمن في طرح تساؤلات فضولية تبحث عن مكان الشيء ، بعدها ضمّن سؤال في صميم الموضوع ألا وهو :

- ماهي النظرية الأكثر ملاءمة لتفسير واقع الأغنية الشعبية وارتباطها بالأنما

الفردية بـ نحن ؟ ⁽²⁾

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 49.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 49.

تساؤلات عدة وقف الباحث على اعتبارها و جعل إياها منطلق و حيز الأساس لبناء بحثه، هي إذن تساؤلات في صميم الموضوع تبحث في أغوار الأغنية، فحتى ارتباطها بالضمائر قد أثار الباحث الحديث عنها وهي خاصية قلما تنبه لوجودها العديد من الدارسين وكأنه يباثارتها قد فصل بين الأغنية التي ردها فرد بعينه وبين الأغنية التي تكاثفت جهود الجماعة في إنتاجها، إنتقل بنا الباحث بعدها للحديث عن :

- (ب) فروض الدراسة:

بمعنى أن الباحث إفترض بأن تبني دراسة الأغنية الشعبية ، ما هي الإجابات التي تحصل عليها أو المفترض الوصول إليها بعدها: ⁽¹⁾

1. بعداً معرفياً.

2. بعداً شعبياً (مكونات الضمير الجمعي للمجتمع).

3. بعداً تاريخياً.

بنى الباحث هذه الخاصية وفق خطية منهجية محكمة ومتراصة القوام حرص فيها أن تكون ذات هندسة معمارية فنية، وجدنا فيها تسلسل منطقي للإشكاليات مرفقا إياها بإيراد فروض أو الإجابات المفترضة للدراسة والتي ردها لعدة أبعاد معرفية كانت أم شعبية أم تاريخية، كل هذه الأبعاد تضافرت وانسجمت مع بعضها البعض المنطلق الأول للدراسة البحثية، ذاكراً بأن مصادر دراسته قد أخذها من كبار السن في منطقة الشرق الجزائري كما تحدث عن واقعها و كيفية أدائها ومدى تغيرها، مما لاشك فيه أن الزيارة الميدانية لمقر الدراسة تفضي للتعرف عن العديد من الأشياء من حيث: ⁽²⁾

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 50 .

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 50 .

- التعرف على مجتمعات الدراسة.
 - تعديل صحيفة البيانات.
 - الحصول على بعض البيانات الأولية عن مجتمعات الدراسة.
 - و بعد هذه الزيارة تم تطبيق هذه الصحيفة.
- "المتخصصون في الجمع والتصنيف والعرض، فإن المبدأ الذي ينبغي أن يعتصموا به، هو القدرة على تمييز المادة الشعبية عن المادة المتحولة على الشعب مع العلم بأساليب الجمع الميداني ومناهج التصنيف النوعي وإعداد الأرشيف"⁽¹⁾
- التقل إلى جمع عينة الدراسة من أفواه الشعب تجربة مميزة تفتح آفاق واعدة للدارس بأن يثري موضوع دراسته، كما أنها تفتح مخياله للتطرق لمواضيع أخرى إشتكت الجماهير الشعبية في بناء قوامها ، زدّ على ذلك أن معاشة جمهور عينة الدراسة والاحتكاك به يفتح المجال للباحث للتعرف أكثر على طقوسهم ومعتقداتهم وعاداتهم التي يؤمنون بها ، ثم أن المجال الجغرافي له إنعكاسات واضحة على مضمون الأغنية ، وبالتالي تبقى البيئة الاجتماعية هي المفجر الأول لطاقت الباحث الكامنة تحفزه وتستثير فيه العديد من التساؤلات والبحث والتنقيب المستمر لإيجاد حلول وجيهة لها.
- من الجانب التاريخي كان له الفضل في بناء عماد الأغنية الشعبية بالرغم من أن الدراسات في هذا الميدان في الفترة الاستعمارية كانت ضئيلة إلا أن الباحثون قد تخطو كل هذه العقبات "واستمروا في نشر أبحاثهم عن الثقافة الشعبية إلى ما قبل عهد الاستقلال بقليل ، كانوا يتميزون عن سابقهم بوعي

(1) عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي ، ص 97 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

علمي يحتكم إلى هيئات علمية ذات صبغة مدنية⁽¹⁾ بعد أن حقق الباحث نجاح الزيارة و ألم بجميع آليات الدراسة إنطلق للحديث عن:

- عينة الدراسة:

استهلها بالحديث عن "وحدة التحليل المستخدمة وهي مصدر الحصول على بيانات هذه الدراسة، وتحدد وحدة التحليل على أساس طبيعة الدراسة والهدف منها"⁽²⁾؛ فصل الباحث الحديث عن هذه الآلية (وحدة التحليل المستخدمة) في كونها تسلط الضوء إما عن دراسة عينة الدراسة كوحدة كلية أو أنها تعتمد على دراسة جزئية (الأسرة) من كتلة كلية (المجتمع) أو أنها تدرس الفرد بعينه.

بعد أن أمسك الباحث بزمام عينة الدراسة المتمثلة في مناطق الشرق الجزائري وأخذ نماذج من عينات مصغرة ولج بنا إلى خاصية أخرى:

- أساليب التحليل والتفسير:

التحليل و التفسير إتكأ عليها الباحث في بسط أفكاره و تقديمها على طبق من ذهب يغمره ريش النعام و مع كل ريشة يحلّى الكلام وتسترسل الأفكار موشحة بأسلوبي التحليل الكيفي وأسلوب التحليل الكمي بإلتحامها حققا نجاحات باهرة بإتكاءهما على فروض الدراسة، التحليل الكيفي مركب من بيانات كيفية لصيقة الصلة بالكمية أو العكس صحيح، أما في إطار البحث عن التفسير فقد ذكر أنه جمع الدراسة وتركها تتأرجح بين التفسير الكلي والتفسير

(1) عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 16 .

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 52 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الجزئي" وفي ضوء كل ما سبق نستطيع أن نزعّم أن الاتجاه المنهجي الذي أخذته الدراسة سوف يمكنها من تحقيق فهم متكامل ممكن للأغنية"⁽¹⁾

الآلية المنهجية التي طبق عليها الباحث حقل دراسته سوف تمكن الدارس من فهم الأغنية الشعبية بأسرها ، فمبدأ الأدوات المنهجية يلقي الضوء على الأغنية الشعبية لا على الأشخاص والبيئة ودرجة التطور، هذه الدراسة بطبيعة الحال تحتاج من الباحث أن يتحلى "بالصبر والمثابرة والجلد والمرونة والدقة وسعة الإطلاع وغير ذلك من الظروف والعوامل"⁽²⁾

بعد أن أنهينا رحلة البحث في أعطاف منهجية و طرائق البحث حزمنا أمتعتنا وشددنا الرحال نحو وجهة أخرى موسومة بعنوان كتب بالبنط العريض "الأغنية الشعبية و دورة الحياة لمرحلة الطفولة أمودجا"

استهل الباحث هذا الفصل بالحديث عن علاقة الثقافة بالمجتمع و كيف أنها احتوت جميع المقدرات الشعبية ووقفت على أهم الأسباب التي أطفأت جذوة تقدمها سواء أكانت شخصية أم اجتماعية ليعرج بعدها للحديث عن وظائف هذه المقدرات" فيما تقدمه للفرد من طرق ووسائل لإشباع حاجاته ومطالبه البيولوجية والنفسية والاجتماعية، فعن طريق الثقافة يعيش الفرد ككائن بيولوجي مع البيئة التي يعيش فيها"⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 52 .

⁽²⁾ ينظر: عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي، ص 161 .

⁽³⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 54 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

احتكاك الفرد بالبيئة والمحيط الذي يحيا فيه يبنى عماد الثقافة ويثريها باختصاصات وظروف شتى حتى يحافظ على قوامها ووهج تطورها، "لأن الأغنية الشعبية تعتمد على الكلمة بشكل ظاهر"⁽¹⁾

ردّ الباحث الاختلافات القائمة على مستوى الأغنية الشعبية إلى الاختلاف في الثقافة ومستوى التحضر، هذان المؤشران هما الدور البارز في تحديد البنى العميقة للأغنية الشعبية، فالجزائر كدولة يختلف فيها ترديد الأغنية من منطقة لأخرى ومن طبقة اجتماعية إلى أخرى وقد تجاوز الباحث هذه الترتيبات الشكلية ليخص بذلك الأغاني التي تتمحور حول دورة حياة الطفل و المجتمع وقد مثلنا ببعض النماذج.⁽²⁾

- أولا : أغاني الفرح

- أغاني الميلاد :

ولادة الطفل تعلن عن بداية دورة حياة جديدة يتبع الإنسان الشعبي الاهتمام بتفاصيل هذه المرحلة من باب أنها أهم لبنة أولى تبنى عليها جميع سالام المراحل الأخرى، "فأغاني الميلاد تستعير شكلها كما تستعير نظمها من حركة الطفل، فهذهدة الطفل وحركته في أرجوحة أو غيرها قد جعل الأغنية تستعير إيقاعها وموسيقاها الداخلي من هذه الحركة المترددة الرتيبة."⁽³⁾

(1) عبد الحميد يونس، التراث الشعبي، دار المعارف، القاهرة، د ط ، 1979، ص 40 .

(2) ينظر: عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا ، ص 55

(3) محمد طالب الدويك، الأغنية الشعبية في قطر، إدارة الثقافة و الفنون، قطر، ط 2، 1990، مجلد 01، ج

ذكر الباحث أن الإستعداد "للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة منذ أسابيع قبل الوضع من طرف الأم الحبلى التي تهيئ الجو الملائم لاستقبال مولودها الجديد" (1).

تبدأ مراسيم الاحتفال بهذه المناسبة في وقت مبكر استعدادا لاستقبال المولود الجديد والذي ينتظر منه أن يكون خير خلف لخير سلف، غير أن مظاهر الاحتفال بالمولود تختلف داخل المجتمع الواحد فالعائلة الغنية ، يكون الاحتفال فيها كبير، أما العائلات الفقيرة فيكون الاحتفال فيها بسيط، بعد أن غصنا بين أسطر بحث الباحث تبين لنا أن مظاهر الاحتفال بالمولود تتشابه والأغاني المرددة بخصوصها تتقارب إلى حد بعيد ، ولهذا بما أن الباحث أثار معاول البحث في هذه القضية واستل عينة دراسته من الشرق الجزائري ونحن كأفراد مصغرة من عينة دراسته قد إنتابنا نوع من الفضول الجامح لإضافة بعض من الأغاني والعادات والتقاليد والطقوس المرافقة لدورة حياة الطفل.

فتح الباحث شهيتنا بأن نقدم بعضا من مظاهر الاحتفال بالمولود في ولاية الطارف بالتحديد في بلدية أم الطبول الواقعة في أقصى الشرق الجزائري، ونحن في هذا المقام لا نلغي أو نكذب ما جاء به الباحث من أغاني وطقوس بل أننا نضيف لما ضمنه من منطلق أننا عينات تابعة لمنطقة دراسة الباحث نشري بدورنا نطاقها ونكشف عن مظاهر الاحتفاء بهذه المناسبة في مناطق مغايرة من مناطق دراسته ، إذ يحكى أن المرأة الحبلى في قديم الزمان تستحي أن يكشف أمرها أمام الملاء خاصة أنها كانت تقطن مع أهل بيت زوجها (أمه وأبوه وجداته وأخوته...)، حتى أن الخروج من المنزل كان للضرورة القصوى فحسب وكانت تقوم بمهام المنزل الداخلية والخارجية نجدها في المزرعة تزرع وتحصد وترعى

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 56 .

الأبقار وتحلبها، تأتي بحزم من الحطب على ظهرها كل هذه المهام الشاقة تقوم بها وهي حبلى دون كلل أو ملل أو تضمر، تجدها ذات صحة جيدة وتلد طبيعيا دون تدخل طبي في المنازل أو الكهوف أو المزرعة وجنينها كذلك ينعم بصحة جيدة.

أما عن كيفية اكتشاف نوع الجنين هل هو ذكر أن أنثى، فيذكر أنه يتم اكتشاف أمره من حركته في بطن أمه ، فإذا كانت حركته بطيئة كان جنس المولود أنثى، وإن كان كثير الحركة كان جنسه ذكر، ويقال أن جنس المولود يعرف من تفاصيل وجه الأم فإذا كان ذكر يقول لأمه وهو في أحشائها "إشْيَانِي أَيْمَا إِشْيَانِي كِي تَزِيدِينِي تَزْيَانِي"، أما إذا كانت بنت فتقول "إزْيَانِي أَيْمَا إِزْيَانِي كِي تَزِيدِينِي تَشْيَانِي".

معنى هذا أن المرأة الحبلى يعرف نوع جنينها من خلال ملامح وجهها فإذا ضعفت وظهرت ملامح التعب على محياها كان جنس المولود ذكر، أما إذا ظهرت على ملامح وجهها علامات الجمال فالمولود أنثى، والاستعداد لهذه المناسبة قديما لم تكن قائمة وفي بعض الأحيان لا تعلم المرأة أصلا أنها حبلى إلا إذا كبر بطنها وتأتي الولادة على حين غرة هكذا دون سابق إنذار تراها تلد في الكهوف أو الجبال هكذا طبيعيا وإذا اضطّر الأمر قامت عجوز لها خبرة بتوليد النساء بتوليدها.

بعد أن تضع الأم مولودها، "تتجلى عاطفة الأمومة بكل ما فيها من حب وحنان وغبطة وسرور وطموح وتطلع إلى المستقبل الغامض الذي تتمنى فيها لوليدها الحياة السعيدة الخالية من الآلام والمحن" (1)

(1) عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا، ص 57 .

ملايح الفرحة العارمة نقرأها في وجه الأم وفي عينيها التي تغرورق بالدمع فرحا وابتهاجا بالمولود، وبتجربة الأمومة تعطي كل ما تملك من حب وحنان وفرح وسرور وترضعه إياها من ثاديتها، هو فرحة عمرها الذي تأمل في المستقبل أن يكون صائنا لها ومصدر فخرها، مع تمنياتها له بموفور الصحة والعافية وأن تكون حياته كلها ملئ بالفرح والمسرات بعيدة كل البعد عن الآلام والأحزان.

ما إن تضع الأم الجنين تكون الفرحة و أيما فرحة خاصة إذا كان جنس المولود ذكر فالسعادة والغبطة مضاعفة لأنها أنجبت أسد العائلة وحامي عريتها، سيحمل لقب العائلة وسيكون سيدها، أما البنت فسيكون حظها قليل إذا ما قورنت بالذكر، وهو في اعتقادهم أن البنت عندما تكبر ستتزوج وتحمل لقب زوجها وبالتالي الأولاد سيحملون ذات اللقب وكأن المرأة بحسب هذه العقلية قد أنهت عقد انتماءها واتصالها بتلك العائلة وأصبحت تابعة لعائلة أخرى.

بالنسبة للأم التي تنجب ولدا فتحظى بعناية خاصة كيف لا وهي التي أنجبت سيد العائلة، فحتى وإن كانت الحياة عسيرة وفي فقر مدقع إلا أن ألطاف الله تحاط بها من كل الجوانب، ولا يخفى علينا جميعا أن هذه المناسبة ترافقها عادات و تقاليد وطقوس تحرص العائلات على إتباع منهجها، ففي اليوم الذي تلد فيه الأم قديما كانت (تعصب) تربط رأسها بمنديل أحمر اللون وبعد إنتهاء مدة النفاس (في العادة أربعين يوما) تأخذ بذلك المنديل و تقرر أو تمسح به وجهها حتى لا يبقى أثر الكلف الذي تكون خلال مدة الحمل، كما أنها تضع الكحل الطبيعي في عينيها، والسواك في فمها و تحصب قدميها ويدها بالحناء الطبيعية، في حين هناك من النسوة من ترفض عادة تخضيب الحناء من باب أن الملائكة تغير منها بحسب اعتقادهم مرفقين إياها بعبارة ما "تَحْنِشُ لِمَلَايِكَةٍ تَغِيرُ مِنْكَ"، كما أنه يتم إعداد طبق العصيدة (طبق مكونه الرئيسي الدقيق مضاف

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

إليه الماء تحرص معدتها على التحريك المستمر للمكونين حتى تعقد وتطهى جيدا وعند التقديم توضع في صحن تحفر في وسطه دائرة توضع فيها الزبدة والعسل الطبعين وتقدم ساخنة) ، في حين هناك من يفضل تحلية الزريرة (وهي عبارة عن دقيق محمص يخلط بالزبدو والعسل الطبعين) ، يلجأ النسوة قديما إلى إتباع هذه العادة لتغذية الأم وتقوية عظامها لترضع جنيها من ثديها، من زاوية أخرى تقام تباركا واحتفالا بالمولود الجديد ليكون فأل خير وسعادة على العائلة والمثل بأسره.

فيما يخص المولود فبعدهما يتم إستحمامه يقمط ويربط رأسه بمنديل وتوضع فوق القماط على الجهة اليمنى من الصدر قطعة من الفضة خمسة كانت أم آية قرآنية، لأن معدن الفضة يكسر أو يصد العين أو الحسد، كما أنها تطرد الأرواح الشريرة، ويتم وضع المصحف الشريف فوق رأس المولود، كما أنهم يصغون كيس (صرّة) من القماش يوضع بداخلها الملح والسانوج وتلف في اعتقادهم تحفظ من العين كما يؤذن في أذن المولود من جد أو أب أو أي كان المهم يكون جنس المؤذن ذكر حتى يشب على هدى ومنهاج الدين الإسلامي.

وأول ما يغير للمولود الملابس (التبديلية الأولى) يحرص أن يتم غسلها من قبل امرأة بشوشة ضاحكة المبسم وذات لسان رطب (لسان حلو يغزل الصوف)، وعند غسل الملابس تحرص من بداية الغسيل على الضحك والحكي مع الشخص الذي أمامها، إيمانا منها أن يكبر الصبي مثلها تماما في الضحك والحكي، والأهم من هذا كله أن ترضع الأم الجنين من ثديها حتى يبنى عظامه لأنه غذاء متكامل، لهذا فإن الأغنية عادة "ما تستمد معناها من الإطار الذي تغنى فيه والعادات التي تصاحبها، والسياق الاجتماعي الذي ترتبط به، فإذا

انفصلت عنه من يعدّها التأثير نفسه، بل لعلها تصبح مدعاة للسخرية والاستهزاء والتغيرات الغربية المبسرة.⁽¹⁾

ومن الأغاني الشعبية المرددة بخصوص هذه المناسبة قول الجدّة :⁽²⁾

سَعْدِي (*) بِيَه سَعْدِي بِيَه
حِنَّةً وَ زَغَارِيدَ عَلَيْهِ
يَا جَدَّةَ حَنِينَةٍ
عُتْشِي إِتْسَلِكْ هَاكُ الذِّيَّة

في مناطق أخرى من مناطق الشرق الجزائري تغني الأغنية على هذا النحو :

سَعْدِي بِيَه سَعْدِي بِيَه
أَيْتِيمَا وَيْنُ لَقْتِيَه
رَبِّي رَاوْ يَكْمَلْ بِيَه
عَطَاكَ الْعَالِي وَدَكْ بِيَه

أغاني كثيرة نسجت على منوال أغاني الميلاد، و أدرج الباحث في هذا الصدد ثلاثة نماذج غنائية، شارحا مفرداتها في تهميش الصفحات مع إعطاء معنى عام لمحتوى هذه الأغاني.

يبدو أن العينات الميدانية التي استقى منها الباحث دراسته التطبيقية متقاربة جدا مع المنطقة الحدودية الشرقية الجزائرية، خاصة في جانب تفضيل

(1) أحمد مرسى ، الأدب الشعبي و ثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، د. ط ، دت، ص 113 .

(2) الرواية: الصالحة بكيري ، أغنية سعدي بيه، العنوان، أم الطبول، دائرة القالة ، ولاية الطارف ، السن 88 سنة .

(*) سعدي :من السعادة و الفرح زغاريد ، زغرودة ، يغرفهوني ، حفرة القبر عميقة ، يقولي ، من القول عتشي ، يمكن اتسلك ، تجذبك من القبر/الذبية، الذئب .

إنجاب الذكور على الإناث على اعتبار أنه "بمثابة الأمان القوي لإعالتهم و رعايتهم في المستقبل"⁽¹⁾.

كما أن الباحث رصد لنا مظهر آخر شاع تداوله في عينة دراسته يكمن في تزويج الفتيات الصغيرات لرجال أكبر منهن بأكثر من عشر سنوات، لم يخفي على الباحث تضمين بعض المظاهر الطقوسية في فحو عمله تجلّت في وضع حجاب في عنق الطفل "وهذا على الحبل السري للمولود إلى جانب حبات من الفول والملح والحناء، إضافة إلى أن الأم تشرع في تعليق خرزة زرقاء وخمسة وخمسة في خصلة من شعر جنينها لطرد العين (الحسد) عليه"⁽²⁾.

دلالة الحجاب المعلق في رقبة الطفل لحفظه ونزول البركة وإبعاد الأرواح الشريرة المحاطة به إضافة إلى صدّ الحسدّ عليه، أما عن دلالة الفول فهو نذر خير ومصدر الخصوبة والنماء والاختصار والرزق، أما عن الملح فيصدّ الحسدّ ويطرد الأرواح الشريرة، كذلك هو الأمر بالنسبة للحناء التي يتبركون بها خاصة في المناسبات لأنها تدل على إقامة الأفراح والمسرات.

عادة أخرى ساقها الباحث في نطاق بحثه تكمن في عدم السماح للأم بمغادرة الغرفة التي تمت عملية الوضع بها ، إلا بعد ثلاثة أيام أو أكثر إن كان الفصل شتاء ، أما العمل فإنها لا تعمل لمدة أربعين يوما، والمولود لا يغادر المكان الذي يزداد فيه إلا بعد أسبوع كامل.

أغاني وعادات كثيرة تقام على شرف المولود الجديد ترافقه من الميلاد حتى الممات، يختلف حضورها داخل كل مجتمع وبحسب طبيعة واعتقادات كل فرد منها، ففي كل شبر من الجزائر العميقة وفي كل منطقة من مناطقها هناك

(1) عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا ، ص 59 .

(2) المرجع نفسه ، ص 60 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

احتفالات وعادات وتقاليد توجد بينها تقارب كبير حد الالتحام وأخرى متباعدة، لكنها على اختلاف تواجدها وتطبيقاتها فيها أعطت صورة مصغرة لما يحيا في نطاقه الفرد داخل المجتمع.

حتى المولود الجديد كعينة صغيرة قد أعطى لها الاهتمام البالغ الأهمية وصاغ له المفردات، وأقام لها المعاني واحتفى بميلاده، بالإضافة لنماذج من الأغاني الشعبية المقامة في الشرق الجزائري أم الطبول غموضاً كإحدى العينات المشكلة للشرق الجزائري ككل ونحن كنماذج مصغرة من هذه العينة قد أثار فضولنا وحفزنا نوازعنا لولوج غمار هذا التوجه لتقديمها للمجتمع بأبهى حلة من أجل الإحفاف بها والحفاظ عليها من الزوال.

- السبوع :

سمة أخرى أثار الباحث الحديث فيها و تتبع مراحلها خطوة بخطوة بدأ من "اليوم السابق من ولادة الطفل تقوم القابلة بأداء أغنية قصيرة، وهي تنشر حبات من الفول والقمح وخلفها الأطفال الصغار يرددون ما تقوله القابلة"⁽¹⁾

هذه العادة استقى الباحث فحواها من عينات دراسته ، ويتم تفسير هذه الظاهرة بالعديد من التفسيرات كل حسب ما يراه وما يتعايش معه، غير أنه يمكن ردّ دلالة نثر الفول والقمح إلى النماء والاختضار والخير وزيادة البركة، بدخول المولود الجديد إلى المنزل سيعم الخير وتلتحم الألفة والمحبة بين أفراد العائلة ويعم الرخاء والهناء فيه.

"تقوم الأم بتقديم الهدايا للقابلة التي تأخذها وتنصرف بعدما أن تدعو للأم بالصحة والهناء والعيش للمولود الجديد"⁽²⁾

⁽¹⁾ عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري غموضاً ، ص 60.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 62 .

كاعتراف بالمجهودات التي قامت بها القابلة في توليد الأم تقدم لها هذه الأخيرة هدية رمزية اعترافا بالصنيع الذي بذلته في سبيل الحفاظ على سلامة الأم والجنين، بعد أن تتم عملية الولادة وتحصل القابلة على هديتها تقوم بالدعاء بموفور الصحة والعافية للأم والجنين، و تقديم الهدايا لم يكن محصورا عند حدود القابلة فقط بل أن هذه الظاهرة اجتاحت حتى الأقارب والأهل متمثلة "في تقديم اللحم والكسكسي والزيت والنقود وغيرها من أنواع الأكل"⁽¹⁾

وقد ذكر الباحث أن الأغاني المرددة في هذه المناسبة قليلة جدا، في حين لم يردف في بحثه ولا أغنية اكتفى فقط بتعداد العادات المرافقة لهذه المناسبة.

العادة المكررة تواترها في هذه المناسبة هي عادة نثر الفول و القمح و الملح هذه العادة تؤول إلى عدة تأويلات وتترجم إلى عدة ترجمات، غير أن ما يمكن الإقرار به في هذا الموضع أن هذه الظاهرة نذر خير على الأم والمولود الجديد على حد سواء فالفول والقمح يتميزا بأنهما دائمي الاخضرار يرمزا إلى الصحة الجيدة والعمر الطويل.

أما الملح فرمز لصدّ الحسد و الأرواح الشريرة، وعادة رش الملح لا يقتصر وجودها عند حدود الذاكرة الشعبية الجزائرية بل تتعداها إلى ثقافات الشعوب الأخرى "ويمكن لنا أن نفهم الأغاني التي تشيع في الاحتفال بميلاد الطفل ومرور سبعة أيام على ميلاده، فيما هو معروف في المجتمع المصري : ليلة السبوع، مثل :

يا ملح دارنا كثر صبياتنا

يا ملح دارنا كثر عيالنا⁽²⁾

⁽¹⁾ عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا ، ص 60 .

⁽²⁾ أحمد مرسي ، الأدب الشعبي و ثقافة المجتمع ، ص 112

عادة رش الملح عادة يتبركون بتطبيقها كونها دلالة على إنجاب البنين وكنية على الكثرة والزيادة في الأولاد⁽¹⁾ والأمثال تنصح بأن لا نستكثر أولادنا على الموت وأرزاقنا على المصائب⁽²⁾

إذا حولنا نظرنا إلى ولاية الطارف بالضبط بلدية أم الطبول فإن مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة تتجلى في إعداد مأدوبة عشاء يستدعى فيها عائلة الزوج و الزوجة و من قام بالتكفل و رعاية المولود طيلة سبعة أيام من الولادة ،تقدم لهم الحلويات مع القهوة الحليب في المساء و بعدها يقدم لهم العشاء ، ففي الغالب تذبح شاتين إذا كان المولود ولد، و شاة واحدة إذا كان المولود أنثى، يخرج من هذا اللحم كصدقة للفقراء والمساكين إما يقدم مطهي أو نيئ في سبيل أن يكبر ويعيش هذا المولود في أمان وسلام، كما أن أم المولود تمنح لأم زوجها وأخوته وأمها وأخواتها بعضا من الهدايا كعربون محبة ورمز الأخوة والألفة وأن يديم الله عز وجل الأمن والأمان والصحة والعافية بينهم، كما أن أم المولود تقدم بعض الهدايا للنساء الكبار في السن لأنهم مصدر البركة ودعواتهم مستجابة.

- ترانيم الأطفال :

مرحلة أخرى آثار الباحث الحديث عنها ورأى بأنها " جزء من الغناء الفولكلوري العام المجهور النشأة الذي جرى على ألسنة العامة من الناس في الأزمنة القديمة"⁽²⁾

ترانيم الأطفال هي إحدى تشكيلات الغناء الفولكلوري العام جرى تداوله منذ قديم الزمان ،ترددها النسوة لتنويم الأطفال والتهداة من روعه عند البكاء خاصة خلال أيام ميلاده الأولى لأنه لا يزال يشعر بأنه داخل بطن أمه فهو جد

(1) أحمد رشدي صالح ،الأدب الشعبي ، ص 255

(2) عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 61.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

حساس بالحركات التي تحدث أمامه؛ ردّ الباحث أسباب نشأة الأغنية الشعبية لعدة دوافع منها: "ميل الإنسان الطبيعي إلى الغناء، والتوسل به لتنويم الطفل"⁽¹⁾ الإنسان الشعبي بطبيعته ميال إلى الترف والغناء يحس بالراحة والهدوء التام عند اللجوء إليها، ينقل هذه الترددات والذبذبات إلى الطفل حتى يهدأ وينام في سكون وروية.

الغناء عماده الكلمات الموازنة ملتحم مع الموسيقى يلتجأ إليه لمداخلة الطفل وملاعبته وتحريكه، هذا النوع من الغناء حلقة وصل تابعة للغناء الفولكلوري بشكل عام، تم تداوله بين جمهور الشعب في أزمنة عابرة إنتقل عن طريق التداول الشفاهي بين الأجيال "بالرغم من بساطته وسذاجته فإنه يقطر عذوبة وطلاوة، ويبرز لنا في إيجاز وتركيز مدى تأثير الوالدة بالبيئة المحيطة بها، ومدى تفاعلها مع ما يسود فيها من مفاهيم أفرزتها التغيرات الاقتصادية على الواقع الاجتماعي"⁽²⁾

أهم مميز لها هو محتواها البسيط و الساذج ذو الكنة العذبة، تصور باختصار شديد مظاهر تأثير الأم بالبيئة المحيطة بها، تجسد مكان التفاعل بينها وبين المتغيرات الاقتصادية على الواقع الاجتماعي و "تمثل الطفولة في بساطتها من حيث اللغة ومن حيث التكرار، من حيث سذاجة التركيب، من حيث بساطة الخيال، من زاوية أخرى تصور ما يطمح إليه المجتمع في الأطفال"⁽³⁾

أغاني الأطفال بطبيعتها تمتاز بالبساطة في تركيبها ولغتها وتكرارها وأهم انطباع تنطبع به هو أنها ذات خيال بسيط غير مكلف دلالة على بساطة معدها،

(1) عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 61. 62.

(2) المرجع نفسه ، ص 62 .

(3) محمد طالب الدويك ، الأغنية الشعبية في قطر، إدارة الثقافة والفنون ، قطر، ط 2 ، 1990، المجلد 1، ج 1 ، ج 2 ، ص 146.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

هي صورة مختصرة لما يتمنى المجتمع أن يكون عليه الطفل في المستقبل القريب والبعيد، حيث تتقارب وتختلف النماذج الغنائية المعدة للأطفال تبعاً لاختلاف البيئات الاجتماعية ودرجات الثقافة.

ذكر الباحث بأن هناك اختلافات جلية بين أغاني وترانيم الأطفال و"الكثير من الباحثين يخلط بينهما فالأغاني التي تغنيها الأم لطفلها لها تسميات عديدة منها ترقيص الأطفال، هدهدة الأطفال، أغاني الأطفال لكن أقرب تسمية تكاد تكون عامة وشاملة ومنطقية هي ترانيم الأطفال"⁽¹⁾

الاختلاف القائم بين الأغاني وترانيم الأطفال مرده في المقام الأول الاختلاف في إطلاق التسميات في حد ذاتها فهناك من يطلق عليها بترقيص وآخرون يفضلون هدهدة الأطفال وفريق آخر يذهب إلى تسميتها بأغاني الأطفال، بعدها فصل الباحث في الموقف وفي قضية تعدد التسميات ليثبت على رأي واحد ويقرر بتسميتها بترانيم الأطفال إنطلاقاً من مصدرها رنم وعرفها بقوله: "رنم من باب تعب، رجع صوته، وسمعت له رنيماً مأخوذاً من ترنم الطائر في هديره"⁽²⁾

الرنم ناجم من التعب و الوهن وصدى الصوت يقال ترنم الطفل ترنماً أي تغنى بصوته السجي وهو بين أحضان أمه، وفي اللغة الشعبية يقال لها المناغاة أي أن الطفل يصدر صوت يدعى منغاة كناية الراحة والانبساط و"هي مقطوعات قصيرة نشأت من مجرد الترنم اللّحني أو الدندنة ومنها ما اتصل منها بأغاني المهد"⁽³⁾

(1) عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 62 .

(2) المرجع نفسه ، ص 62 . 63

(3) أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى العصر الأموي، دار العلم للملايين، ط2، 1982، ص20.

قام الباحث بتصنيف الأغاني راداً الاعتبار في المقام الأول "إلى الحالة النفسية وتطلعات الأم وآمالها وهواجسها، فهي لا تعيش نمط حياتيا واحداً، عندما تمسك مهد وليدها أو عندما تقوم بترقيصه"⁽¹⁾

تغني هذه الأغاني تبعاً للحالة النفسية التي تحيا فيه الأم تعبر عن آمالها الجامحة وهواجسها المستنيرة، بحسب تقلبات حياتها تنسج مفرداتها وتحيك نغماتها وهي تدندن بأحلى الترانيم لوليدها ضياء أعينها.

قسم الباحث هذا النوع من الغناء إلى قسمين:⁽²⁾

• قسم خاص بتنويم الطفل.

• قسم خاص بالملاعبة والتدليل.

الغناء نوعان الأول خاص بتنويم الأطفال تعد له مصطلحات ومفردات هادئة تبعث في النفس السكون والراحة زادها صوت الأم النابع من بين نياط القلب ومن مهجة الروح فيها مسحة الرأفة والحنان "دققا من عاطفة الأمومة الخافية فهي تتوسل في هذه الأغنية بالنغمة أولاً وبالكلمة ثانياً"⁽³⁾

هذا النوع من الغناء نابع من خلجات روح الأم تستعين بالنغمة والكلمة معا في تشكيل بنية الأغنية الخاصة بتنويم وليدها بشكل عام زادها اللحن أكثر مطابقة للكلمات التي تتميز بالليونة والحنية سكبتها الأم بين كلماتها وصغت بها معانيها، وبالتالي "فالأغاني ما هي إلا مجرد صوت أو تكرار لنغم ناعم رتيب مصحوب بهزات لطيفة حنونة للطفل بين الذراعين أو في السرير"⁽⁴⁾

(1) عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 62 .

(2) المرجع نفسه ، ، ص 63 .

(3) محمد طالب الدويك ، الأغنية الشعبية في قطر، ص 145 .

(4) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 63 .

أقر الباحث بأن هذا النوع من الأغاني عبارة عن صوت أو تكرار لنغم يمتاز بمسحة من الليونة والنعومة والرطوبة ترافقه هزات ناعمة وحنونة تهدد بها الطفل وهو بين أحضانها أو في السرير، أما بخصوص القسم الثاني فأقيمت له أغاني موجود بين ثنياه مفردات محملة بدفقات شعورية ممزوجة بالملاعبة والتدليل والخصن للمولود حتى يشب على الفكاهة والمرح والسرور.

ذكر الباحث في هذا المقام ثلاثة نماذج غنائية خاصة بتنويم الطفل نذكر منها على سبيل المثال "يا بربول" والتي مطلعها: ⁽¹⁾

يا بربول يا بربول بنبرك و نعطيك
نبريك و نعطيك ونحس قلبي يفرح بيك

بعد أن قدم الباحث هذا النماذج الغنائية قام بشرح مفرداتها في قهقهة الصفحات ملحقاً إياها بتقديم معنى إجمالي للأغنية ككل، وبالعودة إلى منطقة أم الطبول الحدودية الشرقية لاحظنا وجود العديد من الأغاني التي تغني بهذا النوع من المناسبات وكأ نموذج على ذلك نذكر أغنية: ⁽²⁾

نني نني (*) يابشة
والتي انديرو للعشاء
إنديرو جاري بالدبشا
عباش وليدي محمد يتعشا

هذا النوع من الأغاني فيه ألفاظ ومعاني تبعث على النوم والراحة والسكينة في المولود، فالأم تتوسل لوليدها حتى ينام بغية أن تطبخ له العشاء المتمثل في طبق

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 63.

⁽²⁾ الرواية: الصالحة بكيري، أغنية نني نني يابشة، العنوان، أم الطبول، ولاية الطارف، السن 88 سنة

^(*) نني، مشتقة من كلمة نوم محذوف آخرها مدمج حرفي النون لتشكيل نغمة موسيقية، واش، ماذا، إنديرو، ماذا، نفل، /باش وليدي ليأكل ولدي /جاك النوم، أذاك النوم / نوم متهني، مرتاح وفيه العافية و الهناء.

الجاري الموضوع فوقه عشبة الدبشة ليأكل منه حدّ الشبع والتخمة بأن ينام حتى يرتاح ويعم الهناء نومه، يمكننا كذلك أن نسوق في هذا المقام نموذج آخر لأغاني النوم وهي:⁽¹⁾

مَريَم مَريَم مَريَم مَريَم المَريِومَة
مَريَم مَريَم مَريَم مَريَم المَريِومَة
وَالْفَارَ وَاشْ يَقُولُ القُطَّة تاكلني
وَالقُطَّة وَاشْ يَقُولُ الكَلْب يأكُلني
وَالكَلْب وَاشْ يَقُولُ لَعَصَا يُضربني

هي أغاني تقام على خفة اللحن و الكلمات ذات نغمة موسيقية لتستميل خيال الطفل لتبغ الأغنية مع ههددة الأم له بكتا يداها أو داخل السرير، أغاني عديدة تقام على شرف تنويم الطفل في الشرق الجزائري بصفة عامة على ثراءها وتنوعها يصعب جمع شذراتها، فحتى وإن تم احتواءها و جمعها تبقى ناقصة وبحاجة إلى تكاثف الجهود لجمع ما تبقى منها في حين تبقى هذه الإضافة من قبلنا ليست سوى إضافة لما سعى الباحث لترسيخه وتثبيته في المجتمع لحفظه من الزوال.

مريم الشخصية المحورية التي تقوم بدور رئيسي داخل الأغنية و هي تحقيق الأمنيات وشد انتباه الطفل لتنويمه بترديد الأغنية بإيقاعها الموسيقي الذي ألتحم وعواطف وخلجات روح الأم معها لتشكل في نهاية المطاف البناء العام الشخصية الطفل حتى يشب في كنف الحب والعطاء التي تمنحه الأم لوليدها عن

⁽¹⁾ الرواية: الصالحة بكيري، أغنية مريم مريم مريم المريومة، أم الطبول، ولاية الطارف، السن 88 سنة الفار، الفار/ واش يقول، ماذا يقول .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

طريق صوتها وهددته له بكلتا يداها التي تفيض بالعطف والحنان " تهدد الأطفال حافلة بالتهذيب والتربية على موال يرشد الناس إلى الحياة السعيدة"⁽¹⁾

- أغاني ترقيص الأطفال :

انتقل بنا الباحث للحديث عن نوع آخر من أغاني الميلاد ألا وهو أغاني ترقيص الأطفال"⁽²⁾ وهي أغاني تتصل بالمداعبة والملاعبة والتدليل تعتمد على التكوين النفسي والجسمي للطفل وتتوافق حاجاته وإمكاناته البسيطة المحدودة"⁽²⁾

يندرج هذا النوع من الأغاني تحت لواء المداعبة والملاعبة والتدليل وتسهم في بناء العوالم النفسية والبنى الجسمية للطفل لتتواءم مع متطلباته وإمكاناته البسيطة.

ما يميز النماذج الغنائية في الشرق الجزائري هو خفتها وبسلطتها التي تنسجم مع إمكانيات الطفل الحركية و الصوتية والفكرية وتصور حاجته للعب والنشاط، هي أغاني رافقت الطفل من نعومة أظفاره ولها الفضل الكبير في بناء شخصيته نظراً لسهولة كلماتها وبساطة تعابيرها التي تستميل الذهن وتستقطب الفؤاد لحفة وسلاسة أسلوبها وتلائمها وحركة وصوت وفكر الطفل مضامين الأغاني هي صورة معاكسة لمجريات وأحداث الواقع الاجتماعي ترصد جلّ ماهبّ ودبّ فيه، وصور جوانب ومواقف من عاداتهم وتقاليدهم.

⁽¹⁾ فاروق خورشيد، الأغنية الشعبية والمسرح الغنائي، ص 16 .

⁽²⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 66 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

من خلال الأغاني نتعرف على القيم الاجتماعية والمقدرات الشعبية التي يحتفي بإحياءها جمهور الشعب⁽¹⁾ تكتسب معناها من الموقف الذي تؤدي فيه، والبيئة التي تتردد فيها، وتصبح بعيدة عن هذه البيئة وهذا الموقف غير ذات معنى⁽¹⁾

تستمد الأغنية قوامها من البيئة والموقف الذي تؤدي فيه، الأولى هي المحفز الأول لتفجير الإبداعات والطاقات الكامنة لدى الفرد والثانية داعمة ومساعدة للأولى حتى تكون المعنى والمبنى والمحتوى العام للأغنية.

بعد البحث الجاد والدراسة المستيقظة للأغنية الشعبية في الشرق الجزائري خالص الباحث إلى استنتاج فكرة مفادها أن الأغاني في الكثير من الأحيان قد ترد عفوية ومرجلة ذات نطاق وحن محدودين تتواكب ومدرجات الطفل لتشكل معزوفة موسيقية زادتها الحركة والإيقاع الداخلي للأغنية أكثر انسجام وتطابق بين الكلمات والحركة والإيقاع عبّرت عن بساطة وعفوية الألفاظ المشكلة للأغاني الموجهة للطفل الشعبي⁽²⁾ الذي يجب الأصوات المتاعمة ذات الإيقاعات الحلوة ينام بهدوء واطمئنان على صدر أمه أو في سريرته يستمتع إلى أمه تغني له بأصوات إيقاعية وأصوات عذبة⁽²⁾

هذا النوع من الغناء تم تقسيمه إلى قسمين قسم خاص بأغاني ترقيص الذكور وآخر بترقيص الإناث.

(1) أحمد علي مرسي، مقدمة في الفولكلور، ص 161.

(2) عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 216.

- الشكل الآتي : يوضح خصائص أغاني ترانيم و ترقيص الأطفال :



هي خصائص استئصالها الباحث من رحم الأغاني الشعبية الخاصة بترقيص الذكور والبنات ووقف عند أبعادها و استشف مراميها وأجلها في عدة نقاط جلها صورت أو لخصت سيمات الأغاني الخاصة بالترقيص تحوي "مجموعة مضامين ذات علاقة بالموقف الاجتماعي من الأولاد والنساء وهي تحمل من الدلالة على مجتمعها الذي نشأت فيه ، وأخلاق أهله وعاداتهم"⁽¹⁾

هذه الأغاني تحوي حمولة معرفية ثقيلة الوزن مقترنة بالمواقف الاجتماعية التي صورت ملامح البنين والبنات، والمرأة عاكسة لمجريات الواقع الذي ترعرع فيه ولعادات أهله وأخلاقه، "ولعل بعضنا لا يزال ينتقص من قدر" الرقص "مع أنه جزء لا يتجزأ من أسلوب التعبير، وهو يمتاز عن غيره من الوسائل بأنه عالمي،

(1) أحمد أبو سعد ، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، ص 107 .

وبأنه يستجيب ويثبت ويعبر عن الكثير من الخلدات والأحاسيس بل والأفكار⁽¹⁾

أغاني ترقص الأطفال فيها زاد معرفي كبير نظرا لما تبثه من قيم علمية وتربوية قوّمت سلوك الطفل وصوبت عوده، بثت الأم من خلالها أمالها المرسلّة وأحلامها الكامنة في صورة ولدها التي ينتظر منه أن يحقق كل ما تصبوا إليه، بصوتها الشجي ذو الحنجرة الذهبية ونبرة صوتها المعبرة اخترقت الحدود وعبرت المسامع لتجتاز مكامن الفؤاد ومدارك المنطق بحركتها واضطرابها الذي ثبتت أقدامها بإتكائها على بحر الرجز الخفيف الغنة والسريع الحركات القصير ذو المحتوى المركز.

- أغاني الختان:

قضية أخرى أثار الباحث البحث عنها وفي مضمونها نظرا لقيمتها داخل المجتمع من منطلق أن الختان، "عملية شعائرية قديمة، يقال أنها ترجع إلى أربعمئة سنة قبل الميلاد، فمثلا في مصر الفرعونية كانت عملية الختان تقتصر على الكهنة، ثم عمت على المحاربين وانتشرت بعدهم عامة الذكور والإناث"⁽²⁾

عاد الباحث إلى البوادر الأولى التي تم فيها الاعتراف بالختان و إلى ما يربو عن أربعمئة سنة قبل الميلاد مدرجا مثلا على مصر الفرعونية التي كانت عملية الختان فيها تقتصر على الكهنة لتعم الفكرة و تصل إلى المحاربين إلى غاية وصولها إلى الذكور والبنات.

(1) عبد الحميد يونس، التراث الشعبي ، ص 44 .

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 69 .

عملية الختان أو الطهور عرفت عند العرب قبل مجيء الإسلام وبالتحديد إلى منتصف الخامس قبل الميلاد "حيث سجلها الرحالة اليوناني هيرودوت herodots ضمن ملاحظاته أثناء رحلته إلى مصر واثيوبيا في ذلك التاريخ، وزاد الإقبال على ممارستها بعد الفتح الإسلامي"⁽¹⁾

هيرودوت الرحالة اليوناني اكتشف سرّ هذه العملية خلال رحلاته إلى مصر واثيوبيا ، بعدما لاحظ هذه العملية استقصى الأمر واستجلى بعض الأدلة التي تثبت صحة هذه النظرية سلط الضوء على المخلفات الأثرية بغية التنقيب عن أصول هذه الممارسة.

الختان هو انتقال الطفل من محطة إلى محطة أخرى، شريطة أن تكون مرفوقة ببعض من العادات والممارسات الطقوسية، يلجأ العرب إليها لتكوين وبناء شخصية الطفل حتى يصبح قادراً على أداء دور البالغين والراشدين، إذ دعا الإسلام لوجوب الختان للأولاد بل عدّها ضرورة حتمية أفرزتها الصحة والنظافة بغية أن يتحلى بمعالم الرجولة الحقة، وبنود وقوانين الدين الإسلامي السمح.

"جاءت تسمية الطهارة التي تطلق عليها حيث أنها تطهر الأطفال وتجعلهم على استعداد للقيام بالممارسات الدينية مستقبلاً بالإضافة إلى الاعتماد بأهمية هذه العملية بالنسبة للزواج والإخصاب في المستقبل"⁽²⁾

كلمة طهارة متأتية من الطهر و الطهارة أي النظافة من الأوساخ والأدران ،هذه المحطة قهياً الأطفال لاستقبال الممارسات الدينية من وضوء وعفة، كما أنها قهياً للزواج والإخصاب في المستقبل، "والأدب الشعبي يحتفي بختان البنين ويحتفي

⁽¹⁾ محمد عباس إبراهيم، التحديث و التغير (دراسة في مكونات القيم الثقافية)، دار المعرفة الجامعية، دط ، 2008 ، ص 222 ، 223.

⁽²⁾ فاروق أحمد مصطفى، الموليد (دراسة العادات و التقاليد الشعبية في مصر)، ص 202 ، 203 .

به أشدّ إحتفاء فهو تجربة للزواج، له حنة وزفة وتجمع فيه النقوط وتبادل الهدايا وأحيانا يقع ضمن حفل زواج لأخ أكبر أو قريب"⁽¹⁾

يحتفي الأدب الشعبي بهذه المناسبة السعيدة لأنها مفتتح للزواج الناجح، تقام له مراسيم إحتفالية مميزة، كتخصيص يوم للحنة والتصديرة ويتم جمع النقود فيها وتبادل الهدايا، وفي أغلب الأحيان تقام مراسيم الاحتفال بهذه المناسبة في إطار عرس لأخ أو قريب (أي أن الختان يدمج مع العرس لأن العادات والطقوس المقام في الختان نفسها تقام في العرس)، صور الباحث عملية الختان قديما وكيفية إعتمدها على آليات بدائية جداً كاستخدام الحجر لقطع الجلد، هذه الآلية تذكره بما يحدث لليهود والمسيحيين في الختان.

رصد الباحث أهم مظاهر الاحتفال بطقوس الطفولة (الختان) في منطقة الشرق الجزائري و كيف يتم الاستعداد لهذه المناسبة بأن "تبدأ بالغناء والزغاريد، و قرع الطبول (الدربوكة) والعيارات النارية."⁽²⁾

هذه المناسبة تجنّد لها كل الإمكانيات المادية و المعنوية لإقامتها على أحسن وجه فذكر الباحث أن منطقة عينته التطبيقية تستقبل هذا الاحتفال بالغناء والزغاريد و قرع الطبول و إطلاق العيارات النارية كلها آليات يستعين بها مقيم المناسبة للإذعان بوجود فرح، و للتعبير عن الفرحة و السعادة العارمة التي تتراقص بداخله عبر عنها بأن فجر جلّ هرمونات وطاقات السعادة الكامنة في مواطن ذاته،الختان عملية تقوم على أسس ومبادئ بدائية ونفسية، أولها حضوراً واستجلاءً إراقة الدماء من أجل العقيدة، وثانيها كتعبير عن الخلود والتضحية الشعائرية أو أنه يعمل على إحداث نقلة نوعية للطفل الصغير ويؤهله لدخول

(1) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، ص 258.

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 69.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

مرحلة الكبار وتثبيت وجوده داخل الجماعة الشعبية، عدد الباحث مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة و تدرج في ذكر مراحلها خطوة بخطوة، إذ تعلن "شعائر الفرح قبل ثلاثة أيام من عملية الختان، وتجري عملية الختان من قبل (المطهر)، الذي يحمل حقيبة صغيرة تحوي الأدوات البسيطة التي تستعمل في عملية الختان بالنسبة للريف" (1)

صور الباحث مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة ففي الريف تقوم على وسائل بسيطة وينتقل المطهر إلى عين مكان الطفل المراد ختانه ويجري العملية هناك، أما في المدينة فتستخدم الأدوات الحديثة والمستشفيات للقيام بالختان، بخصوص الطفل المختون " فإنه يرتدي قميصا أبيض (القندورة)، وتعلق في رقبته قطعة من القماش الأخضر" (2)

ارتداء القميص الأبيض (الجبة أو القندورة) عادة دأب المجتمع الجزائري على تطبيقها منذ القديم حتى لا يجرح أو يمس المختون موضع الختان، أما عن عادة تعليق قطعة قماش خضراء في الرقبة فلها عدة تفسيرات وتحيل إلى عديد المعاني، ربما دلّ اللون الأخضر على الصحة والاستشفاء من المرض أو ربما دلّ على الاستقرار والحياة الطيبة أو ربما دلّت على الطهارة والنقاء.

نحن نفسر هذه الظاهرة من مسلمات ومنطلقات نؤمن بها ونلاحظها بأم أعيننا غير أن القرائح الشعبية لها باع كبير في تفسير ذلك ، تبقى تفسيراتنا لها مجرد تخمينات لا أكثر، في هذا الموقف بالذات تحضرنا ظاهرة شبيهة بظاهرة التي أوردها الباحث بين دفات بحثه تكمن في عادة ربط قطعة قماش حمراء اللون في إحدى قدما بالمختون تعلق فيها أعواد من القرنفل على شكل صرة تبقى في

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 70 .

(2) المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

قدمه إلى أن يرتاح ختانه فهاثيا في قراءة أخرى حتى يتم السبعة أيام من يوم ختانه وبعدها تترع، هي عادة يحرص سكان أم الطبول شرق الجزائر على إتباعها عند الختان.

عادة أخرى كانت عائلات أم الطبول تحرص على تطبيقها وهي عادة تعليق منديل (محرمة) حمراء اللون فوق سطح المنزل إذعانا بوجود عرس أو ختان في ذلك المنزل، كلتا المناسبتين يقيما سبعة أيام بلياليها ويبقى المنديل معلق طيلة هذه الأيام، هذه الممارسة الشعبية لها أكثر من دلالة وتعلق المنديل أو المحرمة حسب المنطق الشعبي إما دلالة على بدأ مراسيم العرس، أو الإشهار بأن المنزل يحيي حفل ختان أو زواج، أو أنه دلّ على طرد الأرواح الشريرة، أما عن لون المنديل فتارة مرتبط بالدم والثورة ومرة مرتبط بالسعادة و المسرة، والإنسان الشعبي لديه ما يقول في هذا الشأن يوظف الطقس حسب مقتضى الحال الذي هو بصده، ومن الأمثلة الدارج استخدامها في البيئة الشعبية أن الرضيع عندما تمسكه الحازوقة (الشهيق) توضع له نقطة حمراء من الصوف لأزالتها والتغلب عليها، اللون الأحمر في حدّ ذاته بنية متكاملة تنطوي تحت لواءها العديد من الدلالات تفسر بحسب قراءات متعددة للمخيل الشعبي في موضع ملائم وحسن كلون الزهور والحب والحياة...، في مقابل ذلك لون للدم والخوف والغضب.

أدرج الباحث العديد من النماذج الغنائية المقامة في هذه المناسبة ألحقتها بشروحات للأغاني بصفة عامة وللمفردات المشكلة لها بصفة خاصة، فالأغنية الأولى مثلا تتوسل فيها الأم للمطهر بأن يرأف بحال ولدها عند ختانه وفي بقية الأغاني الأخرى وصف لمظاهر الاحتفال بهذه المناسبة وما يلحقها من تغيرات كوصف الملبس والمأكّل وغيرها من الأمور الأخرى، ما يجعل بين هذه الأغاني

جميعا هو خيط شعوري واحد جسد مظاهر الحب والعطف والحنان التي تكنّها الأم لفلذة كبدها وتخاف عليه من وخزة الإبرة فتسعى في كل هذا وذاك أن ترسيخ مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة بأن تثبت كيانها بإيراد العديد من النماذج الغنائية مثل: (1)

طَهْرُ يَا لَمْطَهْرُ طَهْرُ لِي وَلِيْدِي فِي حِجْرِي
طَهْرُ يَا لَمْطَهْرُ طَهْرُ لِي وَلِيْدِي إِيْعِشِي يَجْرِي

والسامع لأغاني الختان يميزها "برقة الحنان التي تفوح منها ورهبة الخوف وخفوت الصوت المتوسل، كل كلمة مليئة بحنان الأم وأخوات وقريبات الطفل وتوسلهم إلى الله بأن يحفظه خوفاً عليه من الطهار، الإنسان الذي يتصرف بطريقته وأدواته البدائية" (2)

- أغاني ألعاب الأطفال :

لألعاب الأطفال نصيب من الأغاني الشعبية تحتفي بإقامة مظاهرها و تزيدها بتركيبات غنائية تحوي في جعبتها مفردات وعبارات تحيل على اللعب فهو "وسيلة طبيعية للطفل في تفهمه لمشكلات الحياة واكتشاف البيئة المحيطة به لتوسيع مدى ثقافته ومعلوماته ومهارته" (3)

اللعب حق شرعي وطبيعي للطفل تمكنه من إكتشاف العديد من الأشياء كيف لا وهي أداة يستخدمها الطفل لفك تشفيرات الحياة، والتقيب عن كنة البيئة الاجتماعية لإطلاق العنان لأفكاره حتى يستجمع مختلف الثقافات والمعلومات والمهارات المحيطة به.

(1) الراوية:العكري مرزوقي، طهر يا لمطهر، أم الطبول، دائرة القالة، ولاية الطارف، السن 56 سنة.

(2) عمر المزوغي، عروس الريف (دراسة لبعض مظاهر المأثورات الشعبية)، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، ع2، فبراير 1983، ص104.

(3) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 73 .

تقنية اللعب آلية يلجأ إليها الطفل لغرض تحقيق المرح والتسلية والمتعة، غير أن جوهرها يحيل بعكس ذلك ويعمل على إنماء مدارك الطفل لفهم معالم الحياة الحقة، فهو نشاط عفوي ارتجالي يمارس في ذاته ولأجل ذاته، لا يرجى من وراءه تحقيق هدف علمي، وهي أغاني يختص الأطفال ببناء كلماتها و'' تأليفها، تتميز ببساطة الألفاظ في تركيبها ولغتها ومعناها القريب إلى فهم الأطفال لأن قابليتهم اللغوية المحدودة ونظرتهم إلى ما يحيط حولهم تختلف عن نظرة الكبار''⁽¹⁾.

مما لا شك فيه أن هذا النوع من الأغاني يمتاز بسميزات خاصة تميزه عن باقي الأغاني الأخرى عمادها البساطة وخفة الكلمات وسهولة تركيبها ولغتها التي تحمل بين طياتها عفوية وبراعة الأطفال بضعف وقصر مداركهم اللغوية صادرة عن تفكير صغير ومحدود الحجم، أغاني ألعاب الأطفال ترافقها حركات وإيماءات وأصوات يصدرها الطفل أثناء لعبه، مما يجعلها دائمة التواتر وسريعة الانتشار، و ما يضمن سرعة انتشارها حيويتها واستمراريتها، وذكر الباحث مجموعة من النماذج الغنائية تصب في ذات السياق وقدم شرح للمفردات ومن ثم شرح للأغنية بأسرها ومن خلال الغوص بين جنبات هذه الأغاني لاحظنا أن إجمالي هذه المفردات بسيطة اللغة والتركيب عفوية المنطق، وخير ما نستدل به في هذا الموضع نماذج غنائية من منطقة أم الطبول الحدودية:

بطة بطة بطوبة

دخلتلي للكوزينة⁽²⁾

طيتلي قهوة زينة

بالسكر والفرينة

⁽¹⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 75 .

⁽²⁾ دخلتلي، دخلت لي/طيتلي: طهت لي/زينة جميلة .

هذه الأغنية ساذجة بسيطة عفوية تعكس صورة وعقلية الطفل الشعبي على صغرها ومحدوديتها، تغني هذه الأغنية بين بنتين وهما يلعبان بأيديهما، كذلك هناك أغاني أخرى تردد بين مجموعة من البنات أو الذكور أو مع بعض وتكون على شكل سلسلة متتابعة وتغني هذه الأغنية :

أعمو سليسلي	أعمو وليدي
أنا باب ندخلو	على باب الزنقة
خاف لكلا ب يكويني	مربطين بالسلسلة

على باب من ندخل ويعين الطفل الشخص الذي يدخل على بابه، فرضا يقال على باب رانيا.⁽¹⁾

العمّ سليسلي هو من يحكم باب اللعبة حيث أن الأطفال قبل دخولهم لبيوت أصحابهم يستشرونه عن أي باب يدخل، وتتبع هذه الأغنية مجموعة من الحركات التي هي رسالة ضمنية تحمل في كنهها قيم تربوية وأخلاقية وتعليمية تحيل إلى الإخاء والإتحاد والصداقة، وذكر الباحث أن وجود الأغنية بتعدد محتواه بين أغنية وأخرى فهناك من استخلص من حكاية شعبية وأخرى ضمنت عبارات ومفردات فرنسية، وأمام هذا بين الباحث أن الأغنية الشعبية تختلف باختلاف جنس المولود ذكرا كان أم أنثى وتنقسم إلى أربعة أقسام:⁽²⁾

- أغاني فردية تنفرد بوجودها منطقة معينة.
- أغاني جماعية يشترك في صياغتها مناطق عدة.
- أغاني لا ترتبط بتنظيم محدد تكون مصحوبة الحركة فحسب.

⁽¹⁾ أنا باب /من أي باب ندخل/ زنقة الشارع/مربطين: مسلسلين

⁽²⁾ ينظر: عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 77، 78.

- أغاني يعتمد فيه اللعب على تمثيلية يشترك فيها اللاعبون: وهي أغاني تدمج اللعب والتمثيل لتحقيق التسلية والتثقيف.

يختلف وجود الأغنية وتكوينها بحسب محتواها الذي أقيمت لغرضه فواحدة صيغت من أجل اللعب، وأخرى لتنفيس عن المكبوتات وخلجات الروح وأخرى أنشأت من أجل تعليم وتربية الأطفال، ولفك الرموز التي صيغت بها هذه القضية بالذات بينت عن وجود علاقة قائمة بين الأغنية وحاملها في كونها، خرجت من رحم البيئة الاجتماعية صورت آمال وأحلام الشعب و"أدت وظيفتها الاجتماعية التي خلقت من أجلها فإذا كانت ترتبط بطقوس ومناسبات معينة لا بد من تسجيلها وتحقيقها عملياً في أثناء استخدامها ميدانياً، ومن أفواه قائلها تأكيداً لاستمراريتها وحيويتها، وذيوها بين الطبقات الشعبية"⁽¹⁾ الانفتاح على المحيط الخارجي يجعل الفرد دائم التقلب لفهم وتفسير الظواهر الخارجية والتعرف على مصدرها وتولد الاحتكاك بالآخر يحقق من خلاله، ويختلف وجود الأغنية الشعبية تبعاً لعدة عوامل التحمت جميعها لتبرز الدور العام لمبناها، أما عن دواعي الاختلاف فيمكن ردها إلى المستوى التعليمي، المركز الاجتماعي، حجم الأسرة، طبيعة عقلية ذلك المحيط...

- أغاني الزرع و الحصاد وبث روح النشاط :

تحدث الباحث بادئ الأمر على أهم الطقوس والممارسات التي ترافق عمليتي الزرع والحصاد وأهم الأغاني الشعبية المرددة التي كان أثرها كمثل البلسم على الجرح، حدثت من توتر الفلاح وأنقصت الأتعب التي أثقلت كاهله فلاذ إلى الأغنية للتخفيف من وطأة هذه الأعباء وأبانت على أن "الإنسان منذ

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور و الفنون الشعبية، ص 118 .

القديم يقوم بطقوس وممارسات سحرية استخدمها كجزء من التكنيك الوهمي للسيطرة على الطبيعة وجعلها في خدمته⁽¹⁾

الإنسان منذ القديم كان يلجأ إلى تضمين طقوس وممارسات سحرية إيماناً منه أن تكون خادمة له، فكل من طرق باب الماثور الشعبي يصطدم بإتباعه لمجموعة من المعتقدات والخرافات تجعل الإنسان أشدّ إيماناً بالقيم الإيجابية كخصوبة الأرض ووفرة الإنتاج وزيادة الثروة، بعد يوم شاق ومضني يعود الفلاحون إلى ديارهم وقد أُنْهَكهم التعب و أكل منهم وشرب ينامون مبكراً للنهوض في الصباح الباكر بأكثر نشاط وحيوية سيرا على خطى المثل الشعبي القائل: "نَامُ بَكِيرٌ وَفَيْقُ بَكِيرٌ شُوفَ الصَّحَّةَ كَيْفَ بَتَّصِيرُ" ينهضون وملاح الفرحة والسعادة بادية على محياهم حاملين أدواقهم الفلاحية متجهين نحو المزارع تتكاثف الجهود ويتعاون الفلاحون على جني المحصول بكل ما أوتي لهم من قوة، ولنسيان التعب ولفحة حرارة الشمس وقسوة البرد والصقيع يحتمون بترديد الأغاني للقضاء على الأتعب المضية ذات الألحان العفوية يشترك الجميع في ترديدها من أجل شحذ الهمم وبث النشاط.

أدرج الباحث مجموعة من الأغاني في الشعبية التي تردد أثناء حصاد القمح مقدما شروحات لمفرداتها وللأغنية ككل ، فالأولى وظف فيها مفردات تحرك الهمم في الشباب للإقبال على خدمة الأرض بحماس الشباب وحرارة دمه وتفانيه في خدمتها لتعطي خيراتها، أما الأغنية الثانية ففيها عبارات تحذيرية لشباب عند مسك المنجل الذي قد يصيبه لسرعة القيام بعملية الحصاد، واصل

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 110

الباحث تدوين الأغنية وفق هذه النمطية ملحقاً كل واحدة فيها بأغنية شرحاً لها، ومن الأغاني المرددة في الشرق الجزائري نجد هذه الأغنية : (1)

يَا الْهَادِي أُوَيْيْكَ نَبْدَا نَطْلُبُ⁽²⁾ رَبِّي أُوَيَّاهُ
أَوْ نَطْلُبُ رَبِّي أُوَيَّاهُ إِيْحِنْ إَعْلِيَا أُوَيَّاهُ
وَالْمَنْجِلْ رَاهُو⁽³⁾ بَيْنَ يَدَيَا أُوَيَّاهُ

الفلاح عند بدأ الحصاد يطلب من المولى عزوجل أن يكون عوناً له ويترل عليه من رحماته ويكون إنتاج العام وفيراً، وأغاني الحصاد بشكل عام طرحت "مضامين مرتبطة أوثق الارتباط بالعمل، ولسنا بحاجة إلى تركيب أهمية الإيقاع في تنظيم عمل الجماعة العاملة أولاً، وفي قتل الملل والتعب في النفس ثانياً" (4)

تتطابق الأغنية مع طبيعة العمل والمجهود المقدم إزاءها فالإيقاع كفيلاً بتنظيم وتيرة العمل مع الجماعة، وكسر الملل والتعب القابع في نفوسهم، حتى الرحي لها نصيب من الأغاني الشعبية، حيث كانت النسوة تغني على حركاتها الخفيفة وتحاكها ما بقلبها وما يعكر صفو تفكيرها عن طريق الهمس والدندنة معها عبر أوتار خفيفة التحمت بصوتها العذب، هناك انسجام وتوافق كبير بين الصوت النابع من الرحي والأوزان البطيئة الموظفة سكبت فيها المرأة ما بفكرها وقلبها، وهي ليست بقضيتها هي فحسب بل أنها قضايا اجتماعية تخص الرأي العام ككل نسجت طبقاً لتناقضات وظروف اجتماعية واقتصادية تعيش معها المجتمع الجزائري، وهي أغني في الأغلب الأعم "حزينة تؤكد على طرح الهموم

(1) الراوية: العكري مرزوقي، أغنية يالهادي وببيك نبدأ، أم الطبول، دائرة القالة، ولاية الطارف، السن 56 سنة.

(2) نبدأ نطلب: التضرع و الدعاء لله عزوجل حتى يحقق مطلبه.

(3) راهو بين يديا: هو في يدي .

(4) عبد الأمير جعفر، الأغنية الفولكلورية في العراق، ص 49 .

الشخصية ومجمل القضايا الحياتية التي تفكر بها المرأة، الحب، الموت، الفقر... إلخ⁽¹⁾ تولدت الأغنية الشعبية على إثر أنقاض التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والتصور الروحي للكون بزغت نتجه لأوضاع تاريخية واقتصادية ما، بقيت رغم الإغراءات التي واجهتها من صدام وصراع محافظة على كنهها فصورت الجوانب الخفية النفسية في ذات الإنسان الشعبي وترجمت همومه وطموحاته، طرح الباحث مجموعة من التساؤلات أحاكها من الأغنية الشعبية في ارتباطها بالواقع، اللغة الشعبية طبعت بها الأغنية ونسجت ألفاظها تبعاً للموقف والظرف الذي وضعت في إطاره من مبدأ أنها اللغة الأولى التي عبر بها الإنسان عن احتياجاته، فإذا فهم المغزى من إيراد ألفاظ شعبية معينة في مناسبة ما تم استيعابها وفهم مراميها وتم الاسترسال في إطلاق ألفاظ أخرى بديلة وذات دلالة أعمق حدة وموازية الأولى، ولتأكيد هذا الموقف ولتبيان أهميته ساق الباحث نماذج غنائية شعبية وقام بتحليلها مفردة بمفردة وجملة بجملة، هذا الأمر أثار فينا نوازع الفضول إلى وجوب الاستتباب خلف الأغاني واستخراج الألفاظ القريبة من اللغة الفصحى فتقول الأغنية⁽²⁾.

جِيتْ نَحْكِيْلَكُمْ يَا كِرَامْ كَيْفَاشْ⁽³⁾ شَعْبَنَا اصْمَدُوثَارْ

رَغَمَ التَّعْذِيبِ أَوْ ضَرَبَ النَّارِ

فَرَنْسَا سَامَعِينْ حَسْبَتْنَا⁽⁴⁾ سَرَاقِينْ

(1) عبد الأمير جعفر، الأغنية الفولكلورية في العراق، ص 84، 83.

(2) الراوي: سلامي عمار، أغنية جيت نحكيلكم، العنوان: أم الطبول، القالة، ولاية الطارف، السن 78.

(3) كيفاش: كيف

(4) حسبتنا: خالتنا.

مَا عِدْنَا ⁽¹⁾ حَتَّى دِينَ شُوفُوا ⁽²⁾ الْحُقْرَة ⁽³⁾

لفظة "جيت" مأخوذة من الفعل جاء و لتخفيف على اللسان ألصقت اللفظة في بعضها البعض للضرورة الغنائية التي تحمل في مكنونها اللحن و الموسيقى ما استلزم تغييرها لتتناسق مع باقي الألفاظ الأخرى ، كذلك هو الأمر بالنسبة للفظه "نحكيلكم" وهي مأخوذة من الفعل الثلاثي حكي التي تدل على الحديث، من جهة أخرى استخدمت في هذه الأغنية ألفاظ عربية فصيحة محضة مثل يا كرام اصمت، شعبنا ، التعذيب، دين، النار؛ فكلمة الكرام هي رفع من قيمة المتلقي لأنه أحسن الإصغاء والسماع للحديث الذي دار بينهم ، أما كلمتي اصمد وثار، فالأولى تدل على الصمود أمام الاستعمار الغاشم والاستماتة من أجل رد الاعتبار للوطن ، أما الكلمة الثانية فترمز للثوران والغليان لإرجاع الحقوق المسلوقة...

وقف الباحث برهة عند عتبة كلمة "راي" قام بتحليلها واستخرج معناها وأدجمها مع لفظة أخرى خلص لمعاني عدة غير التي أثارها سابقا وهي : أن كلمة راي ترتبط بالأنثى ويمكن تصريفها مع مختلف الضمائر لتكون مواكبة مع اللغة العامية "وأنها تأتي للتأكيد "راي مليت ، و تشير إلى الرؤية التي تصور الحالة التي بوجه عليها الفاعل " ثم أن الإخلال بقواعد اللغة يفضي بطبيعة الحال إلى الاختلاف في النطق والشكل وبالتالي إلى اختلافها عن الألفاظ العربية ⁽⁴⁾ تم صياغة الألفاظ بحسب تناسقها و انسجامها مع اللحن في مختلف

⁽¹⁾ عدنا : أصبحنا

⁽²⁾ شوفوا : أنظروا .

⁽³⁾ الحقرة : لا أحسب لك حساب .

⁽⁴⁾ ينظر: عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 153 ، 154 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

مستويات اللغة الشعبية، هذا اختلاف لم يمس اللغة الشعبية في ذاتها ولحد ذاتها إنما تخطاها إلى أبرز القضايا النحوية و الصرفية، وبالتحام هذه الخصائص جميعها تحت لواء الأغنية الشعبية يكون قد استقام عودها ووفت وكفت باحتواء مضامين ومحتوى اللغة الشعبية من جميع النواحي، من باب أن من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ، لم يتلعثم إذا رمقته العيون، عدم امتلاك الباحث بكل خصائص الشعر الشعبي من ضمنها عدم استخدام الحركات في مكافأ جعله يحزم الأمر إزاء هذه القضية، ويقر بعدم نسبتها للشعر العربي الفصيح ولبيان صدق هذه الرؤية ألحق هذا بنموذج شعري ليستخرج منه كلمتين "قاع" و"البر" التي تأتي هي الأخرى مجرورة لأنها مضاف إليه⁽¹⁾

لتأكيد صلاحية هذا الموقف ضمن الباحث مثال شعري بين فيه أسباب الاختلافات الواردة في تبيان معنى الكلمات وعن أسباب تضمينها بهذه الشاكلة معتبرا أن كتابة لفظة البر تعتبر تشويها للفظه العربية "بر" وأن كلمة أعلامنا جاءت مجزومة في حين أنه موقعها يأتي من الناحية اللغوية مرفوعاً لأن إعراب هذه الكلمة مبتدأ⁽²⁾.

عدّ الباحث اللعب بألفاظ وكلمات الأغنية الشعبية وصل بالإنسان الشعبي إلى حدّ تشويه معنى بعض الألفاظ العربية مثل كلمة بير و التي هي في الأصل بر، و كلمة أعلامنا جاءت مجزومة فحين أنها مرفوعة لأن إعراب هذه الكلمة مبتدأ بعد أن درس الباحث نماذج غنائية ووقف عند أسباب اختلافها من جانب "اختلال الحركات النحوية و الكتابة الخاطئة لكثير من مفردات الأغنية

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 155.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

يرتبط على نحو لا ينفصم بطبيعة الأغنية الشعبية التي تشتق كلماتها (كما تنطق) من البيئة...⁽¹⁾

الأغنية الشعبية تعبر عن مجريات الواقع وتقف على عديد العتبات المكانية أو النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية ، فهي على اتصال مباشر بعقول العوام التي تفننت في إنتاجها ، في حين أن التصورات الحاصلة على مستوى الأغنية تروحي بعكس ذلك وتقر بأن الأغنية ماهي إلا وسيلة تعبير وإتصال ليس إلا ، بيد إن " استخدامها اللغوي المعاصر لكلمة الخيال عادة، إلى القدرة على تكوين صور ذهنية غابت عن متناول الحواس " ⁽²⁾

موضوع الأغنية الشعبية في الجزائر (منطقة الشرق الجزائري نموذجاً) للباحث "عبد القادر نظور" موضوع ذو محتوى جديد من حيث العدة و التعداد أثار فيه الباحث نقاط عدة مسّت الأغنية الشعبية ، عمد إلى إثارة قضايا جدّ مهمة خاصة وأن الجزائر كبلد بحجم قارة يحتفي بمقدرات شعبية متنوعة على تنوع مناطقها ،و بما أن باحثنا قد خص في دراسته هذه الأغنية الشعبية هذا أفتح بحثه بمقدمة أجمل فيها جلّ النقاط التي توسع فيها ما بعد و ألحقها بتفسيرات وتحليلات و طعم إياها بنماذج غنائية شعبية شرقية.

بالرغم مما قدّمه الباحث من بحث حثيث ودراسة جادة ، إلا أن هذا الموضوع لا يزال بحاجة ماسة للدراسة المستفيضة ،نحن لا ننكر العمل الجاد الذي قدّمه الباحث لمسنا فيه الجدّ و الجدية في العمل يستحق الثناء و الشكر نظير ما قدّمه من مجهودات ،فقد أثرى خزانة الأدب الشعبي الجزائري و للمم

⁽¹⁾ عبد القادر نظور ، الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 156.

⁽²⁾ جابر عصفور، الخيال ، الأسلوب ، الحداثة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009، ص 09.

شأت أغاني الشرق غير أن هذا الموضوع لا يزال لم يكتمل نموه بعد، فهو بحاجة إلى تكاثف الجهود من قبل الباحثين و الدارسين للالتفاف حوله و احتواءه بالدراسة الجادة، و فهم أبعادها ومراميها لأن هناك الكثير في جعبة الإنسان الشعبي من الأغاني لم يثار الحديث فيها لحد الساعة، بعد السفر البحثي في رحاب الأغنية الشعبية للباحث "عبد القادر تطور" الذي اتكأ في بناء معمارية بحثه على العديد من المعالم جمع فيها كل ما يخص الأغنية و أثار الحديث فيها مطولا خاصة عند دراسة الشق الشعبي منها ، إستخلص الباحث منها جملة من النتائج وخرج ببعض التوصيات هذه الحوصلة ليست خاتمة بقدرها هي دعوة إلى وجوب إيلاء الاهتمام بالأغنية الشعبية الجزائرية التي تزخر بمواضيع متنوعة وعميقة تنتظر من ينتشلها من غياهب النسيان و يخرج بها إلى عوالم النور لأنها تمثل تاريخ أمة برمتها.

ونخلص في ختام هذا البحث إلى القول بأن بداية فن الكلمة هي في الفولكلور، إجمعه، و أدرسوه، ثم صوغوه و نستنتج عنه قدر كبير من المادة لنا و لكم، و بقدر ما نعرف الماضي جيدا، بقدر ما سنفهم الحاضر فهما ميسرا عميقا مبهجا.

ثانيا: أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث.

كلية : الآداب والعلوم الإنسانية.

قسم : اللغة العربية و آدابها.

جامعة : الحاج لخضر باتنة — الجزائر—

عنوان المذكرة : التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي .

إعداد الطالب :عبد اللطيف حني .

تخصص : أدب شعبي.

سنة المناقشة : 1430، 1431هـ / 2009 ، 2010 م

المشرف على الأطروحة : عبد الرزاق بن السبع — أستاذ محاضر بجامعة باتنة

تم مناقشة أطروحة الدكتوراه من قبل اللجنة العلمية المكونة من:

الرئيس :أحمد جاب الله : أستاذ محاضر بجامعة باتنة .

المشرف والمقرر : عبد الرزاق بن السبع — أستاذ محاضر بجامعة باتنة.

الفاحصون: صالح لمباركية : أستاذ محاضر بجامعة باتنة.

- محمد عزوي : أستاذ محاضر بجامعة سطيف .

- إبراهيم شعيب :أستاذ محاضر بجامعة الأغواط .

- عبد المجيد دقياني : أستاذ محاضر بجامعة بسكرة .

أولا-المدونة :

الموسومة بالتشكيل الفني في ديوان " عبد القادر بلطيجي "للباحث "عبد

اللطيف حني " إنتاج جديد لم يسبق أحد أن خاض فيها معاول دراساته خاصة

فيما يخصّ الديوان في حدّ ذاته فلم نجد من الباحثين من قام بدراسته لا قبل

الباحث و لا بعده، بالرغم من أنه ديوان حافل بالمواضيع الشعرية الشعبية

المتنوعة إلا أنه لا يزال على رفوف المكتبات ينتظر إلتفاتة الدارسين لنفض الغبار

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

عليه وانتشاله عن الفوضى والنسيان و ردّ الاعتبار لمبدعه و لمنتجه الجدير بالدراسة .

هذه القامة العلمية التي أثرتُ خزانة الأدب الشعبي بأعمالها ذات أبعاد دلالية وفنية تستحق الوقوف عندها مطولا يبعد نظر وبدقة في التحليل للغوص في غمارها لاستجلاء أهم القيم الفنية التي تشكل على أنقاضها.

إذا ما ولجنا إلى تقنية التشكيل الفني فهناك دراسات عديدة خاضت تجاربها في هذا الميدان سواء تعلق الأمر بالكتب أو المقالات أو المذكرات الأكاديمية على حدّ السواء كلها تناولت ديوان معين في بناء فصول بحثها ، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر كتاب "التشكيل الفني في شعر أبي مسلم البهلاني لمؤلفه" عبد المنعم حاليو "ومقالة "التشكيل الفني في ديوان أسرار الغربة لمصطفى الغماري" للباحثة "ليلي غضبان" المنشور في مجلة إشكالات، العدد الثالث، أكتوبر 2013 ، أما فيما يخص الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع التشكيل الفني على كثرتها خاصة في جوانب دراستها لديوان معين ، نذكر كمثال على ذلك في طور الماستير " التشكيل الفني في ديوان قبضات الهوى لـ" أحمد بزيو" للباحثة "سارة حرز الله" ، أما في طور الدكتوراه علوم نجد المذكرة الموسومة بـ " التشكيل الفني في أدب عبد الرحمان ابن العقون" لباحثة "يمينة قرقي".

كثيرة هي الدراسات التي ولجت عوالم التشكيل الفني في ديوان ما لكن "ديوان عبد القادر بلطيجي" فلم نجد دراسات توفي بحق هذا الشاعر الفحل وتردّ له الاعتبار نظير مجهوداته التي تستحق الإفاضة في دراستها لأن شعره قد خاض فيه مواطن عديدة ومواضيع شتى .

هذه الدراسة الأكاديمية للباحث "عبد اللطيف حني" دراسة تعريفية للشخص "عبد القادر بلطجي المستغامي" ولديوانه باعتباره مرتبط الفرس وبيت القصيد في بناء الباحث للنبات بحثه وفق خطية منهجية متراصة القوام ممشوطة القدر أحسن صياغتها وأجاد في سبكها بما يتوافق و القيمة الإبداعية لمحتوى الديوان و المكانة الثقيلة الوزن لـ "عبد القادر بلطجي المستغامي".

ديوان "عبد القادر بلطجي" افتقر لتوالي و تكاثف الدراسات بشأنه رغم أنه شاعر فذ أخذ من أعماله العديد المطربين و تغنوا بها لكن هذا الاسم القامة وهذا الإبداع المميز لم ينل حظوته من الاهتمام لوما عثر عليه باحثا محض الصدفة و هو يتأمل بين أروقة المكتبات وبين صفحات إذ به يعثر على ديوان "عبد القادر بلطجي" جذبه العنوان وأثار حفيظته و استرعى اهتمامه لوجوب التمسك به و فهم محتواه الثري و البحث بين أسطر الديوان عن مكان الجمال الفني و غنى مواضيعه التي صاغ على منوالها أشعاره.

لعل هذا التوجه يؤكد صدق الفكرة التي مفادها أن بعض الباحثين عند البحث عن كتاب ما بغرض المطالعة أو بغرض الاستشهاد به في بحثه ينصطدم بأن العنوان معاكس تماما لمحتوى الكتاب فالعنوان عادة ما يأتي جذاب يلفت انتباه الباحث لاقتنائه لفهم مضمونه غير أنه يفتق مخياله لإثارة إشكاليات أخرى، و لتوالي مواضيع أخرى تصب في ذات السياق.

الدراسة الأكاديمية التي بين أيدينا و الموضوعة تحت عنوان " التشكيل الفني في ديوان "عبد القادر بلطجي" دراسة جديدة العد و التعداد، و باحثا هو أول من تطرق لدراسة هذا المنجز الذي كان مرمى على رفوف المكتبات ينتظر أن يطرق بابه لكن دون جدوى ، جذب العنوان نظر باحثا واسترعى انتباهه ودعا لوجوب تسليط الضوء عليه لفهم مقاصده وفحواه كونها دراسة تستحق

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الدراسة والبحث خاصة من جانب إثراءها لمواضيع الأدب الشعبي الجزائري ولعل هذا ما يؤكد على أن الجزائر زاخرة بالمواضيع الشعبية التي تنتظر بفارغ الصبر من ينتشلها ويثير دراسات حولها، فالمادة العلمية الشعبية أكيد موجودة وبكثرة لكن من يدرسها و يحللها مغيب تماما عن الساحة و كأن الأمر لا يهمه ولا يعني له شيئا.

تعمدنا في هذه الجزئية إثارة سؤال جوهري تبني عليه دفاتر العمل الأكاديمي الشعبي حول أي الأعمال الأكاديمية المقدمة من قبل الباحثين هل تم جمعها من أفواه جمهور الشعب أما أنه اعتمد على المدونة المطبوعة ؟.

الدراسة الأكاديمية لباحثنا عبد اللطيف حني إعتمد فيها على المدونة الورقية المجموعة من قبل "عبد القادر غلام الله" بعد أن قام بجمع الديوان وتحقيقه ونشره سنة 2005 م.

و نظرا لندرة الدراسات بشأن هذا الديوان وصل إلى حدّ الإجحاف الكبير تعمد الباحث إثارة هذه القضية بالذات لأنها جزء من تاريخ الجزائر العميق و تجربة جديدة استلهم منها مواضيع بحثه فمن غير الممكن أن يتغافل أي جزائري عن هذا المنتج الشعبي المحلي الذي يحوي في جعبته قيم عدّة ومواضيع شتى تنتظر إلتفاتة الدارسين إزاءها لحفظ ماء وجهها ورد الاعتبار لهذه القائمة الإبداعية ،التي تفتح الباب بالأحضان لمتابعي الديوان و محبي الشعر الشعبي الجزائري لدراسة هذا الموضوع من زاوية أخرى و بحلة جديدة ممزوجة بروح ونفس جديدة تبقي على الأساس لكنها تغير الحلة أو الملابس ترسيخا للمثل الشعبي القائل "الجديد حبو و لقديم ما تفرط فيه"

—طبيعة المدونة :

المدونة هي عبارة عن ديوان يضم قصائد نظمها "عبد القادر بلطجي" وكانت الدراسات بخصوص هذا الديوان نادرة جدا عدا ما قدمه "عبد القادر غلام الله" بعد أن جمع أشعار البلطجي وصنفها و ضبط مراجعة المادة الشعرية المجموعة ومن ثمة تقديمها للنشر في ديوان يعطي لمنجزها المكانة التي تستحق الشكر للقيمة الشعرية المميزة .

طرح البلطجي في هذا الديوان مجموعة من الأغراض، فالغرض الديني الذي خص فيه مدح النبي صلى الله عليه و سلم "وتعداد سيماته وخصاله وفضائله، إضافة إلى مدح الأولياء الصالحين الذين يتمتعون بسمات تتوازي مع ما يتمتع به الأنبياء، وخصّ بمدحه للولي "عبد القادر الجيلاني" وهذا الغرض يكشف عن توجه الشاعر الصوفي و المدح هو غرض من أغراض الشعر قديما و حديثا ويهتم بتعداد جميل المزايا ،ووصف الشمائل الكريمة و إظهار التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا.

أي ذكر الخصال والمناقب الجميلة للأنبياء والأولياء الصالحين التي يتفرد هؤلاء عن بقية البشر لأنهم أناس قد شرفهم الله عز وجل بأسمى السمات و بأجمل العبارات

وظف الشاعر البلطجي كذلك الغزل الصوفي بأنواعه بين فصول ديوانه وكشف على مدى حواريته مع القصيدة الشعبية ،في حين قام بتقسيم الغزل الصوفي إلى تيارين في الشعر العربي أولها الغزل الفاحش وفيه يتغنى الشاعر بأوصاف محبوبته حدّ تعريتها من الخصال الحميدة المتجذرة في البيئة الشعبية كالحياء، وبذلك يكون قد آثر في دراسته جانب من جوانب المحرمات (الطابوهات) الثلاث و المتمثلة في: "الدين، الجنس، الوطن"

كما وظف البلطجي شعر الكفاح ووصف فيه حال الأمة الجزائرية إبان ثورة التحرير المظفرة و من أغراض هذا الشعر شعر الحكمة والنصائح، والتي تهدف إلى تقويم سلوك الفرد و الأطفال على وجه التحديد .

هذه الأغراض و غيرها تم التطرق إليها من قبل الشاعر، ورأها مقاصد وإيحاءات ضمنية تفهم من سياق الكلام فهي أشعار حكيمة توجيهية بالدرجة الأولى تقوم على إعادة بناء وتشديد روح الإنسان الشعبي ، هذه الأغراض وغيرها تغني الشاعر بالتنقل بينها بين صفحات ديوانه ،هذه الأغراض القديمة الحديثة في الآن ذاته، كون أن الشاعر أعاد إحياء هذا الغرض لكنه ألبسه وشاح الحداثة ليتواكب ومعطيات العصر الراهن.

نذهب إلى الأطروحة الموضوعية تحت عنوان " التشكيل الفني في ديوان "عبد القادر بلطجي" للباحث "عبد اللطيف حني" بدأها بالحديث عن مكانة الأدب الشعبي الجزائري خلال الآونة الأخيرة، وكيف وظف الباحثين الأكاديميين معالم هذا الأدب بين صفحات كتاباتهم ، ذكر أن الفضل في الاهتمام بها يعود إلى البحث العلمي الأكاديمي في التعريف به و الإشادة بقيمة موضوعاته من الناحية الفنية والجمالية بصفته عاكسا للتاريخ و الثقافة الجزائرية.

كما أقر الباحث بأفضال البيئة التي أرضعته مبادئ هذا العلم عن طريق ما روته الجدّة ، أو عن طريق معاشته لبعض مشاهد إلقاء الشعر الشعبي التي بقيت راسخة في مخياله، وباتت لا تفارقه و نظرا للحمولة المعرفية التي يتمتع بها الشعر الشعبي في تعبيره عن قضايا الشعب، و عن آماله بدفقات شعورية فياضة تنم على نقاء المخيلة الشعبية في معالجتها للأوضاع السائدة عبر تصفية الشعر الشعبي، ولعل من بين الدوافع التي دفعت بالباحث بإرساء معالم بحثه في ميدان الشعر الشعبي هو :

غنى الشعر الشعبي الذي مازال يحتاج تكاثف الجهود و تصويب الرؤى لاستجلاءه من رحم بيئته الشعبية و تسليط الضوء عليه بالبحث و الدراسة الجادة ، فكان هذا الدافع المحفز الأول للباحث بخاصة دراسة هذه الأشعار من الجانب التشكيل الفني.

أما بخصوص المدونة التطبيقية التي اعتمد عليها الباحث فهي ديوان مطبوع لشاعر شعبي اسمه الشيخ "عبد القادر بلطيجي المستغامي" المجموع من قبل "عبد القادر غلام الله"، استرعى الديوان اهتمام الباحث ، نظراً لما يحتويه بين جنباته من فنيات جمالية شعرية على هذا المنوال صاغ باحثاً عنوان بحثه الموسوم بـ " التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي"، بعد تقلب الباحث وبحثه الدؤوب حول هذه الشخصية لم يجد ما يوسع مداركه العقلية أو يدلّه على الوجهة السليمة التي تمده بالمعلومات غير الديوان الذي عدّه الباحث تجربة جديدة تطلعنّا عن حال التراث الشعري الشعبي الجزائري خلال فترات متعاقبة من تاريخ الجزائر .

بنى باحثنا أرضية بحثه عبر طرحه لجملة من التساؤلات بداية من الإشكالية الرئيسية التي بحث فيها عن الأدوات الفنية و القواعد الأدبية التي نسجت على منوالها القصيدة الشعبية الجزائرية عند بلطيجي، و من خلال هذه الإشكالية الأم تفرعت إشكالات فرعية أخرى مثل ماهي استراتيجيات التشكيل الفني التي وظفها بلطيجي للتعبير عن تجربته الصوفية ، وغيرها من التساؤلات التي سهلت على الباحث أن يرسم خطة بحثه وهي متكونة من مقدمة ومدخل وأربعة فصول يليهم فهرس.

- المدخل :وضعه تحت عنوان (المصطلح والسيرة والديوان) ضمن فيه

الباحث العناصر التالية:

- أولاً: مصطلح التشكيل الفني: تطرق فيه إلى تصوير هذا المصطلح من بعدين: بين الفن والشعر :

- ثانياً : سيرة الشاعر "عبد القادر بلطجي" :

اعترف الباحث من الوهلة الأولى بأنه حاول مراراً وتكراراً البحث عن مراجع تشيد بسيرة و أعمال و بطولات هذا الشاعر و خطابه الشعري فلم يجد ما يستعين به سوى ما قدمه "عبد القادر غلام الله " الذي جمع ما تيسر من إبداعاته، و قام بتصنيفها و ضبطها و مراجعة المادة الشعرية المجموعة و تقديمها للنشر في حين عرّج الباحث إلى التعريف بالشيخ البلطجي من خلال ما ألمّ به "عبد القادر غلام الله " وقد فصل الباحث في هذا فذكر :

- الفصل الأول : تم وضعه تحت عنوان " التشكيل الموضوعاتي للديوان "ضمن فيه الباحث :

- أولاً: الشعر الديني :

تحدث الباحث في هذه الجزئية عن الشعر الشعبي الديني الجزائري و عن بداياته الأولى ؟ و كيف تطور؟ و ماهي الأسباب التي دفعت بالشعراء الشعبيين إلى تضمين الدين بين صفحاتها ، كل هذه التساؤلات وأكثر حاول إثارتها والتنقيب على أصولها و منبتها الأول ، فقد ضمن الشاعر الشعبي بين أشعاره مواضيع عدّة تحاكي ظروف الإنسان داخل محيطه فالمواضيع الدينية ربطها بالتصوف أو الزهد أو مدح الرسول -صلى الله عليه و سلم- و حياته و التغني بآثره و خصاله.

مواضيع أخرى تتصل بالثورة فيكون بذلك الشاعر الشعبي لسان حال أمته مضمناً أحداثها وتحولاتها ، و مواضيع أخرى اجتماعية تعكس حضور الشاعر داخل بيئته باعتباره اجتماعي بطبعه ، و غيرها من المواضيع الأخرى التي خاض

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

فيها الشاعر معاول كتاباته سواء ذاتية كانت (كالغزل) أو اجتماعية (كالثورة) ولعل هذا الفصل الموضوعاتي أسفر عنه كشف آليات التدوين الشعري القديم والحديث كتيان الوحدة العضوية و الوحدة الموضوعية في القصيدة و احيائية اللغة يكون الشاعر الشعبي قد وجد " في هذا الوضع العام مناخاً صالحاً للتعبير عن عواطفه ووجدانه بلغة سهلة، وأسلوب بسيط لا يتطلب معرفة الكتابة وإتقان قواعد اللغة المعربة (...) و من هنا استطاع الشاعر الشعبي أن يقلد كل أغراض الشعر العربي مدحاً، ورثاءً، وهجاءً، وحماسة و غزلاً... مع اختلاف الرؤية و تباين في الأسلوب واختلاف التصوير" ⁽¹⁾

هنالك من الباحثين من أقر بأن جودة الشعر الشعبي من ضعفه تعود إلى التقسيم القائم على مستوى الشعر في حد ذاته فهو يتأرجح بين البدوي (منتوج ريفي بامتياز) وحضري (شعر منظوم في المدينة) ، وأوجه الاختلاف الموجودة فيه تكمن في أن -الشاعر البدوي يبحث عن مكان الجمال في الشعر كونه موجه بالأساس للإنسان البدوي، أما الشاعر الحضري فهو في بحث حثيث عن انتقاء كلمات تتناسب مع القوالب الشعرية المصاغة وفقاً لمتطلبات مجتمع المدينة و التي تقتزن في العادة بالغناء و الطرب.

الشعر الديني هو أحد أغراض الشعر ترعرع في بيئات إسلامية و إنتشر بين الأوساط الشعبية التي تصدّت للاستعمار، وحاول جاهدا القضاء على مبادئ الدين الإسلامي السمح، زد على ذلك فإن النشأة الدينية للشعراء الشعبيين الذين تعلموا وتكونوا في الزوايا والكتّاب تكفلت بمهمة تلقين الشعب أسس الدين و علوم اللغة العربية في حين أن الاستعمار استهدف بظلمه وجوره حتى

⁽¹⁾ التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 29 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

معالم الزوايا فقد "شوهوا الدين"، و ألبسوه لباساً زرياً، و استغلوه لأغراضهم الخاصة، و طبقاً لسياسة استعمارية قذرة⁽¹⁾

تجلت نوايا الاستعمار في استغلال الزوايا خدمة لأغراضه الخاصة، و تم إنتهاج هذه الطرق بغية بعث رسائله عبر بني تحية تستهدف المركز الأساس الذي يلحق الإنسان الشعبي مبادئ الدين الإسلامي، غير أن ظلمها و بطشها إجتاح حتى معالم الزوايا و شوهوا سمعتها بأن تنشر الافتراء و الكذب الأباطيل و الترهات بين الأوساط الشعبية ليتعرفوا عليها و يبقوا تحت رزخها هي.

في حين أن الزوايا كان لها الفضل الكبير في إخراج الشعب من الظلمات نحو النور وأخرجه من براثن الاستعمار وغرس فيهم قيم نبيلة كالحب الخير، و نبذ الظلم والاستبداد، واتخذوا من معالم الدين نبراساً يقتدوا به للدفاع عن الوطن والاستمالة من أجل الذوذ عنها من قبضة الاستعمار الغاشم⁽²⁾ والحفاظ على هويتهم، متخذين من أمجاد التاريخ الإسلامي وأحداثه وانتصاراته العديدة وسيلة فعالة لإقناع الناس بضرورة الجهاد و شحذ همهم⁽³⁾

لتصوير معاناة و آلام أبناء الشعب إزاء الوضع الذي آلت إليه البلاد اتكأ الشاعر الشعبي على الدين في تكوين شعره⁽⁴⁾ وبظهور الفكرة الإصلاحية اتخذت من الدين أحد المقومات الأساسية في الدعوة إلى النهوض و التطور⁽⁵⁾

(1) عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة و النشر، ع 178، ص 13.

(2) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطيجي، رسالة دكتوراه علوم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، إشراف: عبد الرزاق بن السبع، السنة الجامعية 2009، 2010، ص 29.

(3) عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1981، ص 5، 6.

صاحب هذه الأطروحة في معرض حديثه عن الشعراء الشعبيين ذكر بأن جلّ قصائدهم كانت تحتوي على معاني معبرة تنم على حبهم الفياض للوطن، وتدعو إلى ضرورة التحرر من ربكة الاستعمار الذي كبل الأيدي فهذا أسمى ما يطلبه الإنسان الشعبي للعيش بسلام و لعل هذا الشعور نستشف آثاره في البيت الشعري القائل :

إِنْ عَشْتُ فَعِشْ حُرًّا أَوْ مِتْ كَالْأَشْجَارِ وَقُوفًا

المنحى الديني أهم "غرض شعري طغى على مجرى الشعر الشعبي عبر العصور هو الغرض الديني، إذ احتضن المتصوفة و الطريقة فيما بعد هذا الشعر" (1)

أرجع الباحث عدم اهتمام الشاعر الشعبي بالمواضيع الدينية إلى عوامل نفسية محضة سببها الاستعمار الذي حلّ بالبلاد، وبذلك كان اهتمام الشاعر موجه بادی الأمر إلى نيل ثمار الحرية لأنه مطلب لا بد منه، قبل الغوص في غمار الإبداعات الشعبية التي صورت جوانب مهمة من تاريخ الجزائر "وركز الشعر الديني الجزائري على مدح النبي صلى الله عليه وسلم و آله وصحابه ومدح الشيوخ والأولياء الصالحين" (2)

فالشعر الديني الجزائري يسلط الضوء على مدح خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و تعداد صفاته و محاسنه، كما لم ينسى الأولياء الصالحين الذين يمتلكون كرامات يتبركون بها كونها نذر خير؛ وأقر الباحث بأن الشعر الشعبي الديني قد أخذ من الدعاء لله تعالى و مدح نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و الأولياء الصالحين مواضيع لقصائده و "انحصر الشعر نتيجة تعلقه

(1) أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي (شعر الثورة المسلحة)، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، د، ط، ص 03 .

(2) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطجي، ص 30 .

بالزوايا والمساجد في الأغراض الدينية، فتشابهت نصوصه، فإذا هي من لون واحد.⁽¹⁾

عدد الباحث الشعراء الذين ظهوروا في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر هم من الصوفية ذكر منهم "عبد العزيز المغراوي"، "الحاج عيسى لغواطي"، "عبد القادر الزرهوني"، "عبد الرحمان المجذوب"، "الحاج مبارك بولطابق" وغيرهم من الشعراء.⁽²⁾

تطرق الباحث للحديث عن "الشيخ عبد القادر بلطيجي" باعتباره ملهما له ورائدا لدراساته، اقتدى به الشعراء الشعبيون في نظم قصائده لمجدح النبي الله عليه وسلم والأولياء، والتي لمسنا تجليات التأثيرات الصوفية موسومة على أشعاره، فهو من متشبعي الثقافة الصوفية، بعد ذلك انطلق باحثنا إلى المباحث التي صنفها في خطة بحثه بدأها بـ:

- المبحث الأول: وضعه تحت عنوان: "الدعاء و الابتهاال لله تعالى" وقد ضمن فيه :

1) الدعاء و التوسل لله تعالى :

ذكر الباحث أن بلطيجي قد توسل بصفات الله الحسنى وبأسماءه العلا لتقرب من الله ونيل رضوانه، نسج الشاعر عديد القصائد ناجي فيها ربه بأسمائه الحسنى فمن بداياتها إلى غاية نهايتها ليطم الشاعر قصيدته بذكر جميع أسماء الله الحسنى، التغني بها لطلب العفو و المغفرة من الله و اتبعت القصيدة ثلاثية الأشر، هذا النظام في كامل القصيدة التي تجاوزت المئة بيت تصف حالة

(1) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهه وخصائصه الفنية (1925، 1975)، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 19 .

(2) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي، ص 30.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الشاعر في إلحاحه الشديد للمولى عز وجل حتى يتغاضى عن سيئاته و يستجاب لدعائه كما أرفق الباحث أبيات شعرية كان موضوعها التوسل بأسماء الله الحسنى و مدح الرسول صلى الله عليه وسلم و المزج بينهما .

وصف الباحث قصائد البلطجي وأقر بعدم خلوها من الألفاظ الزهدية عبرت عن توجهه ونظرته للحياة، والظروف التي عاشتها الجزائر إبان تلك الفترات كقيلة بأن تجعل الدين مصدر إثراء ودعامة أساسية لدراسة الشعر وإحدى أهم الطرق للمقاومة ومجابهة الاستعمار ، من جهة أخرى كشفت عن توجه الشعراء وتشبعهم بالدين ومنابعه الروحية التي زادت حماسه وكشفت اللثام عن "القصائد المختلفة الموضوعات نجد أثر الدين واضحاً قوياً و هي سمة بارزة في هذا الشعر فقد يبدأ الشاعر بالدين وقد ينتهي به " (1)

أراد البلطجي أن تغتفر ذنوبه عن طريق التغني بأسماء الله الحسنى و هي أسماء تحمل في مضمون معناها تدل على المدح والثناء والحمد والتعظيم والتمجيد لله وصفات كماله، وقد أمرنا الله عز وجل في منزل تحكمه في أكثر من موضع أن نستبق الدعاء بأسماء الله الحسنى لقوله تعالى: (2)

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(2) الشكوى إلى الله تعالى :

(1) عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري، ص 377 .

(2) سورة الأعراف ، الآية 180 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

صور الباحث حالة شاعره وهو في ساعات القلق و الضجر يناجي ربّه ويشتكيه حال الدنيا وحال بني البشر، عبّر عن حالته النفسية المتأزمة، فأدرج الباحث أبيات شعرية عن ديوانه تصف أوضاعه وهو في حالة شرود وهذيان.

محمل قصائد الشاعر افتتحت بالدعاء و التضرع للمولى عزّ وجلّ ، فالشاعر يخاطب الله في لحظة هدوءه وسكونه ، و يطلب منه أن ينظر إليه نظرة رضا و رحمة، لأن سبب علته ربما تكون من ذنب اقترفه فهو يطلب مسامحته ويرى العلة محنة بينما عند الله تعالى تخفيف ذنب.

لم يكتف عند هذا الحدّ بل أنه توسل لله عن طريق ذكر شخصيات و رموز ومقدسات إسلامية ، جلّ أبيات البلطجي تكاد تتشابه تقريبا و كلها صور فيها شكواه و نجواه لله علة يرتاح نفسيا، فهل الشكوى لله والتضرع للمولى عزّ وجلّ تجلت تشكيلاته بين أسطر الديوان؟ وهل أحسن الباحث إستنطاقها ومحاورتها ليقدمها للدراس بشكل المطلوب؟

نجح الباحث إلى حدٍ كبير في استخراج أمثلة شعرية تصف حالة الخوف والقلق التي انتابت الشاعر، فلاذ إلى الله عز وجل يشكي حالته من ظروف الحياة ومطابقتها التي أثقلت كاهله وبات لا يقوى على تحمل المزيد فكانت هذه الآلية المأمن الوحيد الذي ضمنه بعضا من ألامه وجراحه وكله ثقة وأمان بأن يستجاب لدعائه، لأنه بين يدي الخالق البارئ الذي لا تضيع ودائعه، فقد أبدع الباحث في استخراج هذه السمة وتفنن في شرحها بدقة وتفاني ليذهب بعدها إلى مبحث آخر اقترح تسميته بـ :

- المبحث الثاني: المديح النبوي :

ذهب الباحث للقول بأن " المديح النبوي فن من فنون الشعر التي نشرها
التصوف و ساهم في إذكاءها " (1)

يعد المديح النبوي لبنة من لبنات التصوف مشحون بأحاسيس دينية محضة
تم على قلوب ملئها الحب والإخلاص لشخص النبي عليه أفضل الصلاة
وأزكى التسليم شعر المديح النبوي لا يقتصر على الشيخ البلطجي، بل كان
محط إهتمام عديد الشعراء من أمثال البوصيري ترك بصمته فيه ، و بلطجي قد
أتم المسير في ذات الإتجاه و أبدع في هذا الميدان بالذات و نظم قصائد عدة
بشأن المديح تقوم بالأساس على الخطبة الشعرية التالية:

الاستهلال بالصلاة والسلام على النبي صلي الله عليه وسلم ، يليها الثناء
والدعاء لله تعالى أن يبارك في هذا المدح، ثم تعداد صفاته الخلفية والتقرب لله
بمدحه أن يوفق الله في هذا المدح ليختم قصيدته بالصلاة عليه، ومجمل ما جاء
قصائد المديح النبوي في ديوان بلطجي و التي تعددت أشكالها ومضامينها
حسب المباحث التالية:

1) وصف النبي صلي الله عليه وسلم و آله وصحبه أجمعين رضي الله عنهم

2) الصلاة والسلام على النبي صلي الله عليه وسلم :

3) الشوق و الحنين لزيارة الحرمين:

(1) عبد اللطيف حنّي، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 37 .

- المبحث الثالث : مدح الأولياء الصالحين: ⁽¹⁾

مدح الأولياء الصالحين

مدح صفات الأولياء الصالحين

التغني بكرامات الأولياء الصالحين

التوسل بأسماء الأولياء الصالحين

كما أن الديوان لم يخلو من تعداد صفات ومحاسن الأولياء الخلقية التي كانت نبراسا يستضيء به كون أن طفولتهم جُبِلَتْ على القرآن والسنة النبوية.

تكفل الباحث بالمهمة معدداً الصفات الخلقية للولي الصالح كالجود والعطف ويطلب منه أن يطبّط عليه يتفقد حاله، فهو مصدر العز لكل خايف لهذا فقد عبر البلطجي من خلال أشعاره عن مدح الصفات الخلقية للأولياء الصالحين وخصالهم.

الإفتخار بمناقب وليه التي فاقت

باعتبار أن الأولياء الصالحين

أناس تجرى على أيديهم الكرامات فقد منهم الله بسيمات تضاهي سيمات الأنبياء في رجاجة العقل والحنكة بالحياة والحكمة في العقل، في التغني بكرمات الأولياء الصالحين — بلطجي لم يتغن بأولياء الصالحين الجزائريين فحسب بل أنه تغني بأولياء الصالحين في تونس، والقاصد بابه لا يرد خائباً بل أن سيرجع مثقلاً بإنفراج طلباته.

تربعت هذه الجزئية على حيز كبير من الديوان، فبعد توسل الشاعر لنيل رضاء الله عزّ وجل عنه، إنتقل إلى طلب الشفاعة من الرسول صلي الله عليه وسلم، علّه ينال الرضاء منه، والتوسل بأسماء الأولياء الصالحين كعبد القادر بوعلام سيزيح الغمة وتنهض الهمة في المجمل فإن نماذج الأشعار التي أدرجها الباحث في فحو بحثه تتحدث عن التوسل بالأولياء الصالحين والإرتقاء بهم. تعبير بلطجي بلغته الشعبية عن

⁽¹⁾ عبد اللطيف حنيّ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 61، 63، 71.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الأولياء و أشتهر في الدنيا. — الإستعانة بمظاهر الطبيعية وصف شيخه. كما أن الباحث من خلال تحليله للأبيات الشعرية إسترعى اهتمامه أخلاق وخصال وترك الأموال والزهد تبيان مظاهر السخاء والجود والشجاعة ونصرة المظلوم والانتصار له في أشعار البلطجي .	في الأغلب الأعم نسجت هذه الأشعار لتعداد كرامات الشيخ الجيلاني في وكرمه وجوده . المبالغة في التغني بالولي وصلت حدّ المقارنة بالمقدرة الإلهية. — رسم صورة الفارس المغوار الذي يتمتع بصفات تنم عن القوة والبطولة والشجاعة. — تصوير بلطجي للولي لجيلاني كأنه شخصية أسطورية . — التغني بأعمال الشيخ الجيلاني الخارقة . — الإستغاث بالولي الصالح والتوسل إليه ينقذه مما هو فيه.	شوقه وعشقه الصوفي للأولياء الصالحين —توظيف مصطلحات صوفية مثل كلمة قطب لدلالة عن رجل البلاد وتفردّه عن بني جنسه. — المزج بين نداء الشيخ وتوسله للخروج من المحنة التي هو فيها. — التبرك بالأماكن التي زارها الأولياء. — التوسل بمقام و قيمة الولي الصالح. ذكر الأولياء و أهلهم سيدي عبد الله أحمد بالحواش سيدي خرشوش.
---	---	---

صور الباحث مظاهر مدح الأولياء الصالحين بعد أن قام بدراستها وتحليلها وقسمها إلى ثلاثة فروع كبرى (التوسل بأسماء الأولياء الصالحين ، والتغني بكراماتهم ومدح صيقاتهم) مستحضرا إياها من أبيات شعرية بلطجية قد ساقها بين صفحات بحثه، ليبين الفكرة للمتلقي و يؤكد على القيمة الجوهرية التي يحملها هذا الديوان.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

و نظرا لكثرة الأشعار التي وظفها الباحث من الديوان ارتأينا فقط أن نستخرج مجمل ما جاء فيه استنادا لما قدمه في منجزه و بالتالي يمكننا أن " نميز في قصص الأولياء بين نوعين فرعيين: يتمثل النوع الأول في القصص المنسوجة حول كرامات أقطاب المتصوفة المعروفين مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني و الشيخ أحمد الشيحان، أما النوع الثاني فهو عبارة عن قصص محلية تنفرد كل قرية أو مدينة أو منطقة بقدر منها: يدور حول كرامات أولياء محليين من أبناء البلدة أو الجهة و يقوم برواية مثل هذه القصص رواة محليين من المنطقة المعنية"⁽¹⁾

⁽¹⁾ عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 127 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

بعدها انتقل بنا الباحث إلى الشعر وتم وضعه تحت مبحث آخر قسم إلى

قسمين : (1)



بعد أن رصد الباحث أهم الملامح التي يكتسي بها الشعر الذاتي ارتأى في آخر هذين المبحثين إلى عقد مقارنة بين الزهاد والعذريين فوجد أن هناك صفات مشتركة بينهما كالعفة والطهر والنقاء وعدم اقتراف الذنوب والتعالي عن المحرمات والتوفيق بين الرغبة والرغبة، في حين أن الغزل العذري والحب الصوفي

(1) ينظر: عبد اللطيف حنيّ، التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطجي ، 75 ، 80 .

تجمع بينهما رابطة قوية كونهما يتقاسما الغاية والوسيلة ولتوضيح ذلك أدرج الباحث نماذج شعرية لبلطجي .

- ثالثا: الشعر الاجتماعي :

مما لاشك فيه أن الشاعر أو الكاتب لا يكتب من العدم بل أن هناك دوافع حركت فيه نوازع الكتابة ومكامن الإبداع والباحث في هذا المقام قد رصد أهم الأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية الحاصلة في محيط الشاعر، وأهم حدث أسهب الشاعر في الحديث عنه هو موضوع الثورة التحريرية وتتبع تفاصيلها لحظة بلحظة من خلال معاشة أحداثها فقد تفنن في رسم أحسن الصور التي تصف معاناة الشعب من ويلات الاستعمار⁽¹⁾ فجند قلمه للتعبير عنها و توثيقها، ناقدا ومسجلا وناقلا لتلك المظاهر الاجتماعية، و محاولا تتبعها ودراستها والتفصيل فيها رغم تعقيداتها، لكنه حاول أن يكون له فيها رأي كفرد و شاعر جزائري تأثر بما يحيط به في بيئته⁽¹⁾

عدد الباحث مهام الشاعر إبان الثورة التحريرية أثناء إعدادة لعينات أشعاره فقد كان موثقا للأحداث في المقام الأول ثم أنه ناقداً في المقام الثاني وناقلا و مسجلا للأحداث في المقام الثالث و صور في أشعار الثورة الجزائرية بكل تفاصيلها، وبذلك لم تكن مهمته مختصرة في المشاهدة فحسب بل أنه عاش الحدث وأحسن التعبير عنه بسلح القلم في حين لم يدرج الباحث و لا أنموذج شعري، ولم يولي بلطجي اهتمام كبير للظواهر الاجتماعية سوى بعض النماذج منها فقد غلب اهتمامه بالشعر الديني بمناجاة ربه و مدح رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى العموم فإن القصائد المدرجة في الديوان تمحورت حول موضوعين:

(1) عبد اللطيف حنّي، التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطجي، ص 81 .

— النقد الإصلاحي :

نسج بلطجي أشعاره و قد ذرّ عليها مسحة من النقد الذي كان غرضه الإصلاح ، و من مثل ذلك تجلي مظاهر اجتماعية غريبة داخل المجتمع كعادات وتقاليد جديدة لم تكن سائدة من ذي قبل، أي أنها دخيلة عن ما هو متعارف عليه في بيئته.

وكان هدف الشاعر يقاض ذهن القارئ لضرورة الغزوف عن هذه العادات الدخيلة والتمسك بكل هو محلي وطني وغرضه من إدراج هذه السيمات هو إصلاح و تقويم مواضع الاعوجاج الاجتماعي، وجسد الباحث ملامح الإصلاح من خلال إيراد بعضا من أشعار قصيدة "المدينة مستغانم" منتقدا المظاهر التي آلت إليها بعد أن كانت كانت متحفظة، ثم أنه عدد محاسن مدينته و تبيان مكانتها لمن أراد طرق بابها وأرفق ذلك بنماذج شعرية من الديوان "مستغانم مدينة العلماء ولدوا و نشأوا وتربوا فيها، وهي قبلتهم لأنها عامرة بالمدارس و دور القرآن والزوايا و المساجد والعلماء الذين يلقون الدروس و يعلمون الناس دينهم الحنيف"⁽¹⁾

كما أن الشاعر كشف عن مظاهر اجتماعية أخرى مثل شرب الخمر وهي صفة منبوذة ومحرمة في المجتمع الجزائري ، و قدم الشاعر النصح والإرشاد لأبناء وطنه مستعملا في ذلك أدوات و آليات تقوّم السلوك و تشدّد الهمم ، بغية إرساء دعائم وطن يسوده الأمن و الاستقرار، صال الباحث و جال بين أروقة الديوان واستخراج 11 أنموذج شعري قدم فيه باقة مختلفة ألوانها جلها

⁽¹⁾عبد اللطيف حنيّ، التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطجي ، ص 83

فيها حث على اتباع الأسلوب القويم ذو القيم النبيلة كقوله العاقل تكفيه الإشارة.

- وصايا إصلاحية توجيهية للمجتمع:

يرى الباحث أن بعض من أشعار بلطجي احتوت مجموعة من الوصايا والنصائح التوجيهية ذات مغزى اصلاحي تربوي في المقام الأول، فنسج أبياته الشعرية بصياغة وحكمة فنية محلاة بالعديد من التشبيهات و الألغاز و الأمثال الشعبية حتى يجسد الصورة الحية ويطرحها للمتلقي بأدق تفاصيلها " على شكل وصايا تحذر من مغبة الوقوع في أيدي المخادعين و المنافقين بواسطة الصور التشبيهية و الاستعارية والكنائية وطائفة من الأمثال والرموز، وغيرها من الأساليب التي تكشف المعنى و تنقله بليغا واضحا للمتلقي"⁽¹⁾.

الرموز والإيحاءات كفيلة بإيراد مقاصد الشاعر هي مهمة تكفل الباحث باستخراجها من ثمانية (08) أبيات شعرية أرفقها بشروحها وأقوال .

-التشكيل المعجمي :

التشكيل المعجمي في أي عمل شعري كان له أهمية كبرى في رصّ بنيان القصيدة الشعرية و التحام أجزاءها، والباحث في هذا المقام قد تكفل بمهمة الجمع المعجمي من الديوان البلطجي وأرفق ذلك بإيراد خصائص كل معجم فيها بالجمع والدراسة والتحليل، غير أنه بالرغم من أنه خاض معاول بحثه في هذا الميدان إلا أنه تناسى أو تغافل عن تضمين معنى التشكيل الذي هو في الأساس العتبة الأولى التي يبنى عليه عماد بحثه، لماذا لم يقدم تعريفاً للتشكيل

⁽¹⁾عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطجي ، ص 30 .

؟وماذا يقصد به؟ وما دوره في القصيدة؟ هل بإمكانه الاستغناء عن هذه السمة؟

أم أن توظيفها يمنح جمالية القصيدة الشعرية؟ إذا كان الأمر كذلك فيما يكمن؟

— التعريف اللغوي للتشكيل (la réalité de la configuration)

التشكيل مصطلح مأخوذ من المصدر اللغوي الثلاثي "شكل": "الشَّكْلُ بالفتح الشبه والمثل، والجمع أشكال وشكول، يقال فلان يشبه أيه و شكل وأشكلة و شكلة وشاكل ومشكلة أي مثله" (1)

بهذا المعنى يصبح معنى التشكيل الشبيه و المثل يقال مثلاً الولد شبيه بأخيه أي أنه شبيه له في الملامح و التصرفات ، يتشكل ومنه يتشاكلان أي يتشابهان ويتماثلان في الصفات و الواصفات : "المعجم إذن جزء من اللغة لكنه ليس نظاماً من أنظمة اللغة، هو من اللغة لأنها سجل لكلماتها ولمعاني هذه الكلمات وهذه الكلمات ساكنة صامتة بالفعل ولكنها صالحة القوة لأن تصير ألفاظاً مسموعة أو خطوطاً مكتوبة مقروءة في سياق الكلام" (2)

أما عن معنى التشكيل عن الجانب الاصطلاحي فيعني " مجموعة العلاقات والمجموعات التركيبية التي تحمل معاني مختلفة تثير انفعالات سروراً وحزناً خوفاً وخشياً واطمئناناً وتشكل تشكيلاً فنياً و جمالياً" (3)

التشكيل هي النقاط المشتركة و المتشابهة بين العلاقات والمجموعات التي تبعث في النفس مشاعر مختلفة و متضاربة تتراوح بين الفرح والسرور والحزن و الخشية وتتراكب فيما بينها بطرق مختلفة لتشكل لوحة فنية جمالية مميزة وجديدة

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ج 3، ص 463 .

(2) تمام حسن، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 40

(3) محمد صابر عبيد، التشكيل الشعري (الصفة والرؤيا)، دار بنوي للدراسات و النشر والتوزيع، 2011م

لا تقبل الإعادة أو التكرار تتفرد بخصوصية فريدة من نوعها تبعث على الرضا والقبول بين مجتمع القراءة؛ 'والشكل هو مجموع العلاقات التي يستقطبها كل عنصر من العناصر الداخلية لتنظيم، وجود هذا المجموع هو الذي يسمح لكل عنصر بأداء وظيفته اللغوية' (1)

مصطلح الشكل في حد ذاته يحيل إلى جملة من العلاقات التي تشكل بدورها المبنى الداخلي للتنظيم وكل جزئية تشكل جزء من الكل في تكوين الوظيفة اللغوية، ومصطلح التشكيل بدوره يمنح القصيدة الشعرية خصوصية ويلبسها وشاحاً جديداً ويحافظ على معناها.

وبرجوعنا إلى مدونة الدراسة نلاحظ أن باحثنا قد استخرج من الديوان مجموعة من التشكيلات المعجمية التي التحمت سويًا في بناء لبنات الديوان، ووقف عند كل تشكيلة باستخراج ألفاظ من الديوان مرفقا كل واحدة منها بخصائصها 'باعتبار أن المعجم الشعري يتمثل في أنه تلك المفردات النشطة التي يشكل منها الشاعر قصائده' (2)

- ديوان الغزل (حالة الغياب) :

استخرج الباحث من الديوان أهم المفردات التي يصب معناها في محتوى الغزل مدرجا إياها في جدول قسمه إلى أربعة حانات، الأولى وضع فيها رقم الكلمة والثانية ضمن سياقها والثالثة تعيين الكلمة والأخيرة رقم الصفحة، أما بخصوص الكلمات التي أوردها ذات المحتوى الغزلي فنذكر على سبيل المثال:

(1) جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، 2000، ص 50.

(2) إبراهيم جابر علي، المعجم الشعري (بحث في الحقول الدلالية)، أمواج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

2015، ص 09.

نَارَ شَوْقِكَ مَقْدِيَّةً، الهَوَى وَالشُّوقُ أَقْوَى ، يَا وَنَيْسَ الْخَاطِرُ، محبوب القلب، من حبك مضاني، داويني من الجراح نبرى. ⁽¹⁾

وأدرج الباحث مئة و إثنان مفردة (102) تصف حال الشاعر بغياب وفقدان شيخه وحببيه ووليه الشيخ الجيلاني.

الكلمات التي أوردتها الباحثة من الديوان استنتج من خلالها جملة من الخصائص التي ساقها من وراء التمهيد في دراسة الديوان كوصف حالة بلطجي الشعورية وتصوير أجواءه النفسية المتأزمة من خلال المفردات المعبرة والعميقة، احتوت ألفاظه على ملامح رمزية، مما يدفع القارئ إلى إعمال عقله لفك تشفيراتها والغوص بين دفتها لفهم فحواها.

قرب لنا الباحثة صورة الشاعر واندلف بنا إلى أعماق ذاته وأفصح عن جل ما يجوب في خاطره التي لم ترسى على إحساس واحد (مضطربة) كوصف حالة الغياب عن وليه الصالح الذي يتمنى ملاقاته حتى يشفى من مرضه، وبث شكواه وتضميره من البعد الذي طال أمده عن شيخه الجيلاني ووصف استهزاء الناس به.

فلكل شاعر معجمه الشعري الذي ينشأ لصياغة إبداعاته لأسباب كامنة في ذات صاحبها إما لأسباب نفسية محضة يخرج كوامن ذاته ومكبوتاته في شكل أعمال إبداعية، وإما أنه استقى موضوعاته من الواقع والبيئة التي يقطن بها ويكون بذلك لسان حال أمته المعبر عن همومها وأملها وآلامها، وشاعرنا في هذا المعجم يصف حالة الشرود والغياب والفقدان لوليه الذي ينتظر حضوره بفارغ الصبر لوصف حاله له والذي كان غيابه فيها النقطة التي أفاضت الكأس وحرمت عليه النوم، إذ ابتكر آلية الغزل "عدها من أقدم الفنون الشعرية عند

(1) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 183.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

العرب وأكثرها شيوعاً، لأنه متصل بطبيعة الإنسان وتجاربته الذاتية الخاصة وإن الحب يحرك كل القلوب"⁽¹⁾

بعد ذلك انتقل بنا الباحث إلى معجم آخر من المعاجم البلطجية الموظفة بين أسطر الديوان ألا وهو .

- معجم المدح (الحضور) :

بنفس الشاكلة نسج الباحث خيوط هذا المعجم حيث ساق أهم المفردات الدالة على المدح و قصد بها وصف وتصوير الشيخ الجليلي وكأنه حاضراً أمام مرئ عينه وصفه بأجمل الصفات و أبهاها و في دقة متناهية، و رصد الباحث سبعة وتسعون(97) مفردة مثل قوله : " أنشوف بعيني شمس العقول، أنشوف بعيني بدر النقول، مدح أفضايل الفحل، محبوبي حاز الوصف و البهاء، يا سيد رجال الله، أنت سلاك من أغرق " ⁽²⁾

أرفق الباحث هذا المعجم بتعداد خصائصه والتي وردت في وصف محاسن الحبيب والولي الصالح من الناحية الشكلية والداخلية، كما أن وصف نبيه وحبيبه سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم واستند في إيراد هذه التصورات إلى الطبيعة التي ألهمته بسكونها وحركاتها أدواته التعبيرية الأولى، فالألفاظ المدرجة في حد ذاتها تحيل إلى وجود وحضور المحبوب "حيث كان يطلب من الزمن ما لا يستطيع الزمن نفسه بلوغه"⁽³⁾

⁽¹⁾ سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ت، د. ط، ص 06 .

⁽²⁾ عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 188 .

⁽³⁾ أيمن محمد زكي العشماوي، قصيدة المديح عند المتنبي و تطورها الفني، دار البهجة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983، ص 59 .

معجم آخر يسوقه الباحث بين ثنایا نصه استشفه من الديوان البلطجي ألا

وهو :

— المعجم الخمري:

وظف فيه الباحث مفردات تصب في معجم الخمر وما شابهه والتي بلغ عددها تسعة وخمسون مفردة (59) من ضمنها ما " يروي من الخمر الصافي، طالب من خمرت الستر، شربني كأس من الرحيق الرفيع، شربني من ماك، من بحرك شربت، في كوثر و الذوق عني ، أمرض ظني من خمر... " (1)

رصد الباحث في هذا المعجم جلّ المفردات الدالة على الخمر وأتبع ذلك بتعداد خصائصه وهي مفردات دلت في المجمل على الارتواء حدّ السكر من قبينة الشرب (الخمر) علّه يستحضر صورة وليه الذي أحترق شوقاً لرؤياه وملاقاته، فلاذ الشاعر إلى الخمر وتغزل به بدعوى التنفيس عن مكبوتاته، وتوظيف الخمر في سياق حديث الشاعر غرضه الهروب من الواقع المرير والذكريات المخمرة في مخياله يشرب رشفة من رحيقها سيشفى سقمه و ينسى همومه.

وورد لفظ الخمر في القرآن الكريم بثلاث دلالات الأولى تدل على الشراب المسكر الذي يذهب العقل، والثانية شراب أهل الجنة ، و الثالثة بمعنى خمار المرأة، وعينة دراسة باحثنا قد وظف فيها مفردات الخمر.

(1) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 191 .

استخرج الباحث معجم آخر شكلت مصطلحاته المبنى العام لديوان البلطجي:

4-معجم التّوسل

(أ) ألفاظ الاستغاثة

نماذج من المفردات الواردة في الديوان

- يا مغيث الملهوفين.
- يا مغيث من لا له زاد.
- جود و أعطف عني
- يطلب الشاعر من الولي
- أن يغيثه و ينتشله
- من الكرب الذي وقع فيه وظف الباحث فيها ثلاثة
- و خمسون مفردة (53)

(ب) ألفاظ الكرامات

نماذج من المفردات الواردة في الديوان

- في الأرضين السبعة و السماء.
- ما يجهل حد أخباره
- ما ولدت مثله أمحزمة.
- يتقرب ويتضرع للولي بأحسن الأسماء
- و أجود الصفات من يتكرمون عليه
- بتلبية طلباته، وظف الباحث فيها إثنان و ستون مفردة (62)

خصائصه

تداخل المنحيين والاستغاثة و ألفاظ الكرامات في ديوان البلطجي شكل
لحمة شعرية منسجمة الأبعاد ومتناسقة الألفاظ صورت الأجواء النفسية لشاعر
وهو في حالة التعلق بالولي والتوسل إليه بأن يستجيب لطلباته.

5-معجم المقامات الصوفية:

المصطلحات الصوفية أخذت قسط كبير من الديوان حيث استخرج
الباحث منه مائة وخمسة (105) مفردة تصب المنحى الصوفي.

أرفق الباحث هذا المعجم بمجموعة من الخصائص التي استنباطها ووقف
عند أبعادها ومضامينها، جاءت في مجملها تصف مقامات وأحوال الصوفية التي
تتماز بسميزات خاصة "ومفرداتها تختص بتمثيل و شرح المقامات والأحوال
الصوفية التي خبرها الشاعر وعرفها وعمل في حقلها لإنتاج دلالتها في

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

نفسه، وقد تولدت لديه عن طريق العمل على تجسيد مداولات تلك المفردات واكتسابها والتشبع بها حيث التوبة، الرصد فالتوكل، فالصبر⁽¹⁾

التصوف تختص مفرداته بتقديم شروحات لامقامات الصوفية والتي تفنن الشاعر في صياغتها بين متون و ديوانه، فهو على علم و دراية كافية أن المفردة الواحدة يمكن أن يستخرج منها عدد معتبر من الدلالات التي تحمل ذات المضمون وهذه الخاصية اكتسبها الشاعر عن طريق الممارسة والعمل الدؤوب لجمعها ودراستها و تحليلها واستخراج مجموعة من المتواليات المصطلحية الواردة بخصوصها

"الأدب الصوفي إذن لا يقوم على الرغبة أو الرهبة، بل قصده الصوفية لذاته لزرعة حب التعبير عن خلجات النفس، فلم يقصدوا بها عظيما، ولم يتزلفوا به إلى كبير، وهو لذلك يقوم على دعامة متينة من الإخلاص والصدق..."⁽²⁾

— مصادر اللفظة الشعبية: تنوعت الألفاظ الشعبية في الديوان البلطجي وقسمها الباحث إلى:

اللفظ القرآني :	لفظ السيرة النبوية:	اللفظ الصوفي:
توظيف الباحث ألفاظ من القرآن الكريم من دليل على نشأته الدينية و حفظه القرآن و تعلم مبادئ اللغة العربية في	في الابتهاال و التوسل و المدح للنبي صلي الله عليه و سلم و شيخه عبد القادر الجيلاي استعان الشاعر بلفظ السيرة	شكل اللفظ الصوفي إلى جانب اللفظ الديني و لفظ السيرة النبوية معالم ديوان البلطجي وشد روابط و غذى

(1) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص201.

(2) عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1954، ص 07

التضرع إلى الله عز وجل أو مدح خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم و مدح الأولياء و التوجيه والنصح الاجتماعي مثل قول الباحث على ما استنتجه من الديوان :	النبوية و ما نسج في إطارها من مفردات مترجيا بأسمائها وأماكتها خاصة إذا كانت حادثة أو موقف مرّ على الصحابة و الأنبياء و الأولياء و قيل فيها حكم و أمثال وحكايات بقيت متداولة على الألسن و بين صفحات الكتب يستعين الشاعر بهذه الأحداث بين دفات أشعاره حتى يؤكد صدق الموقف الشعوري الذي وضع في قلب رحاها و يصور المعنى بدقة ويقرب المعنى للمتلقى بأبسط السبل و بأسرع صورة ، كانت هذه التقنية الوسيلة الأمثل لبسط الشاعر لجل أفكاره ولإيصالها للمتلقى إتكاء	محتواه بعبارات و ألفاظ صوفية جرى تداولها بين المتصوفين وبثها بين أبنية أشعاره ليشخص الموقف الذي يحيا فيه و يمنحه دفقة شعورية نابغة من نياط قلب الشاعر الذي هزت كيانه مواقف و أحداث لاذ بها نحو المتصوفة واستقى منه أعمال مادته الأولية التي كان عمادها الحب الإلهي والخمرة الصوفية و العزل ومدح الشيخ عبد القادر الجيلاني قدوة الشاعر وملهمه و في هذا السياق استخرج الباحث أهم مصطلحات المقامات الصوفية التي إلتحمت بنيانها مع الدفقات الوجدانية للشاعر وظف الباحث في هذا المنحى و
---	--	---

ديوانه إستنادا على القرآن الكريم من ألفاظ وضمنها بين طيات ديوانه التي إلتحمت به تكاد تكون من إنشاءه و المتتبع لمساره و والمتشعب بمعالم الدين الحنيف و الحافظ للكتاب الله عزوجل يستنبط الآليات القرآنية التي وظفت هذه المصطلحات وهو الأمر الذي تكفل بمهمته الباحث عندما استخرج الأبيات الشعرية المضمنة لألفاظ من القرآن و أرفق إياها بآية قرآنية تجمل جل ما وظفه الشاعر، و التوكل على الله في تدابير الأمور سيمنح الشاعر القوة و العزم للسير قدما نحو الأمام بعزم و ثبات بيد	على السير الشعبية و المغازي و والقصص الشعبية الإسلامية... و ساق الباحث في هذا المقام قرابة الستة نماذج شعرية مثل قول الباحث استنادا لما ورد في الديوان: محمد المفضل إمامنا العدنان، سيد الأنبياء، صاحب الفرقان، فاتح الجنة، سيد الأبرار كلها ألفاظ وردت في مدح خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، و تعداد سيرته وخصاله التي إنبرى بها لوحده وكان خير الأنبياء والمرسلين، والاقتداء بسيرته العطرة ستمنح الشاعر القوة والعزم وتبث فيه الحكمة و	في كل جزئياته مفردات صوفية كالخمر، المدام، شرب الخمر الصافي، بجوده تشرب كأس الوصال، و قد استحضر الباحث في هذا المقام نماذج شعرية أخرى وقارن بينها و بين أشعار البلطجي ولاحظ أن الشاعر بدوره قد تأثر بأشعار غيره "كأبي مدين التلمساني" وتضمن بعضا من إنتاجاته بين فصول ديوانه الذي عجّ بلغة صوفية عميقة الدلالة ذات إحياء وترميز يثير في ذهن المتلقي العديد من التساؤلات لضرورة فكها لفهم مغزاها "فالأدب الصوفي له لون خاص، فهو أدب الفكرة، هو الأدب
---	--	---

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

أن القرآن الكريم غني المحتوى بقصص و حكايات ومواقف و ألفاظ عميقة الدلالة قريبة المعنى صلاحيتها باقية لكل زمان و مكان ما حي الإنسان فرسولنا الكريم وصف بأنه شاعر و الله عزوجل نفى هذه السمة على نبيه عندما ردّ عن المشركين بقوله ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ⁽¹⁾	العقل الراجح على تنمية رسالة حبيبه ليكون قدوة للناس أجمعين ، و يكشف الشاعر المادح في هذا النوع من الأشعار عن تقصيره في أداء واجباته الدينية و يذكر ذنوبه معددا صفات خير الأنام الخَلْقِيَّة و الخُلُقِيَّة واصفا الشوق لرؤيته و زياردة قبره وغيرها من الأماكن المقدسة.	المحمل بالمعاني الفلسفية ، هو أدب قوم لا يخطون خطوة إلا بوحي من الفكرة الأخلاقية ، و لم يكن الأدب عندهم صناعة إنما كان وسيلة من وسائل التعبير عن أزمات النفوس وخواطر القلوب ⁽²⁾
---	--	--

استخرج الباحث التشكيلات المصطلحية الفصيحة والشعبية المشكلة للديوان

البلطجي واستخرج منها المفردات الفصيحة التي بلغت نسبتها

(الفصيحة 63 %، والقريبة من الفصيحة 24.73 % و الشعبية العامة

12.87 %)، وصب محتوى هذه النسب في دائرة نسبية، وبين الباحث أن

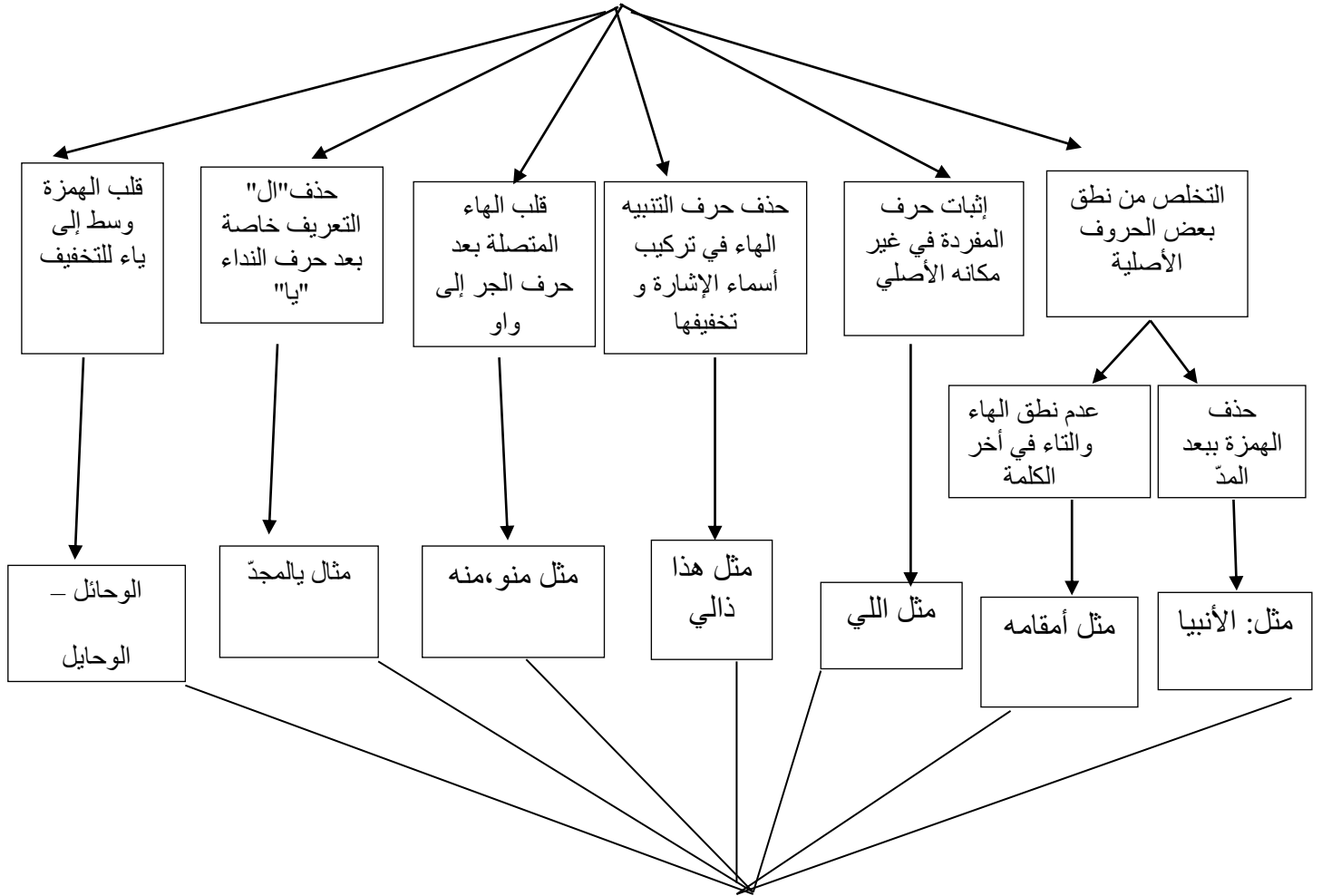
المفردة الشعبية تتسم بالمحلية استمدت ألفاظها من البيئة التي ترعرع فيها المبدع

(1) سورة الحاقة، الآية 41.

(2) زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة، بيروت، ط1، ج1، 1938، ص191.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية – دراسة في نماذج –

وأُتبع ذلك بنموذج شعري من الديوان (يا ملاح ،تخذي حمة ،ماجابه نيف ذا
الفحل، سعدي، من لغة الديوان استخلص الباحث أهم نقاط التقارب والالتقاء
بين المفردة الفصيحة والشعبية.⁽¹⁾



تصبح الكلمة بحسب هذه الرؤية لها أكثر من معنى خاصة إذا ما قورنت بالشعر
وتردي هذا الأخير أوسع معنى وأعمق دلالة "ولابد للكلمات أن تعلو عن
ذاقها، أن تزخر بأكثر مما تعد به، وأن تشير إلى أكثر مما تقول (...) هي رحم
لخصب جديد، ثم أن اللغة ليست كيانا مطلقا، بل عليها أن تخضع لحقيقتها التي
تجهد للتعبير عنها تعبير كلي"⁽²⁾

⁽¹⁾ ينظر : عبد اللطيف حني ،التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ،ص 121 ، 122

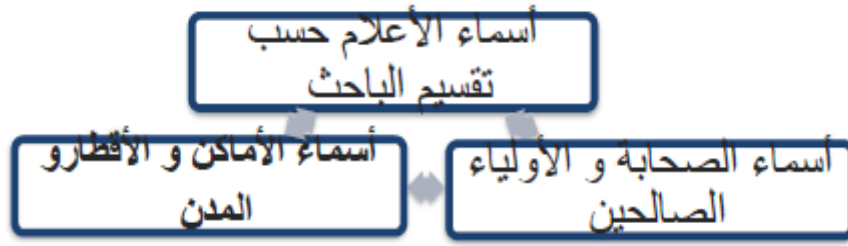
⁽²⁾ علي أحمد سعيد أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1979، ص 127 .

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

لغة الديوان البلطجي لغة قافزة عن نواميس اللغة الشعرية المألوفة كونه جاوز بين اللغة الفصيحة والشعبية واكتسى الديوان بحلة جديدة استطاع أن يسقط فيها جل تجاربه وكل ما يساور تفكيره من رؤى وانشغالات لتلتحم هذه التصورات بلغة شعرية فصيحة وشعبية انطبعت بسمه مميزة، خاصة عندما أضفى عليها الشاعر دفقات شعورية أفصحت عن مدى تمكن الشاعر في التلاعب بالألفاظ في تركيب لبنات ديوانه، ومن خلفيته الثقافية الموسوعية التي اكتسبها طيلة مسار حياته.

- ج) ذكر أسماء الإعلام :

الديوان البلطجي لم يخلو هو الآخر من ذكر أسماء الأعلام، فالأشعار برمتها وإن لم نقل جلّها طفحت أسطرها بتعداد أسماء شخصيات التقى بها الشاعر أو احتك أو تعامل معها ساردا أو صافها وأدوارها بين فصول الديوان، وعندما غاص الباحث بين جنباتها استخراج قسمين لتوظيف الأعلام في الديوان.



ذكر الباحث أن أسماء الصحابة و الأولياء الصالحين قد استنبطها الشاعر من السيرة النبوية و أدرجها في نوعين من القصائد المدح و التوسل لنبي الرحمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام و آله و صحبه أجمعين، و قد ساق الباحث في هذا المقام سبعة نماذج شعرية تصب في ذات السياق، و من ضمن ما استخرجه من نمودجه التطيقي (فاطمة الزهراء البتول، أبو بكر، علي حيدر رقية ابنة الرسول صلي الله عليه و سلم، عثمان ابن عفان، ثم أن الباحث أثنى على الدور الفعال الذي قام به جامع الديوان عبد القادر غلام الله في طريقه تقدمه لديوان وعرضه لبعض المصطلحات الصوفية والتعريف بها، في حين أن الباحث إتكا	أسماء الأماكن و الأقطار المدن قد أخذت هي الأخرى نصيب لا بأس به من الديوان مركزا حديثه عن الأماكن الإسلامية المقدسة (المسجد الأقصى وبيت الله الحرام) و في الغالب الأعم أن هذه الأماكن قد شهدت حكايات وأحداث و صراعات في مسرحها وصارت مثالا يقتدي به لتشخيص الأحداث و الأوضاع و احتواءها ومص غضبها باستحضارها لكسر جذوة الصراعات و تهدئه الأوضاع لهذا فقد استخرج الباحث العديد من الأماكن الإسلامية المقدسة (جبل غرفة والمدنية المنورة، مكان قبر الرسول صلي الله عليه و سلم) كما ذكر الباحث مدينة مستغانم مسقط رأس الشاعر و ملهمه الأول راصدا
--	--

على قصيدة عبد القادر يا بوعلام لعدة اعتبارات كما يقر على ذلك هو كاحتلال القصيدة المرتبة الأولى في فهرس الديوان ثم أن أسماء الأولياء الصالحين مضمنة كلها في هذه القصيدة كذكره لوليه الصالح الشيخ الجيلاني المعروف في منطقة الغرب الجزائري ، كما عدد الباحث عديد الأسماء ذات السياق نفسه ، كذكر سعيد البوزيدي ، سيدي عبد الله ، سيدي أحمد بالحلوش ، سيدي خرشوش ، و بعد تتبع الباحث للقصيدة بالبحث المعمق استخرج منها ستين (60) وليا ، غير أن ذكر الشيخ الجيلاني احتل الريادة وذكر أسماء الأعلام بين طيات أعمال الشاعر لم يكن عفو خاطر إنما كان من وراءه مقصدية غرضها " أن الأسماء التراثية الدينية تمثل نقلا معنويا في ذاكرة الناس ، و تحتل مكانة مرموقة في قلوبهم و تخطي بالتقدير والتعظيم"⁽²⁾	أبرز الأوضاع السائدة آنذاك من جراء الاستعمار و ما خلفه من دمار شامل أتى على الأخضر اليابس ، كما أنه عدد أماكن أخرى مثل: سيدي سعيد ، مزره ، البلاد ، المدارس) " ولم يوظف بلطجي هذه الأماكن على سبيل العشوائية إنما اقتصر على الأماكن والمدن المقدسة التي لها مرجعية دينية في ذاكرة و أذهان الناس ، فالشاعر يعي قيمة هذه الأماكن في تعميق المعنى و تأكيده "⁽¹⁾
---	---

(1) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 227 .

(2) المرجع نفسه ، ، ص 224 .

كانت وجهة الباحث التشكيل الفني في ديوان " الشيخ عبد القادر بلطجي " تركيزاً بالأساس على المعالم الجمالية و الفنية والبلاغية، بالالتكاء على المنهج التحليلي الوصفي والتاريخي الإحصائي كلها أدوات استعان بها الباحث في رحلة بحثه بين دفات الديوان استعان بآلياتها في الكشف عن مكوناتها، والغوص في أعماقها لاستئصال أهم قيمها وفهم دواعيها وبالتالي فقد خلص الباحث إلى مجموعة من النقاط هي ليست بخاتمة بقدر ماهي فاتحة لبداية بحث جديد، يفتح الباب على مصراعيه لإنتشاله من غياهب النسيان واحتضانه بالدراسة الجادة وتنويع معاول البحث في هذا الميدان.

بعد أن لمسنا ندرة كبيرة إن لم تكن معدومة ولوما أن الباحث التقط هذا الديوان منكبا على دراسته في مذكرة تخرجه وحتى في تخريج مقالاته، لتأكلت أوراق الديوان واجتاحها غبار النسيان وبقيت مهملة دهرا من الزمن.

ساق الباحث في هذا المقام أربعة عشرة نقطة تصب جلها في محتوى مضمون إنجاز الباحث، إما أنها تصب في عماد التشكيل الفني و أنها تتحدث عن الديوان كتخريج جديد يلزم تكثيف الجهود لإحتواءه، ليختم منجزه بهذا القول: " وفي الأخير فإننا على يقين أن شعر عبد القادر بلطجي وشخصيته تستحقان دراسات أخرى، لتتمكن من الغوص في أعماق عوالمه الفنية وإبراز ما خفي منها " (1) بالرغم مما قدمه الباحث من دراسات حول الديوان البلطجي ، أنه لا يزال يفتقد لدراسات أخرى توفي بحق هذا المنجز ، وهذه الشخصية الفذة التي دافعت بالنفس والنفيس من أجل أن تخط أبيات ديوانه بلغة شعبية.

(1) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 372 .

ثالثا: رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

كلية: الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار عنابة

قسم: اللغة العربية وآدابها

عنوان الرسالة: توظيف المورث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي

{الجزائر، تونس، المغرب} مقارنة سيميائية.

إعداد الباحث: جلال خشاب

تخصص: تحليل خطاب

سنة المناقشة: 2010/2009م

المشرف على الرسالة: محمد عيلان: أستاذ التعليم العالي بجامعة عنابة.

تم مناقشة اطروحة الدكتوراه للباحث جلال خشاب من قبل اللجنة العلمية المكونة من:

- الرئيس: الطاهر رواينية : أستاذ التعليم العالي بجامعة عنابة.

- المشرف والمقرر: محمد عيلان : أستاذ التعليم العالي بجامعة عنابة.

- الفاحصون: بشير إبرير : أستاذ التعليم العالي بجامعة عنابة.

- حسن خمري : أستاذ التعليم العالي بجامعة قسنطينة.

- رشيد بن مالك : أستاذ التعليم العالي بجامعة تلمسان.

- عبد الحميد بورايو : أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر.

- المدونة:

المدونة الموسومة بـ: "توظيف المورث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي

المغاربي {الجزائر، تونس، المغرب} مقارنة سيميائية" للباحث "جلال خشاب"

هي دراسة حديثة العهد والميلاد، أثار فيها الباحث الحديث عن مواضيع جديدة

مبتكرة وخلاقة، فإذا ما ولجنا إلى عوالم الخطاب الإشهاري وجدنا كم كبير من

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الدراسات التي تعني بهذه المواضيع غير ان المحتوى الذي قدمه باحثا يختلف تماما عن هذه التوجيهات الدراسية، يكمن الاختلاف في أن الباحث مزج بين المورث الشعبي الذي يعتمد بالأساس على الصورة المرئية، بما أننا في عصر السرعة أضحي الاعتماد على الصورة في توصيل فكرة ما أحسن من الشرح والتحليل الذي يأخذ من الفرد الكثير من الوقت والجهد، وأحيانا لا تثمر هذه الملاحظات والاستنتاجات على النتيجة المرجوة.

تبني الباحث لفكرة الإشهار وكيف تلتقطه المخيلة الشعبية وكيف تعبر عنه فكرة جديدة أثار فيها أدوات دراسته، بعد أن لاحظ أن هذه هذا التوجه كان مغيبا على الساحة الشعبية، ارتأى إلى خوض غمار البحث فيه، فصانع المحتوى الإشهاري لجأ في طرح فكرته من منطلق شعبي، غرضه في المقام الأول إشراك جمهور الشعب بجميع شرائحه في تشكيل الإشهار، فحتى وإذا كان الملتقى أميا ستكون الرسالة الموجهة إليه مفهومة كونها بلهجة عامية دراجة كائنة مخياله.

ولوج الباحث لهذا الموضوع بالذات بين أعطافه أمر في غاية الأهمية كونه سلب الضوء على المجتمع الشعبي في كيفية قراءته للصورة الإشهارية، باعتبارها أداة تواصلية تبليغية بالدرجة الأولى، فالصورة أبلغ من ألف كلمة خاصة عند التعمق فيها وفهم الخلفيات التي أسست على إثرها مع الوقوف على تحليل الألوان المدرجة، واكتشاف دلالتها بالإجابة عن أهم الإشكاليات التي تساور تفكير المستهلك، من ضمنها كيف صاغ معد الإشهار لوحته بهذه الشاكلة؟ لماذا اعتمد مثلا على الألوان الحارة ولم يلجأ إلى الألوان الباردة؟ على ماذا تدل؟ وما الغاية المرجوة منها؟ لماذا وظف مؤسس الإشهار اللغة الشعبية لبث فكرته ولم يعتمد على اللغة العربية؟ ولماذا جاء الإعلام بهذا الشكل؟

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية – دراسة في نماذج –

تطرق الباحث في عمله لأخذ نماذج إشهارية مغاربية (الجزائر، تونس، المغرب) لم يقتصر البحث على الجزائر، فحسب بذلك تكون الدراسة محلية متوقعة على محيط واحد تبقى رهينة شعب بعينه، بينما إذا عممت الفكرة وشملت دول مغاربية ستكون دراسة موسعة، تحاكي عقليات جميع الدول المغاربية، لأنها أثارت الحديث عن مواضيع لم يصل الإنسان المغاربي بعد طرق بابها، وبالتالي فحتى وإن وجدت دراسات تثمن الحديث عن الخطاب الاشهاري من منظور أسمى من أن يوضع على رف الدراسة المختصرة والمقتضبة، فهو غزير وعميق يتطلع باهتمام بالغ إلى ما يحيا ويتعايش معه الإنسان الشعبي المغاربي.

عالج الباحث خطابات إشهارية رائجة تناولها بكثرة في تلك الفترة قام بدراساتها من مختلف الزوايا، مركزا بالأساس على مدى حضور المورث الشعبي بين طيات الصور وبين دقات الكلمات الشعبية الملخصة والمختصرة في الصورة تكون بذلك مطابقة لمحتواها ومعبرة عن آمال وأحلام الانسان الشعبي المغاربي.

– مصدر المدونة:

اختار الباحث ستة نماذج تطبيقية للخطابات الاشهارية المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب) قام بدراسة عن طريق قرص مضغوط، فأخذ من كل دولة ومضيتين إشهاريتين الأولى تتحدث عن المنتج الغذائي المتمثل في الكسكس كغذاء أساسي رئيسي تراثي شعبي تحتفي به جميع الدول المغاربية فهو رمز للأصالة، والثانية عن وسائل الاتصال الحديثة وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين ألفين وأربعة (2004) وألفين وتسعة (2009)، ففي الخطاب الاشهاري الجزائري أدرج كنموذج تطبيقي كسكسي "سيم" كمنتوج غذائي محلي وطني وخطاب الاتصال تمثل في "نجمة"

في تونس اختار خطاب كسكس "العولة" كأجود الأنواع الغذائية التونسية خلال تلك الفترة، وخطاب الاتصال في تونيزيانا للاتصالات التونسية.

المغرب وظف خطاب كسكس "داري" أحسن منتج غذائي تقليدي مغربي، وخطاب الاتصال تمثل في إشهار ميدياتيل للاتصالات المغربية.

ركز الباحث في هذه الدراسة على الصيغ الكلامية الموظفة تحت لواء الخطاب الاشعاري، تركيزا على اللهجة المحلية المحكية في هذه البلدان، وكيفية ترويجها للمنتوجات خاصة بالأساس الثقافة الشعبية، وما تحتفي به من مقدرات ومكتنزات شعبية، وكأن صانع الخطاب الإشعاري، قد زواج بين مهمتين أولها الترويج للسلعة، وثانيها التعريف بالثقافة الشعبية المحلية لكل دولة مغربية مستهدفاً بذلك جميع شرائح المجتمع المتعلم منها والأُمّي بغية إشراكهم في تصوير الملامح العامة للخطابات الاشعارية وتطلعات جمهور الشعب، كما أنه خصّ في دراسته هذه الصورة الاشعارية وما تشتمل عليه من ملامح تراثية تحتفي وتروج للموروث الشعبي المغربي المرئي.

—طبيعة المدونة

المدونة الأكاديمية التي بين أيدينا للباحث جلال خشاب، استقى معالم دراسته بالحديث عن نماذج تطبيقية لخطابات اشعارية مغربية، بعد أن قام بتحليلها وتفسيرها وشرحها وفهم أبعادها ومراميها، مصوبا وجهة نظره الثابتة نحو الصورة الاشعارية المرئية وما تكتسي به من أهمية في التعبير عن مبدئي ورؤى الإنسان الشعبي، وكيف ينظر لها صانع الخطاب الاشعاري مع الوقوف على العتبات الحوارية الاشعارية مع الموروث الشعبي.

إذن هذه المدونة لاهي بشر ولا هي بشعر بل مدونة تعتمد في المقام الأول على تحليل الصور المرئية للخطابات الاشعارية، تهتم بتفسير الحركات والأدوار

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

الموكلة على عاتق ممثلي الومضة الإشهارية، وتحليل الألوان الموظفة في الغلاف الاشهاري وعلى الصور المكونة له على الإطار الذي صيغت فيه والمحتوى الذي تروج له، عن الكتابات الشعبية التي صيغت على منواله، في حين تسعى الومضيات الاشهارية أن تنسق بين جل هذه التشكيلات ليرسي معالم أفكاره ويجس نبضات قلب الشارع الشعبي.

إذا ما تحدثنا عن نوع المدونة قديمة هي أم حديثة، فيمكن وضعها في خانة القديمة الجديدة تهتم بدراسة التوجيهين، فالأولى تعتمد على دراسة القديم كأصل ثابت في الإنسان يحتفي به ويبني على أساسه على معالنه (المورث الشعبي)، خصّ بالدرجة الأولى الكسكس كطبق تقليدي شعبي تحتفي به المخيلة الشعبية المغاربية أيما احتفاء، والثانية الدراسة الحديثة التي تعتمد على وسائل اتصال وتواصل حديثة تواكب متطلبات العصر الراهن، فاختر لتيان وجهة نظره خطابات إشهارية اتصالية مغاربية (نجمة، تونيزيا، ميدياتيل).

اعتمد الباحث المزج بين الخلفيتين بغرض إلباس المورث الشعبي حلة جديدة وإعطاءها نفس متجدد ليواكب متطلبات العصر ، بذلك يكون صانع الإشهار وقد وفق في انتشار الموروث من غياهب النسيان وأعاد تحيينه وإحياءه بعد أن كان في طيّ القديم ، تلقفه الباحث وأثار معاول البحث فيه بالدراسة مع الوقوف على مدى حوارية الموروث الشعبي بين طيات الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي.

توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية مدونة قديمة المحتوى (الموروث) جديدة الملبس (تحليل الخطاب الاشهاري)، عمادها المقاربة السيميائية، لتلتحم جميعها وتشكل القاعدة العامة للأطروحة، حيث أن هذه الدراسة قد لاحظنا حضورها وتطبيقاتها في

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

عديد المدونات، إلا أن باحثنا قد أضفى عليها ملامح الموروث الشعبي لبيان مدى الأهمية الكبرى التي يحظى بها في حياة الإنسان، من جهة أخرى حتى يبين أوجه الاختلاف الموجودة بين مدونته وباقي المدونات الأخرى (المغاربية المرئية).

بدأ الباحث جلال خشاب أطروحة الموسومة بـ "توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية" بـ:

- مقدمة:

مهّد فيها لدراسة الإشهار كحجر أساس في بناء فصول بحثه، وعن مدى الأهمية القصوى التي يحظى بها في حياة الفرد والجماعة في بث رسائلها وتوجيهها للمتلقى بطرق إقناعية لسانية وغير لسانية، خاصا بذلك الخطاب الاشهاري المرئي الذي يعتمد في المقام الأول على الصورة كإحدى آليات العلامات التراثية، وبالتالي قد صور العلاقة القائمة بين الخطاب الاشهاري المغاربي والموروث الشعبي مُستتباً خلف أغوارها بأن طرح جملة من التساؤلات إزاء هذه القضية لفهم مغزاها، وتقريب المعنى للمتلقى، مع الاشارة بالدور البارز للموروث الشعبي داخل فضاء الاتصال بالتحديد الاشهار.

هي إذن تساؤلات عديدة حاول الباحث إثارتها والحديث عنها وصولا لتركيبة عنوان بحثه أين بنى الباحث أفق بحثه وفق مسلمة مفادها أن حداثة البحث في المجال الاشهاري في العالم العربي دراسة جديدة بتكثيف معاول البحث فيها وإثارة مكانها بالدراسة والبحث المستفيض في جوانبها، واتكأ في بناء لبنات بحثه على دراسات كل من "سعيد بنكراد سيميائيات الصورة الاشهارية، ودراسة محسن بوعزيزي السميولوجيا الاجتماعية وبعض الدراسات

الواردة في ملتقى فيلادلفيا حول ثقافة الصورة المنعقد في الأردن طبعي أفريل وأكتوبر 2008.⁽¹⁾

باعتبار أن المقدمة هي "إحدى عتبات النص التي تشد انتباهنا، إنها قراءة يمارسها المؤلف على نصه ليوجه القارئ إلى استراتيجيات الاستقبال لديه ويحدد مسار تلقيه"⁽²⁾، فقد بات من الضروري أن يتفنن الباحث في تركيب عباراتها، وكنماذج تطبيقية لهذه الدراسة يساق الباحث ستة (06) خطبات إخبارية ثلاثية تروج للمنتوج الغذائي التقليدي الأصيل في الدول المغاربية (كسكس "سيم" في الجزائر و"العولة" في تونس و"داري" في المغرب)، وثلاثة تخص مجال الاتصال ("نجمة" في الجزائر، "تونيزيانا" في تونس و"ميدياتيل" في المغرب)، وقد تم دراسة هذه الخطابات في إطار صورة ولقطة من منظور سيمولوجي يعني بالأساس بعلاقة الدال بالمدلول، وقد حدد الباحث الفترات التي استقى منها مدونة بحثه بالفترة المحددة ما بين ألفين وأربعة (2004) ألفين وتسعة (2009).

لم يضع الباحث عنوان هذا الفصل تحت مسمى بين اكتفى فحسب بإيراد مبحث نظري في حين كان قادرا بأن يخطه بعنوان: الدعاية* والإشهار ودورهما السيمائي.

وشح الفصل بالحديث عن الدعاية وعن بواورها الأولى إذ تتبع الباحث مراحل تطور مصطلح الدعاية ووقف عند كل محطة من محطات رحلتها إنطلق أول الأمر من القرن الخامس عشر أين تم ربطه بالجانب الديني في الدعوة إلى نشر

⁽¹⁾ ينظر: جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشعاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقاربة سيميائية، رسالة دكتوراه، جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، إشراف محمد عيلان، السنة الجامعية 2009، 2010، ص ب.

⁽²⁾ نعيمة سعدية، التحليل السيميائي والخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2016، ص 43.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

المسيحية أين رسخت حضوره الطباعة بنشر المنشورات والملصقات، تلهها القرن السابع عشر مع ظهور النشاط الصحافي الذي أعلن عن قيمة الدعاية ووضعها ضمن أولويات العمل السياسي، ليرتحل إلى بداية القرن الثامن عشر أين تنوعت الدعاية، فلم تبقى قاصرة على نشر المسيحية، بل اجتاحت عوالم الأدب والفلسفة وأدرجت ضمن إبداعاتهم، الثورة الفرنسية كانت منعطف للسلطة الحاكمة التي أعادت إحياء وتحيين الخطاب الدعائي وبشه عبر مختلف الجرائد والمجالات، لكن مع بداية القرن العشرين أخذ المصطلح يأخذ أبعاداً أوسع مداراً خاصة بعد الحرب العالمية الأولى هذه النقطة بالذات، وسمت الدعاية بإجراءات عملية محكمة.

مصطلح الدعاية والتطورات الحاصلة بشأنه خلال انتقاله أمر طبيعي فهذا يعود بالأساس إلى التطور الحاصل في المجتمع، الأمر الذي يتطلب بالمقابل توفير وسائل إعلامية حديثة تكنولوجيا بغية ضمان سرعة الاتصال وبالتالي زيادة التأثير في المتلقي.

*-الإشهار:

بوابة أخرى ولج بنا الباحث في غمارها، تحدث فيها أول الأمر عن الإشهار ومكانته، وعن كيفية تطور هذا المصطلح وعن أصوله الأولى حيث وقف عند ملفوظ *publicite* في التعبير اللاتيني *publicus* وما يقابلها من المنجز العربي من ملفوظ إعلان، ضمن القرآن الكريم هذه الكلمة في أكثر من موضع لقوله عز وجل ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁽¹⁾

⁽¹⁾سورة التغابن، الآية 04.

تتبع الباحث المسار التاريخي للإشهار وتحدث عن بواكيره الأولى بداية من الدول الغربية من القرن 15 ميلادي إلى القرن الثامن عشر في فرنسا وإنجلترا والمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

لم يتحدث الباحث عن الإشهار وعن بواكيره الأولى عند الإغريق وكيف كان يستخدم في الترويج للسلعة عن طريق المناداة وبتعليق اللافتات، أما في روما ومصر يستأجرون منادين يجوبون الشوارع معلنين عن وصول سفنهم، أما في بابل فقد كانوا يستأجرون الناعقين للإشهار والإشادة بجودة بضاعتهم للمارة مستخدمين "رموز تشبه العلامات والماركات التجارية علقوها فوق محلاتهم لتمييز نوع تجارتهم، أما اليونان القديمة فقد قام المنادون ببيع العبيد والمواشي وإذاعة البلاغات والتنبيهات العامة وكانت بعض الإشهارات تأخذ صور غنائية (1).

عرفت الدول العربية البواكير الأولى للإشهار من خلال الإبداعات الشعرية، باعتبار أن الشاعر مرهف الحسّ عبر عن عواطفه وعواطف قبيلته، فقد دعا لها من خلال أشعاره في الأسواق كسوق عكاظ، كانت بداياته شفاهية مسموعة، ومع توالي الأحداث وتواترها وبدخول عالم التكنولوجيا والتطور الحاصل في ميدان العلم والمعرفة عرف الإشهار تطورات جمة، سواء على مستوى الشكل أو المبنى الخارجي أو على مستوى المحتوى.

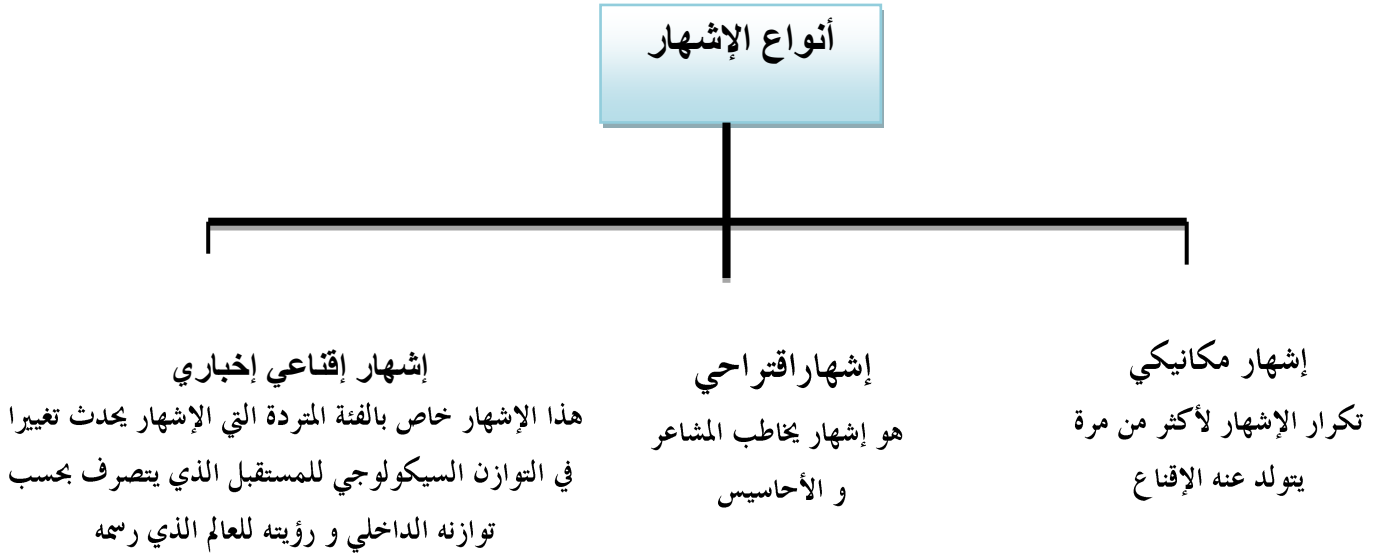
أدرج الإشهار في شتى مناحي الحياة وأصبح أداة فعالة للترويج لسلع عبر الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، التي وفرت الوقت وقلصت الجهد للبائع والشاري معا سواء كانت مرئية أو مسموعة أو الاثنين معا، وأصبح الإشهار أكثر قدرة على تصوير إنشغالات الفرد وملامستها: "يمثل حالة من

(1) محمد الوفائي، الإعلان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د ت، ص 19.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —

حالة من حالات التواصل الاجتماعي، يصبح فيها الفرد تجسيد الدور اجتماعي لا يمكن فهمه إلا من خلال النموذج الثقافي العام".⁽¹⁾

ذكر الباحث أن للإشهار أنواع فقدمها باختصار لكنه نحوي زبدة ومحتوى هذه الأنواع:⁽²⁾



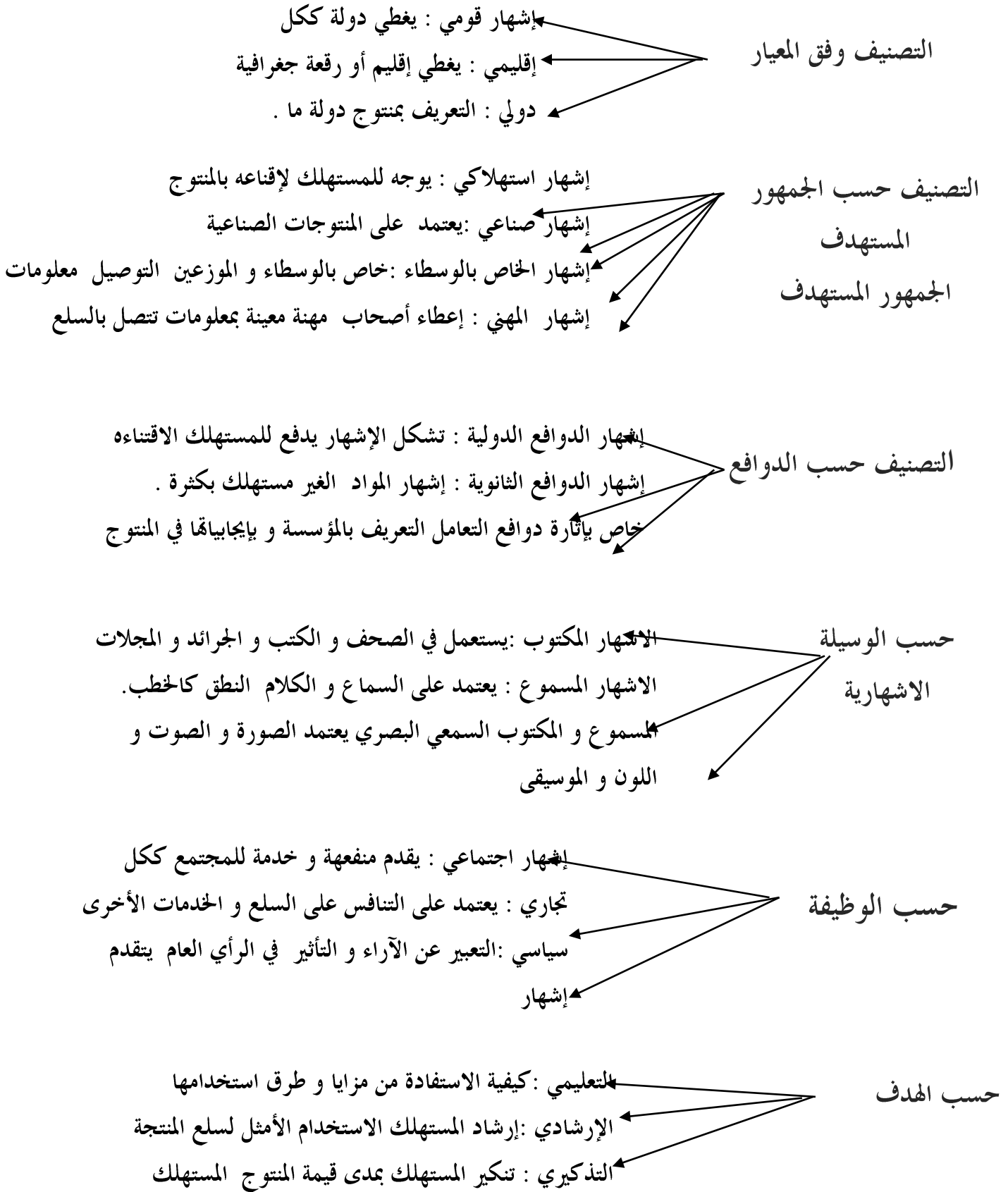
ينظر العديد من الباحثين تقسيمهم لأنواع الإشهار إلى مدى فعالية هذه الأنواع في مخيال المستهلك وعلى أي الجوانب ثم التركيز فيها، وهل هذا التقسيم هائي أم أن هناك تقسيمات أخرى؟ لماذا فضل الباحثين ذكر هذه الأنواع بالتفصيل والشرح، في حين أن الأمر لاستدعي كل هذا الشرح في معالجتها ما يسبب الغموض والضيبة لدى المستهلك.

الشكل التالي : يوضح أنواع الإشهار :

⁽¹⁾ محمد السيد الدسوقي، الصور الاشهارية، دراسة بلاغة الخطاب البصري للجسد الأنثوي في الشعر العربي القديم، دار المنظومة، مجلة الدراسات الشرقية، مصر، ع 45، 2010، ص 57.

⁽²⁾ ينظر، جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 21-22.

الفصل الثاني: موضوعات النص الشعبي في الدراسات الأكاديمية — دراسة في نماذج —



كل هذه التقسيمات الرئيسية وما تولد عنها من تصنيفات فرعية أجملها الباحث في ثلاثة أنواع ويرى بأنها الأجدر يتبناها في البحث، بدل الإطالة التي تقحم القارئ في الدخول في متاهات لا يقوى على الخروج منها.

وبما أن الاشهار يهدف بالدرجة الأولى للترويج للمنتوج وتنشيط الخدمة وتخفيفه لزيادة الإقبال عليها، والدخول بين أعطاف هذه الأنواع، يقتضي التزول للواقع ورصد انشغالات المستهلك وصياغة ومضات إشهارية تحاكي هذه التطلعات، "بعمل الخطاب إشهاري على خلق قلمل لدى المستهلك، فتؤثر على توازنه البسيكولوجي من خلال إتيانه دوما بالجديد." (1)

مما لا شك فيه أن أي عمل يحتاج إلى نموذج أولي يمهد فيه لمشروع بحث معين يضع الأسباب والعلل ويرسم الخطط، ويؤصل أرائه بمقاس هذه المنطلقات، يتدرج إلى غاية الوصول نحو الهدف وما يرافقها من آليات تستميل المستهلك وتقنعه باقتناء المنتوج بل وتؤكد على فكرة " أن الإشهار يمثل حالة من حالات التواصل الاجتماعي، فيها الفرد تجسيد الدور اجتماعي، لا يمكن فهمه إلا من خلال النموذج الثقافي العام." (2)

وبالتالي فقد ذكر الباحث أنه الإقناع كآلية قد خضعت لمعايير وضع إياه الباحث تحت مسمى:

تقنيات الإقناع المشترك:

ما الذي دعا الباحث إلى توظيف هذه الخاصية بين أعطاف بحثه؟ ما مقاصد التي ترمي إليها عبارة الإقناع المشترك؟ وهل للإشهار تقنيات؟ أفصح الباحث من الوهلة

(1) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 22.

(2) محمد السيد الدسوقي، الصورة الإشهارية، ص 53.

الأولى عن العلاقة القائمة بين الدعاية والإشهار في محتواها التواصلية المجسد في الاستمالة والإقناع وصورها من منظور بصري طبي، كذلك تم تصورهما من الجانبين اللساني والسيمولوجي ذو المنطلقات اللسانية يقوموا بالأساس على الوظيفة التعبيرية والإقناعية التنبيهية.

بعد تقعيد الباحث وتغيره في هذه القضية خرج بفكرة مفادها أن كلا من: "الدعاية والإشهار ينهلان من القضاء الثقافي والفكري والاجتماعي للفرد، فيعتمد منجز الخطاب إلى استحضار علامات حضارية لها الأثر البعيد في إثارة المتلقي"⁽¹⁾ الدعاية والإشهار حسب منظور الباحث يرسيا دعائهما من تفاعلتهما الثقافي والفكري والاجتماعي للفرد داخل منظومة مجتمعه، فيحرص صانع الخطاب للبحث عن علامات حضارية لها تأثير عميق في المتلقي خاصة إذا كان محتواها تاريخي سيلزم، استحضارها كضرورة حتمية تقتضيها طبيعة الموضوع وتواكب تطلعات المستهلك.

رصد الباحث أهم الفروقات الموجودة على الدعاية la propagande والإشهار la publicite وعدد خصائص كلاهما، من حيث المتوج و التواصل والأهداف والآثار في محاولة منه لضبط هذه التقسيمات والإشادة بمحتواها، لكنه في نهاية المطاف أقر بأن هذه التقسيمات كانت شكلية "فالدعاية والإشهار تحتاج الأعداد المسبق مع الاهتمام بأمر المخاطب و اعتماد الوسائل المتشابهة في التواصل والإقناع من صوت و صورة و مؤشرات مختلفة لأجل التوصل إلى الغاية"⁽²⁾

للدعاية والاشهار اهتمامات مشتركة وجب الالتزام بها لضمان سير الرسالة التواصلية بنجاح، أولها إيلاء الاهتمام بأمر المخاطب عند انجاز الومضات الاشهارية

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة

سيمائية، ص 24.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 25

بمعنى أن يكون على دراية كافية بعقلية جميع أفرادها، ثم يولي الاهتمام بالوسائل المتشابهة في التواصل والإقناع كضبط الصوت و الصورة ، لتكون واضحة للمتلقى من أجل ضمان سيرورة و فعالية الإشهار ومنها نجاح الغاية.

— تجليات الموروث في الخطاب الاشهاري:

أثار الباحث الحديث عن قضية ذات الأهمية بما كان تكمن في كيفية حضور الموروث الشعبي بين لبنات الخطاب الاشهاري، هو جانب قلما نجد من الباحثين من خاض معاول البحث فيه رغم أنه موضوع يقال فيه الكثير ولأن "مشاهدة الإشهار هو مشاهدة ملمح من ملامح المجتمع ،انعكاسا لبعض صورة الاجتماعية والثقافية والفكرية وحتى الإيديولوجية " (1)

الإشهار يرسم صورة حية لما يحيا في نطقة المجتمع يرصد جل المظاهر الاجتماعية والثقافية والفكرية وحتى الإيديولوجية، والاهتداء إلى تقنية الإشهار لغاية إبلاغية تواصلية هدفها الأول استمالة المستهلك وتحريك عواطفه لاقتناء المنتج.

المشاهد الاشهارية البصرية هي عبارة عن إسقاطات لما يتعايش معه الإنسان داخل المجتمع وما يتمتع من خصائص، يعمل في الآن ذاته على ربط المشاهد بمحيطه الذي يحمل بين أعطافه أبعاد دلالية همة، كيف لا وهو "الخصيلة الشعبية المتبقية من الممارسات الشعبية لأبناء المنطقة كلها عبر التاريخ، كما أننا نقصد بها الخصيلة المتبقية من العطاءات الشعبية لأبناء المنطقة" (2)

أتم الباحث الحديث عن هذه الخاصية وافتتح بذلك باب آخر، دخل بنا إلى رحاب الخطاب الاشهاري الجزائري ،مهد فيه أول الأمر لبدايات الخطاب الاشهاري

(1) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص66.

(2) فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، دار الشروق، ط1، 1992، ص23.

في الجزائر ذو الطابع الاشتراكي، جاءت عناوين الخطابات جلّها تندد بهذا النظام الذي مثل منعطف هام في تاريخ الجزائر.

عمل النظام على الترويج له عبر الإعلام من برامج تحسيسية، وذكر الباحث نماذج من الخطابات الغنائية التي قيلت في هذا المقام بفضل احتوائها على آليات موسيقية، فالإنسان بفطرته ميال لكل ما طرب له أذنه، وبطبيعة الحال ستكون هذه المنهجية أحسن طريقة للاستحواذ على فكر الشعب والتأثير فيه إذ "لعبت الموسيقى دور المكمل للخطاب الشفوي الغنائي"⁽¹⁾ هذا ما "يجعل الصورة البلاغية قوة مدمرة أو سلاحا فتاكا، تتحدد مهمته الأولى في جعل التواصل الاشهاري أكثر قدرة على الإقناع، وهو ما يبرر استعانة الوصلات الاشهارية بالغناء والرقص"⁽²⁾

الخطاب الأول: إتصالات نجمة:

عرض الباحث في جدول مقسم إلى أربعة خانات، الخانة الأولى وضع فيها الرقم والثانية اللقطة والثالثة الحدث والتحول والرابعة الصوت، عرض من خلال صورة الخطاب الاشهاري نجمة تتبع إياه لحظة بلحظة، وجسد ملامح هذا الخطاب بالنجم زين الدين زيدان لاعب كرة القدم جزائري الأصيل، أشهر من نار علم خاصة في تخصصه الرياضي لكرة القدم، امتد الاستشهاد بالصور وما يقابلها بالشرح والتحليل لكيفية وروده بهذا الشكل من الصفحة 75 إلى الصفحة 79.

أدرج الباحث في الجدول لقطات متسلسلة لخطاب إشهاري مثلته وسيلة الاتصال نجمة، هذه التسمية تحمل بين أعطافها العديد من المعاني والدلالات، فنجمة

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 71.

⁽²⁾ سعيد بنكراد، سيميائيات الصورة الاشهارية — الإشهار والتمثيلات الثقافية —، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006، ص 16.

هو اسم شعبي تراثي بامتياز، نلاحظ أن أغلب النسوة قديما يسمون به بناتهم، ليس من محض الصدفة أدرجه مؤسس الخطاب ربما كانت تسمية لجدته أو أمه أو محبوبته أو امرأة عزيزة على قلبه ، وربما تعمد اختيار هذا الاسم كدليل للعلو والرفعة ومنها النجومية، أو وظفه لذكر المستهلك بأصله وارتباطه الشعبي "عايشها الفاعل بكل جوارحه مدركا في نهاية المشوار عظمة تاريخ البلد، و مورثوه فاستحالت العلاقة من حال انفصال إلى حال اتصال اعتمادا على المساعد نجمة"⁽¹⁾

زين الدين زيدان نجم كرة القدم هو من جسد معالم هذا الخطاب الصوت ، والصورة رافقته الحركة وقرب الصورة وبعدها الحركة الإيمائية المرسومة على محيا زيدان، طريقته وقوفه، زوايا نظره ، إنكماشه واسترخاءه في اللقطات المجسدة كلها لها دلالة و إيجاء، ومقصد يريد صانع المحتوى بثه في خطاب نجمة و الإشادة به للمستهلك حتى يقتني المنتج .

لابد هنا أن ننوه إلى أن التسمية عند إلحاقها بالنجم زيدان ستكون مطابقة لها تماما من حيث الهدف، وصانع الخطاب أراد الوصول إلى النجومية وتحقيق أكبر نسبة مبيعات وعند إلحاقه بنجومية زيدان ستلحق عاليا(نجمة في السماء ضاوية)، في ظل بحث زيدان عن الذات الجزائرية وما تتمتع بها من خصائص، وبسبب افتقاره للرجعة في المعرفة ما دفعه للتعامل نجمة حتى يكتشف أصوله وذاته الجزائرية من خلال الخطاب الاشهاري نجمة، وإذا ما تم تحديد الإطار العام على رسم الآفاق في بعديها المكاني و الزماني، وبالتالي عندما تظهر صورة زيدان بشكل جلي للمشاهد، وتتضح لديه الرؤية ويستخرج عديد المدلولات في علاقتها بالدال.

⁽¹⁾جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية ، ص 80.

شخصية زيدان تحمل عديد الدلالات إذا قورنت بالخطاب الاشهاري فإنها تحيل إلى مجموعة معاني خاصة بالشخصية كفرد ينتمي أصولياً إلى الجزائر وكفرد له خصوصية مميزة عالمياً (كرة القدم).

درس الباحث مستوى (دلالة) شخصية زيدان في مخطط لثلاثة مستويات: ⁽¹⁾

- م1: الدال ← شخص ← المدلول ← زيدان
م2: الدال ← زيدان ← المدلول ← بطل رياضي
م3: الدال ← زيدان ← المدلول 1 ← بطل رياضي م2: صاحب نشاط خيري ← م3: ذو أصول جزائرية.

الدال الواحد قد يحيل إلى مدلول أو قد يتعداها إلى عديد المدلولات هذه الأخيرة تتحدد بحسب مسارها داخل الخطاب الاشهاري، كدراسة الشخصيات المحركة في الخطاب مع الإحالة إلى مدلولاتها في النظام السردي المرئي، كالعلامة واللقطة كعلامة بصرية، وبالتالي فإن "الصورة الإعلامية أو الإخبارية المستعملة لإثارة المتلقي ذهنياً ووجدانياً والتأثير حسياً وحركياً، لاقتناء منتج ما، ذلك أن كل إشهار حسب رولان بارت — رسالة تترك أثراً حاسماً اجتماعياً ونفسياً" ⁽²⁾

ذكر الباحث أن خطاب نجمة مكون من: أربعة وثلاثين لقطة موزعة بين الكبيرة والمتوسطة والعامة، إذ تشكل من لقطات مؤلفة من مجموعة من الصور تعمل على إبراز الجانب التلقيني للخطاب الاشهاري، والمتمثل في البعدين الزماني والمكاني ⁽³⁾

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 82.

⁽²⁾ مريم الشنقيطي، الخطاب الاشهاري في النص الأدبي — دراسة تداولية —، دار الفیصل الثقافية، الرياض، دط، 2018، ص 93.

⁽³⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 85.

عدد الباحث مجموع اللقطات الواردة في خطاب نجمة والتي تنوعت بين المتوسطة والقصيرة، سيطرت على البناء العام للخطاب الاشهاري جسدها صورة نسوة تحت خيمة في الصحراء، اللقطة 09، ثم اللقطات الكبيرة بحيث تصبح الصورة العلامة الضامنة لفعل التعريف والإقناع في نهاية الخطاب.

إشارات توحى بخصوصية السرد المرئي نتيجة خضوعه لمقاييس حديثة مخالفة لما يعرف بالسرد التقليدي؛ إذ أن "الخطاب السردى يقوم على مجموعة من الفاعلين، أساسيين و ثانويين علماً أن هذه العناصر ليست بالضرورة بشرية كما هو في خطاب نجمة اشتركت مجموعة من الفواعل الأخرى في بناء البرامج السردى وضبط مساره مثل: الصورة، الألوان والموسيقى وأشكال تعبيرية مختلفة." (1)

الخطاب السردى يعمل على بناء قوامه وفق مجموعة من المتفاعلات الأساسية كانت أم ثانوية، وغير ملزمة بأن تكون بشرية، بل قد تتضافر في صياغة المسار السردى تشكيلات أخرى كالصورة والألوان والموسيقى...؛ كلها مرتكزات تحدد مسار الخطاب الاشهاري وتفصح عن محتواه "وعلى هذا الأساس فغاية أي تحليل هي مطاردة المعنى وترويضه ورده إلى العناصر التي أنتجته." (2)

وظف الباحث سيميائية الفضاء البصري حيث تم التركيز في هذه الجزئية على الإطار واللقطة التي تحدد المبنى العام للخطاب الاشهاري، ومنه تحدد الفضاء الزمنى المسقطة على صورة زيدان داخل الملعب، نتجة اعتماد "المشهد على علامات ومؤشرات ضوئية ولونية تمكن المشاهد من استخلاص الأبعاد الزمنية والمتمثلة في الليل والنهار... وفضاء مكاني للخطاب الاشهاري عبارة عن نطاق الأحداث المشكلة

(1) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 87.

(2) سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2001، ص 10.

للمسار السردى يأتي متقطعا على عوامل مختلفة نتيجة الفعل الانتقائي لكن التواصل يظل ممتدا من خلال بناء جديد⁽¹⁾

يبني الفضاء البصري على منطلقين الأول زمني يتكأ فيه صانع المحتوى الاشهادي على مرتكزات متمثلة في الضوء واللون الأبعاد الزمنية (الليل و النهار) والثانية مكانية يجسد مكان الأحداث المشكلة للمسار السردى، ومن ثمة فالأفضل أن ترى مرة وأن تسمع مائة مرة.

اكتملت صورة الاشهار بشكل عام وقدم في ختامها ملخص عام لها كتب باللغة الفرنسية *Algérie le voyage du cœur* ، الجزائر رحلة نحو القلب، رحلة قصيرة لكنها مثمرة ومكحلة بالنجاح، لانها صورت عديد المشاهد وجابت كل مناطق الوطن، غير ان جميع هذه المراحل لا تتحقق الا بتوافر شريحة اتصال سريعة وفعالة هذا ما اراد صاحب الاشهار تجسيده ويمكن ان يقرأ هذا الاشهار عبر مراحل:

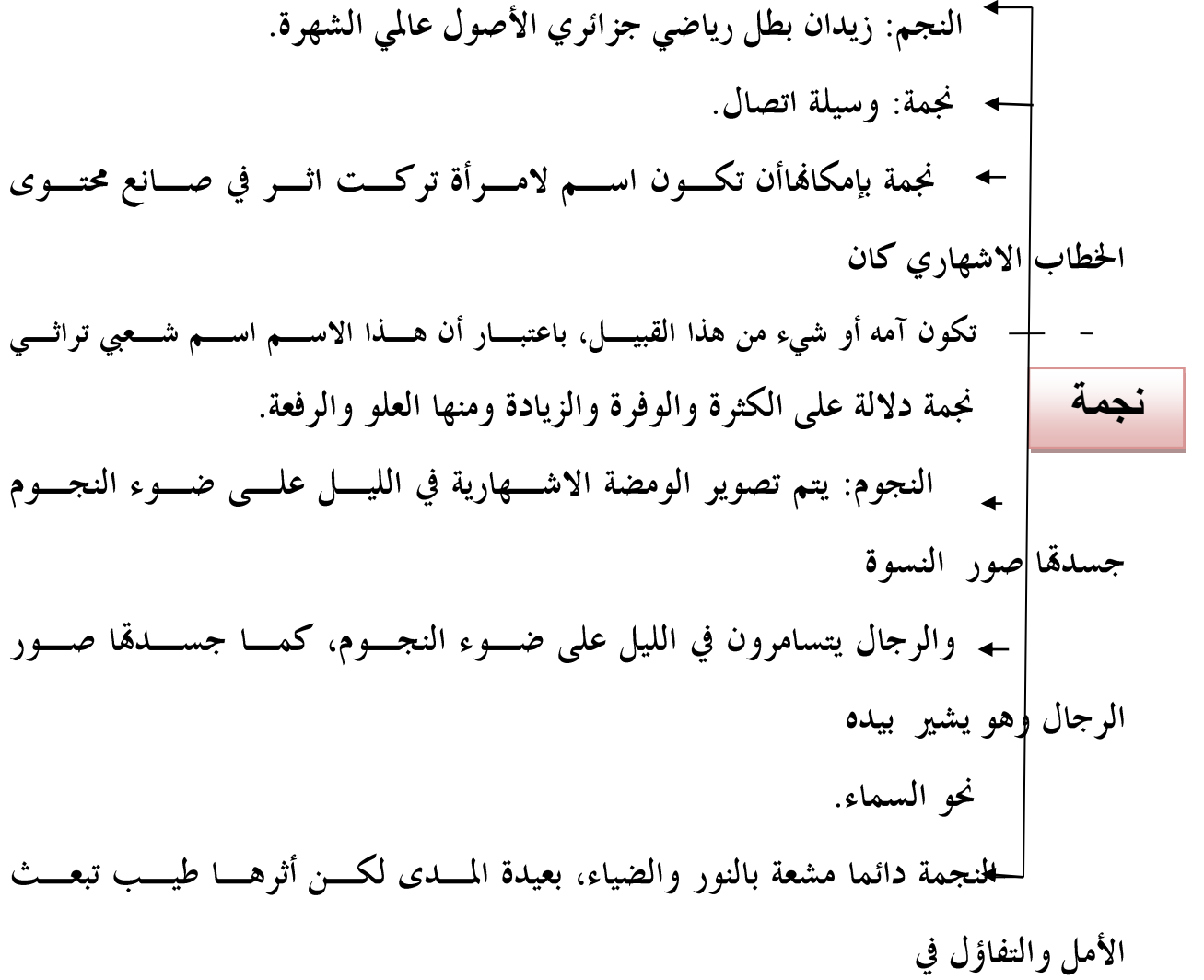
1- التعريف بوسيلة الاتصال نجمة.

2- الإشادة بمناطق الجزائرية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها نحو غربها.

3- التعريف بالموروث الشعبي الجزائري الذي تجلى في اللباس، أدوات الطبخ، الخيمة..).

كلمة نجمة كذلك تحيل إلى عديد من المعاني:

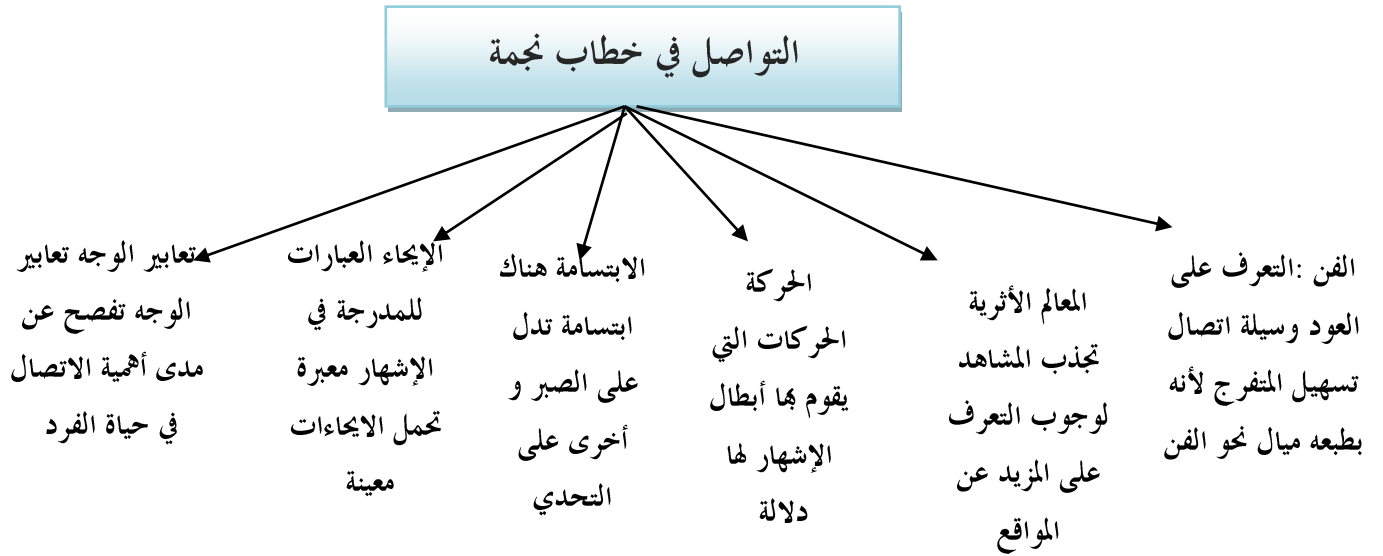
⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهادي المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 87.



النفوس، سواد الليل زادها رونق وجاذبية (نجمة في السماء ضاوية).

تجلت مظاهر التواصل في العديد من المواقع:

الشكل الموالي يوضح التواصل في خطاب نجمة :



" النجمة من خلال كل سياقاتها دالة على السمو والعزة والرقى والعنف والجمال والانبهار، ولا تتعامل معها كل الخطابات (وكل الثقافات) الا باعتبارها بؤرة لتنظيم القيم التي تحيل الى الرفعة والهدف البعيد، والمنشود المستحيل المتع، والضوء الهادئ البعيد، فبالنجمة نمتدي، وبالنجمة نعبّر عن الغالي من الاماني" ⁽¹⁾

بنفس الشاكلة وبذات التفصيل سار الباحث في تحليل خطاب اشهاري جزائري آخر خاص بالمنتوج الغذائي وسم عنوانه بالبنط العريض ب:

—الخطاب الثاني: كسكس سيم

افتتح هذا الفصل بايراد مجموعة من الصور بعدها بدأ الباحث في تحليلها ب:

سيمائية العلامة البصرية:

وصف الباحث أول الأمر محتوى الصور الواردة في الاشهار الخاص بكسكس سيم ووقف عند كل لقطة بالدراسة والتحليل، غير أن يهمننا في هذا المقام كيف قام

⁽¹⁾ سعيد بنكراد، سيميائيات الصورة الاشهارية الاشهار والتمثيلات الثقافية، ص157.

الباحث بدراسة الخطاب الاشهاري "سيم" من منظور تراثي فخلص إلى إيراد فكرة مفادها "أن الخطاب الاشهاري يستند إلى الأبعاد التراثية قصد الاقناع وتحقيق فعل الشراء، فإن حقيقة العلامة ورسالتها، ترفض ذلك كونها تمثل مشروعاً هاماً تتجسد داخله العديد من الرؤى والمواقف"⁽¹⁾

يُبين الباحث بأن منجز الخطاب الاشهاري إتكأ في بث رسالته على مضمون شعبي تراثي محلي بغية استمالة المتلقي الذي يحتفي بمقدرات شعبه ويوليها الاهتمام البالغ، ولترسيخ منجز الإشهار لرسالته كان لزاماً عليه أن يفتعل هذه الطريقة لبلوغ هدفه، وتحقيق قدرة شرائية عالية لمنتوجه، بأن خط "لغته البصرية بتوليد مجمل الدلالات داخل الصورة هي لغة بالغة التركيب والتنوع؛ فالصورة تستند من أجل إنتاج معانيها إلى المعطيات التي يوفرها التمثيل الإيقوني، كإنتاج بصري لموجودات طبيعية تامة (وجوه، اجسام، حيوانات) كما تستند إلى العلامة التشكيلية."⁽²⁾

تجلى منتوج أكلة الكسكسي في الصورة التفاف العائلة حول هذا الطبق الشعبي الأصيل، فقد جاءت النقطة عامة قصد "إبراز الفضاء العمراني ذي الأبعاد التراثية من شساعة البهو المميز لفن المعماري التركي، فضلاً عن حضور الأعمدة التي تعلو الأقواس، وزخارف الجدران فهي علامات عمرانية أحالت على أبعاد تاريخية تجلت في الحضور العثماني بجميع إبعاده طالما أن العلامة ممثلة متجذر من الذات الإنسانية."⁽³⁾

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 121.

⁽²⁾ محمد السيد الدسوقي، الصورة الاشهارية، ص 64، 65.

⁽³⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 122.

رأى صانع المحتوى الاشهاري أن توظيف طبق الكسكسي كأكلة شعبية جزائرية توضع على رأس قائمة الأكلات التقليدية، وصف مظاهر الجمعة ولمة العائلية، ولتكمّل الصورة قام بانتقاء المكان المناسب لأجواء هذا الطبق كاختيار بهو واسع ذو فن معماري تركي مميز.. يعكس ملامح تاريخية عثمانية.

بث صانع المحتوى في خطابه هذه المعالم بغية إيضاح "حقيقة التواصل مع فضاء البيت ذي الأرائك التراثية المستوجبة للباس تراثي يتحقق من خلاله الانسجام، كما يبرز ذوقاً فنياً يتمثل في تناسق ألوانه مع الفضاء العام وكشفه في الوقت نفسه، عن الإبداع الذي تميزت به منطقة تلمسان عبر التاريخ⁽¹⁾

اختيار منجز الإشهار الفضاء الذي سيتم التمثيل فيه هو البيت، وقام بتنسيق الأرائك مع اللباس التراثيين، هذا التوافق في الألوان كما في المادة المستخدمة سيجلب الانتباه مما سيدفع الشاري إلى اقتناء المنتج، وبالتالي فهو بمثابة علامة ناقلة لعدد من التصورات والرؤى التي ابتغاه مصمموه أصبحت العلامة الغذائية العلامة الأساسية مقارنة بالعلامات الغذائية الأخرى المصاحبة، مما يوحي بأن هناك علامات غذائية ثانوية تقدم مع الطبق الأساس⁽²⁾.

منتوج كسكسي " سيم " احتل الصدارة وكان الغذاء البارز على مائدة الإفطار، فالمنتوج أو الماركة تتميز شأنها بالكلام بطريقتها في المفصلة وفي التفكير، وبعبارة أخرى، أنها تشتمل على ثوابت تعبيرية وأخرى مضمونة تحفظ لها هويتها.

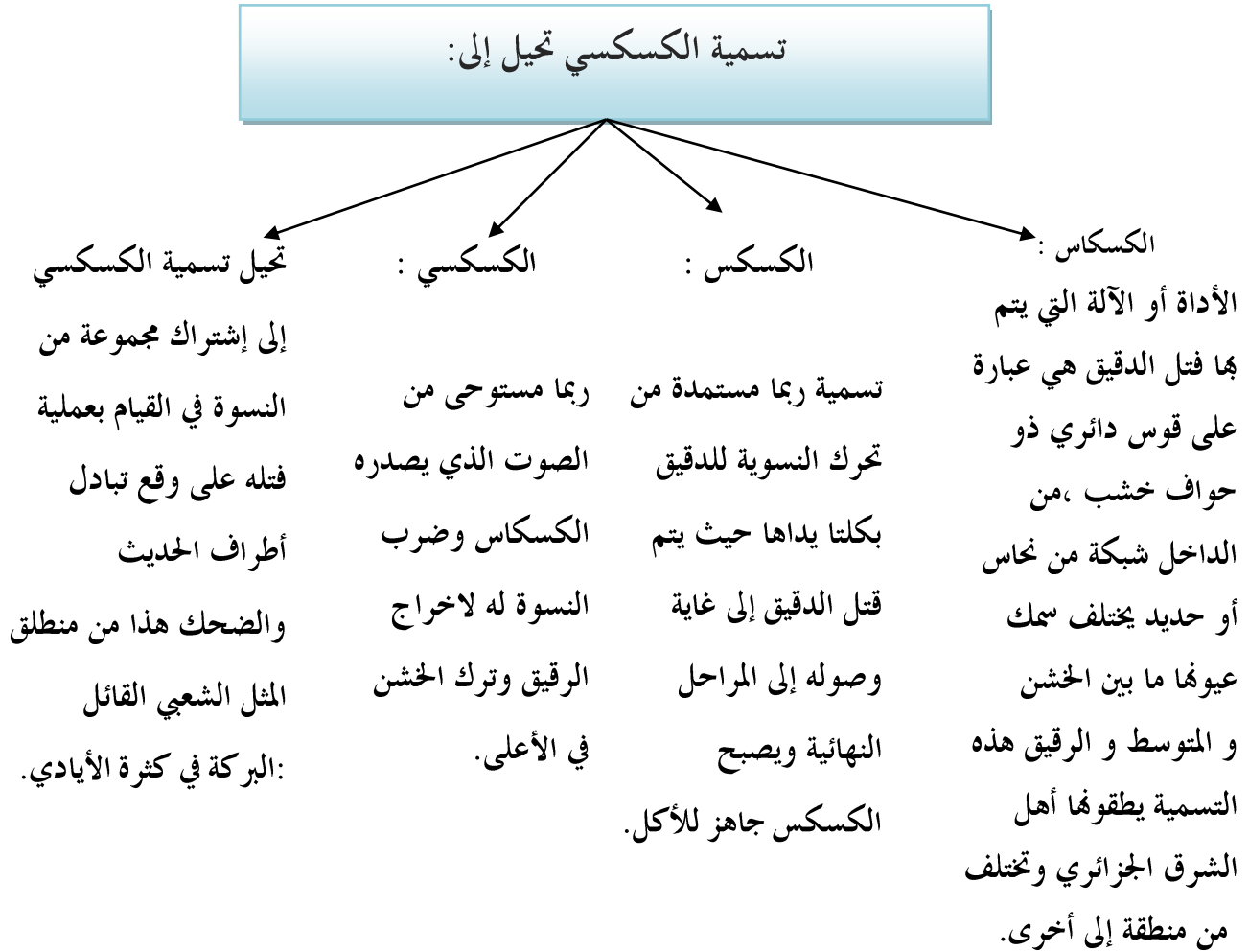
أدرج الباحث مجموعة من الصور الخاصة بالمنتوج الغذائي ككسكسي سيم، تتبع اللقطات المركبة لها بوحدة، غير أنه لم يعرب عن كثير الملامح التراثية ودراسة

⁽¹⁾جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص127.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص129.

أبعادها ومراميها، وأشار إليها فقط مجرد إشارة في حين هناك كلام كثير تقوله الصورة، وتنتظر من يكشف عن محتواه، في حين ان التسمية الخاصة بالمنتوج في حد ذاته تحيل الى عديد المعاني، لماذا صانع الاشهار لم يطلق على المنتوج اسما تراثيا شعبيا معروفا؟ لماذا سمي ب"سيم"؟ بكسكسي؟ ما مصدر هذه التسمية؟

أولا قبل كل شيء هي كلمة مأخوذة من المصدر كسكسي تترجم هذه الكلمة الى عدة معاني:



تسمية (كسكسي) يمكن ان يستخرج منها العديد من الدلالات كلها تحيل الى طبق شعبي تقليدي تخفي به الجزائر، وتضعه ضمن أهم وابرز الأكلات، تمثل تراث شعبي عريق، يتم اعداده وفق مراحل وكل مرحلة لديها كسكاس خاص بها.

أول الامر تأخذ قصعة يوضع فيها الدقيق من القمح اللين يرش بالماء مضاف اليه الملح، يتم تحريكه وفتله باليدين هذه الطريقة يقال لها باللهجة ام الطبول الشرقية (تلوي) وبعدها تأخذ الكسكاس هذا النوع يدعى "بالسيار" ذو عيون خشنة حيث يبدأ الدقيق في أخذ شكل حبيبات متحورة خشنة، بعدها يؤخذ كسكاس آخر يدعى بالثنائي سمي كذلك لأنه يقسم حبات الكسكسي إلى أخرى أقل حجما من الأولى وبعدها يأخذ كسكاس آخر يدعى "بالسقاط" يسقط حبات الكسكس الصغيرة في الأسفل والكبيرة تبقى في الأعلى.

بعد هذه المرحلة يتم أخذ نوع آخر من الكسكاس يسمى الغربال يغربل الكسكسي الرقيق على حدا والخشن على حدا، بعد الانتهاء من هذه المراحل كلها يتم اخذ الكسكسي المفتول كله ويقمن بتوفيره على الماء وعند الانتهاء يعاد استعمال "السقاط" حتى تحلل حبات الكسكسي حبة حبة.

عند الانتهاء من هذه المراحل كلها يتم تجفيف الكسكسي على درجة الحرارة الطبيعية يتم وضعه فوق أسطح أو فناء المنازل، عندما يجف تماما تأخذ أكياس من القماش توضع فيها الكسكسي ويتم وضع حبات من الفلفل الأسود أو ورق الغار حفاظاً عليه من الرطوبة، يحفظ الكسكسي في المنزل ويأخذ منه في أي وقت احببت صاحبة المنزل طبخه.

في منطقة الشرق الجزائري (أم الطبول) تجتمع النسوة الكبار في السن يطلقون على الكسكسي كلمة "العيش" ربما أطلقت هذه التسمية على الحبيبات الصغيرة

للكسكس وتدل على الزيادة والكثرة ومن البركة والخير، وأما أن التسمية استمدت من كلمة العيش ومنها الحياة والبقاء ومن الأمثال الشعبية الرائج تداولها في هذا المقام والتي تتحدث عن الكسكسي ومنه الكسكاس قول المثل "كَسْكُسْلُو يَرْجَعْ لَصْلُو" بمعنى لا تعطيه قيمة أكثر من قيمته حتى لا يتمادى ويتكبر عليك، تعامل معه بحجم قيمته ليعرف أصله.

إذ حولنا الرؤية نحو مدلول كلمة "سيم" فمعانيها تتعدد فهي بحسب تخميننا تعني: سيم: ربما دلت على: الوسمة والعلامة المميزة، أو السمو و العلو والرفعة أو ربما مأخوذ من كلمة سيمًا أي ماعده هو بمعنى فريد من نوعها ومعروفة بجودة منتجاتها يقال سما العلم أي رفرف ورفع عاليًا لبقى شامخًا.

تسمية المنتج الغذائي بهذه التسمية لم ترد عفو خاطر بل لها مقاصد وغايات أراد واضعها أن يبثه واستوحاها واضعها من:

- 1- سمة دلالية: أصغر وحدة معنوية يمكن اختزالها في كلمة.
- 2- شريحة SIM: وهي شريحة توضع في الهاتف تعمل على ربط التواصل مع الآخر.

- 3- سيم: مجمع سيم شركة.
- اختيار الباحث للنموذج الاتصالي "نجمة" والمنتج الغذائي "سيم" لم يكن محض الصدفة بل أنه تعمد انتقاء هذان العلامتان لأنهما:

- 1- نجمة: شريحة
- كلاهما يسعى لتحقيق الاتصال والتواصل

- 2- سيم كسكسي مقابلها الفرنسي Sim وهي شريحة مع الآخر.

بالعودة إلى الصور المدرجة حول منتوج كسكس "سيم"، افتتح الإشهار أول الأمر بمعالم أثرية جزائرية بدايتها صورة للبريد المركزي الجزائري وتمثال الأمير عبد القادر، ومقام الشهيد يعد هذا المفتاح وإشادة بالمواقع الأثرية الجزائرية أبان عن أصل المحتوى الإشهاري المحلي.

بعدها نقلنا الإشهار إلى بهو فناء حيث توجد عائلة ملتفة حول مائدة الطعام، وطبق الكسكس هو سيد المائدة وضع في صحن مصنوع من الطين ذو زخارف ونقوش تقليدية موضوع بداخله الكسكسي في قمة كومة حبات من المكسرات والمتمثلة في الجوز وعلى جانبيه أطراف من اللحم بهذه الطريقة يأكل الكسكسي ويحتسى بالبن، تجمع العائلة والتفافها حول مائدة الطعام والجلوس (التربع) على المائدة الأكل في التفكير الشعبي دلالة على نزول الخير والبركة على المنزل.

نسق الصانع المحتوى الاشهاري بين المكان "القصة" بفنها المعماري المميز واللباس التقليدي الخاص بالجزائر العاصمة كلها ملامح جسدها في هذه اللقطة، انتقل بنا صاحب الومضة الاشهارية إلى منطقة أخرى من مناطق الجزائر العميقة بالتحديد إلى مدينة قسنطينة، استهل هذه اللقطة بصورة لرجل يرتدي قندورة بيضاء اللون مع امرأة ترتدي الزي التقليدي القسنطيني، بعد اخذ صورة تذكارية من قبل فتاة التفت العائلة على مائدة الطعام وكالعادة كان كبق الكسكسي هو سلطان المائدة لكن طريقة تحضيره مختلفة عن الأولى، يتم وضعه في أواني نحاسية وهي نوع من الأواني التقليدية التي تشتهر بإنتاجها وصناعتها مدينة قسنطينة، التفاف العائلة على طبق الكسكسي ثم هذا الأخير في طبق وضع فوقه الجزر والكوسا والفلفل حار وعلى أطرافه قطع من اللحم وضعت أمامه قدر صغير من

المرق عند بدء الأكل كل واحد يضع مقدار من المرق بحسب طريقة أكل الشخص له.

انتقل بنا صانع المحتوى إلى منطقة القبائل حيث امرأة ترتدي الزي التقليدي القبائلي بجانبها طفلة تلعب ، المكان الذي تم التصوير فيه يعج بعدد التيمات الشعبية التراثية، الأواني المكان الأجواء المحيطة به كلها تحيل إلى المنطقة استمدت من من محيط شعبي تقليدي، وضع طبق الكسكسي وسط المائدة في صحن مصنوع من الخشب الكسكسي مكمم يطلق على تسمية في بعض المناطق الجزائرية بالمسفوف ويعدّ بالسكر والزبيب والزبدة.

طريقة أخرى لطبخ الكسكسي في لقطة مغايرة عن سابقتها ربما هذه الصورة جسدت ملامح الحاضر في صورة امرأة مع ابنتها ينتظران بقية العائلة لياشرون في الأكل، وضع الكسكسي في أطباق من الزجاج العصري محاط بالجزر والدجاج والخضر أمامه صحن من السلطة بخروج منجز الخطاب الاشعاري من هذه اللقطة، بث صورة للمنارة الأثرية.

ليدخل في الرمال الصحراوية الجزائرية يصور أجواء اللمة العائلية بدأ من مشروب الشاي المرافق الرسمي لجميع اللحظات اليومية الصحراوية، أرفقه بطبق الكسكسي تم وضعه في صحن مصنوع من الطين (فخار) مزخرف بزخرفات تقليدية تعكس الطابع الشعبي التقليدي الصحراوي، أما الألوان التي صبغت به فهو تدرج لوني للرمال والبيئة الصحراوية، إذ تم طبخ الكسكسي بطريقة مخالفة عن سابقتها، فهو كسكسي ابيض اللون سكب في صحن فخاري موضوع فوقه الجوز والفول السوداني مهشم والبيض المسلوق.

في ختام الومضة الاشهارية استجمع منجز الخطاب المرئي جميع الصور التي جاب فيها مختلف المناطق الجزائرية من شرقها نحو غربها ومن شمالها إلى جنوبها في اليوم، حتى تبقى للذكرى وحتى تعرف المتفرج بمدى ثراء التراث الشعبي الجزائري وتنوع أطباقه رغم بعد المسافات، واختلاف العادات يجمعها طبق رئيسي واحد طبق الكسكسي صورت فيه ملامح اللمة العائلية حيث الدفئ والحنان .

في آخر لقطة صور منجز المحتوى الاشهاري كيس مملوء بالكسكسي وضعت فوقه العلامة التجارية سيم وضع أمامه طبق كسكسي وعبارة "سيم" والذوق الدائم.

نلاحظ بعد تحليل صور الومضة الاشهارية الخاصة بخطاب "سيم" إن المادة الغذائية المستخدمة في جميع لقطات الإشهار واحدة وهي الكسكسي، غير أن طريقة التحضير تختلف من منطقة إلى أخرى، مرد ذلك إلى طبيعة البيئة والطابع المعماري والعادات والتقاليد التي تختفي بها هذه المناطق وإلى الطقوس والمعتقدات الرائجة فيها.

الجزائر بلد بحجم قارة تتنوع العادات والتقاليد فيها، هذه السمة استرعت اهتمام منجز الخطاب الإشهاري وجسدها في خطابه أبان عن عديد التيمات وهي:

- الإشهار بالمنتوج المحلي الجزائري.
 - التعريف بالمقدرات الشعبية الجزائرية.
 - الإشادة بمواقع والمعالم الأثرية الجزائرية .
 - جذب وإستمالة المتلقي لاقتناء واستعمال المنتوج المحلي.
- الهدف من كل هذا: تحقيق المكاسب والإرباح.

اتمنا تحليل الخطابات الإشهارية وعدنا إلى المذكرة حيث اختتم فيها الباحث الفصل بخلاصة أجمل فيها جميع الأفكار التي تبلورت في صفحات المذكرة، وبالرغم مما إبانه الخطابان الاشهاريان (نجمة، وكسكس سيم) من موروث شعبي وطني وسم به منجز الخطاب أعماله ، وأراد أن يكشف عن بعض جوانبه بعده "لون من ألوان التواصل بإشراك العديد من العلامات التراثية حرصاً على التبليغ الأنجع، مع استغلال التقنيات السمعية البصرية الحديثة والمساعدة على رسم فضاءات جغرافية وأخرى إبداعية مقتطعة من المسار الحياتي العام لترويض العين المشاهدة وانزاهها في عالم يعج بالمثالية المتعالية قصد تحقيق فعل البيع **fait fait** " (1).

بالرغم من الخطابان الاشهاريان (نجمة، كسكس سيم) لم يشيد بالموروث الشعبي الجزائري بالطريقة المطلوبة ، إلا أن الإشارة إليه كانت كفيلة بان تحقق سبل التواصل باستخدام آليات سمعية بصرية حديثة أسهمت بشكل كبير في تصوير الفضاءات الجغرافية وطرق عيش الإنسان الشعبي.

—الخطاب الإشهاري التونسي:

*—الخطاب الأول: تونيزيانا :

افتتح هذا الخطاب بإيراد مجموعة من الصور امتدت على طول الصفحات 136 إلى 139، بعدها قام الباحث بتحليل اللقطات الواردة في الخطاب، عمل هذا الأخير على " عرض المنتج في قالب قصصي متجذّر من أنا الجمعي كجنس سردي مهم وفعال لما يتضمنه من مواضيع مختلفة ترتبط بالأبعاد الاجتماعية. (2)

(1) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 130، 131 .

(2) المرجع نفسه ، ص 140.

ارتأ منجز الخطاب الإشهاري تقديم المنتج في قالب قصصي متعارف عليه من قبل الجماعة الشعبية، بعده جنس سردي ذو نشاط وحيوية يحمل في جعبته عديد المواضيع التي تضع البعد الاجتماعي في مقدمة اهتماماتها.

جاء الخطاب الاشهاري "تونيزيانا على شكل" متوالية شبيهة بالكلام الوارد في الخرافة أو الحكاية الشعبية "ما يخلي بلاد يعمر بلاد، جاءت المتوالية في الخطاب الإشهاري متناصة مع موروث شعبي الحكائي تظهر فيه شخصية الراوي وخصوصية القول"⁽¹⁾

تجلت ملامح التراث الشعبي في الخطاب الاشهاري تونيزيانا من خلال إتباع صانع المحتوى على ذات المنهجية التي تصاغ وفقها الخرافة والحكاية الشعبية بذات تشكيلاهما من شخصية الراوي وخصوصية القول تم تركيب الخطاب

انبنى خطاب تونيزيانا على "عديد التشكيلات اللسانية والكلامية، أعطت صورة مصغرة للمجتمع التونسي، اعتمادا على قرائن تواصلية شعبية وأجنبية، فكانت خاصية التلفظ كفيلة بأن تجعل المشاهد يعي ما يحدث في المحيط الجغرافي، ويدرك تمام الإدراك مدى خصوصية المجتمع"⁽²⁾

قام الباحث بتحليل تجليات المدينة داخل خطاب تونيزيانا سيميائيا، ترجم الرموز الواردة فيها تتبع مسارها ، وألحق إياها بمربع سيميائي وضع فيه مختلف هذه الرموز ووقف عند تحركاتها اتضح له في آخر الأمر أنها ذات "علاقة تواصلية وذات أبعاد

⁽¹⁾جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)،

مقاربة سيميائية، ص، 141.

⁽²⁾المرجع نفسه ، ص 142.

بلاغية، تؤكد تناسق تلك المرافق وترباطها وفق ما تقتضيه حاجة الفرد لأن افتقار علامة عمرانية يؤثر سلبا على المفهوم العام لتواصل العمراني⁽¹⁾ بعد أن حلل الباحث تجليات المدينة في خطاب تونيزيانا سيميائيا ، إتضح له في نهاية المطاف أنها تحمل في أعطافها أبعاد بلاغية تهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق سبل التواصل، وفي ختام الومضة الاشهارية تظهر صورة خلفيتها سوداء فوقها شكل مربع أحمر اللون يوحي بالقوة والحياة والحركة.

تونيزيانا تترجم لعدة دلالات
مشتقة من المعنى اللاتيني Tunisie بلدنا وملكننا وارضا، عبرت عن الذاتية
باجتماع المعنيين دلت على:

تونس لنا نحن (التملك) ملكية الاشهار

بخصوص الإشارة الموجودة فوق كلمة تونيزيانا عبارة عن دائرة تتوسطها نقطة ذات لون أصفر الذي "يعد من أكثر الألوان إضاءة ونوارية ،لأنه لون الشمس ومصدر الضوء واهبة الحرارة والحياة والنشاط والسرور"،⁽²⁾ في الخطاب الاشهاري دلّ دوران الشمس حول نفسها.

الخطاب الاشهاري دلّ
على الاتصال والتواصل
الحوار والمشاركة
الربط مع العالم الآخر
السهولة، البساطة، الخفة
فقط على مصلحة "اطلبي"

(1) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية ، ص 147.

(2) كريم شلال الخفاجي، سيميائية الألوان في القرآن الكريم، دار المتقين ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2012 ، ص 49.

بالتالي ورود لونين الأبيض والأحمر في الصورة المرفقة للإشهار استمدها منتج الرسالة من ألوان العلم الوطني التونسي حتى يثبت ملكية الاتصال و الإشهار برمته إلى تونس.

"صَنَعَةُ بُوهُ لَا يَغَيِّرُوهُ" مثل شعبي تونسي أسس وفقه منتج المحتوى الاشهاري خطابه، استوقفنا في هذا المقام عبارة "اطلبي يوفى المال ويقعد الـ APPEL" ونحن نفتش بين أروقة الذكريات الشعبية التونسية، لاحظنا وجود المثل الشعبي التونسي القائل: "يُوفَى مَالُ الْجَدِيدِ وَتَبْقَى صَنَعَةُ الْيَدَيْنِ".

هذا المثل كان تحصيل حاصل أو خلاصة عامة لمحتوى حكاية شعبية تونسية يدور موضوعها حول سلطان لديه ولد تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والعلم والأدب.. تعلم الفروسية والصيد، خرج هذا الولد جامعاً مانعاً لكل العلم، بعد ذلك أصر السلطان أن يعلمه صنعة، فخرج هو ووزيره تجولوا به في البلاد، حتى اعجبه حرفة المجوهراتي أخذ يتعلم كل يوم يزيد إتقانه للعمل بعد مدة أتى له سلطان آخر متعاهد هو وأبواه لإقامة عرس ابنته ويبحث معها ولد ليوصلها، وصلوا للبلاد وأتموا مراسيم العرس وشدوا الرحال ليعاودوا أدراجهم، ومع دخوله إلى البلاد استقبله أحد من حراس أبوه حافي القدمين ورأسه عاري، فسرد عليه قصة مقتل أبوه السلطان...

بعد أن سمع ابن السلطان بهذا الخبر ذهب إلى المرسى وشدّ الرحال إلى إسطنبول أول الأمر لاقى صعوبة في التعايش والتعامل مع الناس خاصة مع المجوهراتي الذي اتهمه بالسرقة شيئا فشيئا حتى نشط أكثر في مهنته وأصبح أكثر إتقانا من ذي قبل وهذا ناجم عن فكرة كثرة الممارسة تؤدي إلى الإتقان، عاد ابن السلطان ووقف من جديد، فلم تدم لا سلطة ولا ملك ولا مال يبقى سوى وجه الله ذو الجلال والإكرام.

الحرفة التي تعلمها فتحت له أفق جديدة استطاع من خلال أن يلج عالم الشغل بثقة بالنفس وثبات وفي ختام هذه الحكاية تجسد مضمون المثل الشعبي ، وقد إستمد صانع المحتوى الاشهاري كلمات وعبارات منجزه من البيئة الشعبية التونسية جسدها عبارة يَكْفِي بَاشْ إِدْخَلْ الرَّمْزُ، كَانَ يَتَحَلَّ البَابُ، أَمَانٌ حَلِيَّ البَابُ، أُطْلُبْنِي.

*-الخطاب الثاني كسكس العولة:

سار الباحث في هذا كما سار في الخطابات التي قبله، افتتح إياها بإدراج مجموعة من الصور الخاصة بكسكس العولة من الصفحة 157 إلى الصفحة 159 لينتقل بعدها إلى التوطئة، تحدث فيها عن هذا المنتج ليخلص الى نتيجة مفادها أن " خطاب كسكسي العولة يتألف من عتبات عديدة، تتطلب من الدّارس التوقف عند البارزة منها، علماً أن الخطاب الاشهاري له من الخصوصية التركيبية ما يجعله مؤهلاً لدراسات مستضيفة "(1).

أقر الباحث بأن محتوى كسكس العولة يتسم بعديد التركيبات وأمر كل من طرق بابيه أن يسلط الضوء عليه باعتباره خطاب ثري ومتنوع له خصوصية فريدة من نوعها، ما جعلها منطقة جذب دراسي، ذو أبعاد عميقة تلزم على متبعيها إنتاج خطة محكمة تبدأ من العلامات المشكلة، لتَمُرَّ إلى الإفصاح عن دلالتها في شكلها الانفرادي ثم الشمولي.

-سيمائية العنوان:

(1) جلال خشاب ، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص160.

"العنوان هو مجموعة العلامات اللسانية المكونة من كلمات وجمل وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف"⁽¹⁾

العنوان تركيب موجز ومختصر وهو في الآن ذاته إشهار لاقتناء نظراً للحمولة المعرفية التي يحظى بها، هذا ما أفصح عنه باحثنا حين أقر بأن منتوج ككسكس العولة ضمن بين فصوله الموروث الشعبي و"مستخلصاً جوهر الرسالة الاشهارية التي تدفع بالمشاهد إلى تمثيل تاريخ مجتمعه وبيئته وتبعث فيه مشاعر الحنين إلى المنبت"⁽²⁾

انتقل الباحث مباشرة إلى صلب الموضوع واعترف بمدى أهمية العنوان في بث الرسالة الاشهارية التي كانت مرآة عاكسة لما يتعايش معه المجتمع، وتحفزه لطرق باب المواضيع التي تخص الوطن الخاضعة الشرعية للإنسان الشعبي، بعد العنوان نظاماً سيمائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغرى الباحث بتتبع دلالاته ومحاوله فك شيفرته الرامزة"⁽³⁾

—سيمائية السرد الاشهاري:

عمل الخطاب الاشهاري على إعادة تشكيل ملامح الواقع اليومي للفلاح التونسي صولاً إلى عرض المنتوج من خلال بناء فني "استحوذت فيه الصورة على القسم الأكبر، رفقة علامات أخرى تتمثل في كل من الموسيقى والصوت فضلاً عن

(1) عبد الحق بلعابد، عتبات (جيران جينات من النص الى المناص) منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2008، ص1، ص67.

(2) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيمائية، ص162.

(3) بسام موسى قطوس، سيماء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001 ص33.

مؤثرات لونية وشكلية، جاءت جميعها منسجمة وفق بناء تصويري حكائي يعرف بالمسار السردى "parcours Narratif" ⁽¹⁾.

جسد الخطاب الاشهاري الواقع اليومي للفلاح التونسي تتبع مسار عمله لحظة بلحظة إلى غاية إتمام جميع المراحل وصولاً إلى عرض المنتج، كانت الصورة والموسيقى واللون من أهم تشكيلات الخطاب التي ساهمت بشكل كبير في تعرية مقاصد منجز الإشهار، فسعى إلى المزج بين جلّ هذه العناصر والتحمت جميعها في اتساق وانسجام لتكون ملمح تصويري حكائي يعرف بالمسار السردى.

تتبع الباحث الحركية السيمائية داخل المسار السردى الاشهاري ووقف عند كل عتبة من عتباتها وفي كل لقطة من لقطاتها ألحق ذلك بتخطيطات تصف طريقة انتقال الدال والمدلول، وتخطيطات أخرى توضح ما ورد في الأولى وأخرى عن الموضوع والفاعل والمرسل إليه ليختتمها بإيراد مربع سيمائي يجمع فيه جلّ ما ورد في سيمائية السرد الاشهاري.

— الخطاب الاشهاري بين فعل الشراء وتجسيد الموروث:

أثار الباحث في هذا السياق قضية ذات الأهمية بما كان تكمن في وجود الخطاب الاشهاري وتجسيده لعملية البيع والشراء، أما إذا أضفى على محتواه مضامين شعبية احتفت بها الطبقة الشعبية وثبت وجودها وقيمتها وحضورها " الموروث الشعبي التونسي قد أحال على واقع اجتماعي ثقافي حضاري ولكن في شئ من الاختزال أملته الرغبة التجارية مما يجعل حقيقة التعريف بالموروث منقوصة وقد لا يفهم المشاهد

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)،

مقاربة سيمائية، ص 164.

أحيانا العلاقات الماثلة فيما بين اللقطات، كون أن العلامات الخطائية تتسم بالثبات والتغير⁽¹⁾.

أفصح الموروث الشعبي التونسي عن الواقع الاجتماعي والثقافي و الحضاري لكن بشكل مقتضب وموجز، لأن الخارطة التجارية فرضت مثل هكذا تركيب، مما يجعل صورة الموروث الشعبي ناقصة وغير جامعة للملحمة، أشارت إليها فحسب، هذا ما يجعل المستقبل (المشاهد) لا يفهم العلاقات القائمة بين اللقطات، لأنها تتسم مرة بالثبات وأخرى بالتغير.

بالعودة الى تحليل صور خطاب إشهار كسكس العولة من منظور تراثي شعبي فقد مُثِّلَ الإشهار في حقل كبير مزروع بالقمح وهي زراعة تشتهر بها تونس وتكنى بتونس الخضراء نسبة إلى إخصرارها الدائم بفعل هذه الزراعة، يبدو من خلال الصور أن المنتج جاء وفير وكما يقال لها باللهجة التونسية جاء العام صابة، صور هذا الإشهار ملامح التعاون والتكافل بين الفلاحين من مبدأ المثل الشعبي القائل " العينة تغلب الجمل ".

تجلت ملامح التراث الشعبي التونسي في الأواني الفخارية والأدوات المستخدمة في حصاد القمح كالمنجل.. وفي اللباس نجد بعض الرجال يرتدون الشاشية وهي قبعة حمراء توضع فوق الرأس مصنوعة من الصوف الخالص تقليدية يدوية الصنع، فوقها من الأعلى حزمة من الخيوط السوداء اللون الحريرية، إضافة إلى الصدرية وهي عبارة عن ثوب يلبس بالجزء الأعلى للجسم به فتحة مكان العنق، تكون رقبتها مطرزة وبها

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص 188.

جيوب صغيرة مطرزة ،أما في الأسفل فيرتدون السروال العربي و البليغة تتعل في الأقدام تشبه الحذاء ،لكن دون خلفية لموضع القدم هذا بالنسبة للرجال.

المراة ظهرت في الخطاب الاشهاري ترتدي الزي التقليدي التونسي من "طقريطة" وهو غطاء للرأس ولباس تقليدي "الفوطه و البلوزة" ذو ألوان متعددة ؛ الجزء العلوي يسمى البلوزة وقميص يدعى باللهجة التونسية "مريول فضيلة" ، و السفلي "تنورة طويلة" تسمى "الفوطه" يبقى بينهما البطن عاريا.

تمسك النسوة غرايل تصفي بها القمح، وفي الصورة التي تليها صورة لجمعة عائلية تحت خيمة أمامهم طبق كسكس من منتوح العولة موضوع في أواني فخارية تقليدية الصنع تونيسية المصدر.

ترافق أعمال الحصاد والدرس أغاني شعبية تراثية تونسية تصدح بها حنجرة النسوة ومعها الرجال تشحذ فيهم الهمم وتجعلهم يقبلون على العمل بأكثر حيوية ونشاط، ذكر الخطاب الاشهاري أنواع منها: "العولة من قمح بلادي" ، "وأغنية القمحة الذهبية"، "وكسكس العولة مش عادي"، ومن الأغاني المرددة من قبل النسوة أثناء قيامهم بإعداد العولة تقول:

وَأَشْ خَصَّ لَوْ كَانَ تُرْجَعُ اللَّمَّةُ الْحَالَةَ وَالْعَمَّةُ

لِلوَدِّ وَدِيَّ وَفِي بَيْتِ جَدِّي

لَمَّةُ الْعَايِلَةِ وَخَاطِرِي مَهْدِي

وَالْحُوشُ عَرَبِي هَزِي أُورْدِي

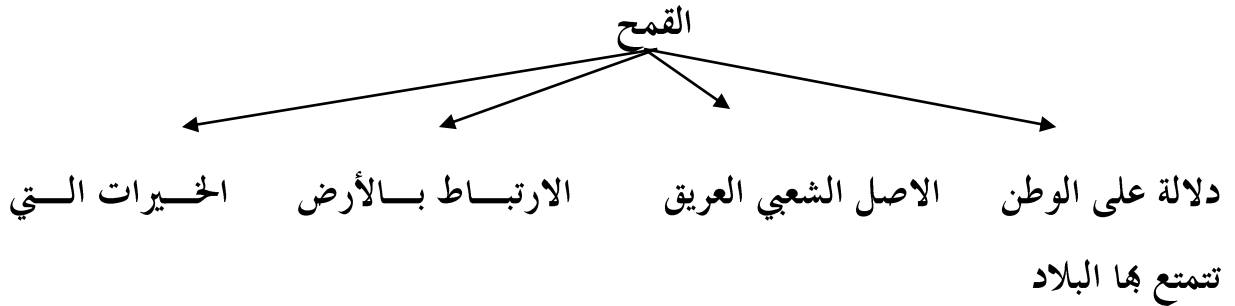
يَا أُمِّي الْحَنَانَةَ

عادة فتل الكسكسي عادة في طريقها الى الزوال، لوما بعض النسوة ماتزال محافظة عليها لكنها تغنى بحرقه عن الأيام التي كانت تجتمع فيها العائلة كبيرها

وصغيرها، وتتمنى لو أنها تعود اللّمة في بيت الجدّ حيث خاطر هادئ والبيت العربي،
يجتمع الجميع لإعداد العولة (هزي وردي).

هذه الفكرة وجدناها ماثلة في خطاب إشهار كسكس العولة عندما ضمّن صانع
المحتوى صورة المطبخ عصري تبرز امرأة وف يدها تظهر علبة الكسكس.

يحتوي الخطاب الاشهاري العديد من الدلالات والكثير من الایحاءات سنختصر في:



تحقيق الاتصال و التواصل بين الأرض و الوطن

(الاحتفاء بالمقدرات الشعبية التونسية)

السبب الأساسي الذي دفع بصانع محتوى الاشهاري الى افتتاح خطابه بحقل للقمح
ليبين أن المصدر الأول لانتاج الكسكسي كان القمح، هذا ما جعله يضيف على
محتواه بعض ملامح التراث الشعبي التونسي زدها نماذج من الأغاني التراثية حتى
تكتمل الصورة وترسخ لدي مستقبل الرسالة لاقتناء البضاعة، لأنها صنعت من مواد
طبيعية وأنامل فلاحين لهم باع كبير في المهنة وذوات خبرة، وبالتالي سيكون الترويج
لسلعة قد بلغ ذروته لأنه صنع محيط وأجواء نظيفة وملائمة ولا تضر بصحة الانسان
وهذا أقصى ما يتمناه المشتري.

- ✓ مصطلح يطلق على المواد الغذائية التي تنتج في الصيف وتخزن لشتاء مثل الكسكسي/محمص...
- ✓ ربما أشتق المصطلح كلمة عائلة ومنه الجمعة واللّمة، أو الإعالة والإعانة على شؤون المنزل.
- ✓ العولة مصطلح شعبي تراثي تواضعت على تركيبه المخيلة الشعبية.
- العولة هي:

—موضوعات الخطاب الإشهاري المغربي :

نماذج إشهارية أخرى ساقها الباحث في مضمون منجزه ارتحل بنا هذه المرة إلى المغرب، استهل الفصل بتوطئة مهدّ فيها لبدايات الخطاب الإشهاري فيها والذي ظهر في فترات مبكرة ردها الباحث إلى: "عوامل تاريخية وسياسية وإقتصادية بدءا بالاستقلال وبالتوجه الإيدلوجي مما تترتب عنه نظام إقتصادي شبه حرّ ساير تيار الإشهار محتشم"⁽¹⁾

العوامل بمختلف أشكالها ساسية كانت أم إقتصادية أو تاريخية، أسهمت بشكل كبير في بلورة أسس الإشهار في المغرب، بإضفاء التّوجه الإيدلوجي الذي غير النظام الإقتصادي وأرداه نظام شبه حرّ سار جنبا إلى جنب مع مسار الإشهار إلى أن وصل إلى بداية الثمانيات.

هذه الفترة كانت منعطف حاسم في تغيير مسار الخطاب الإشهاري المغربي، سار يحتكم إلى آليات الخطاب وفق لمنطلقات تركز على الذات المغربية بالدرجة الأولى. الخطاب الأول : ميدياتيال.

⁽¹⁾جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، ص192.

استعرض الباحث بعدها مجموعة من الصور تخص خطاب إشهار ميديا تيال من الصفحة 195 إلى الصفحة 198 انتقل بعدها للحديث على قضية.

*-الانتقال من حركة إلى الرقصة في الإشهار:

الرقص حركات يؤديها الجسد يمكن عدّها إشارات يصدرها المرسل ذات أبعاد عاطفية ونفسية مختلفة .

"وإذا كانت الرقصة تواصلا بين أفراد الفرقة، ثم ما بين أفراد المجتمع الواحد، ومنه تنفتح على المجتمعات الأخرى، فإنها في الوقت نفسه اختارت لها لون الرسالة وأبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية"⁽¹⁾

الرقص شكل من أشكال التواصل بين أفراد المجتمع الواحد وذات محتوى اجتماعي ونفسي وثقافي يسعى لربط أواصر التواصل وتوسيع نطاقه ليعم على باقي المجتمعات الأخرى.

سيمائية الملبس :

الملبس مكوّن من مكونات الصورة السيمائية ولأجل معرفة آليات التخاطب في نظام اللباس لابد من التوقف عند الدلالات المختلفة التي يحملها أو يعبر عنها كالدلالات النفسية والاجتماعية على وجه الخصوص، فضلا عن الثقافة والاقتصادية، كما يحدد اللباس جنس صاحبه رجلا كان أو امرأة صغيرا أو كبيرا وكذلك سنّه.⁽²⁾

اللباس يجسد ثقافة مجتمع معين يحمل بين أعطافه دلالات مختلفة نفسية كانت أم اجتماعية أم ثقافية أم اقتصادية ، كما أن اللباس يظهر جنس صاحبه رجلا كان أم

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب)،

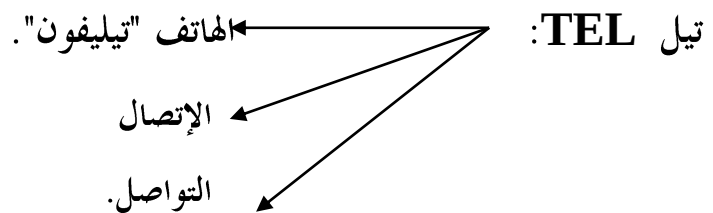
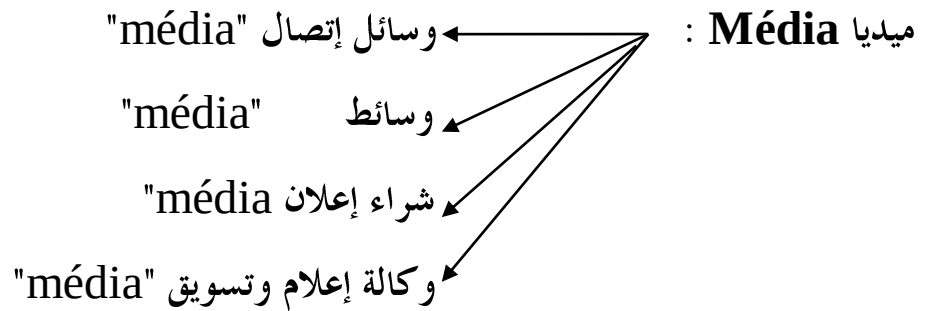
مقاربة سيميائية ، 202.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص211.

امرأة صغيرا كان أم كبيرا ويبين سنّه بغض النظر عن نوع اللباس أو لونه يكفي أنه عبّر عن أذواق الجماعة الشعبية.

الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المغربي جسدت ملامحه وتكفلت بإنتاجه فرقة ترتدي الزي التقليدي المغربي ذو اللون الموحد جلابة (جبة) حمراء اللون دلت على النشاط والحيوية والحركة والانفعال والقوة والرجولة، هذه الملامح جلّها اتسم بها أعضاء الفرقة، أما على الرأس فيضع الجميع طربوش أو شاشية بيضاء اللون كدلالة على العفة والهدوء والسلام اجتماع اللونين الأحمر والأبيض إحالة على لون العلم الوطني المغربي وتأكيد الانتماء للوطن.

الشيء المميز في الخطاب الإشهاري المغربي أنه أرفق بالموسيقى والرقص بغرض بث الرسالة والفكرة للمتلقي بسرعة وبسهولة من منطلق الإنسان ذواق وميال إلى الفن، وبالتالي سيخترق الإشهار مخياله ويؤثر فيه لاقتناء شريحة ميدياتيل بامتيازاتها وخدماتها السهلة، إذ تحيل هذه الكلمة لعدد المعاني:



*-الخطاب الثاني: كسكس داري

قدّم الباحث في مستهل دراسته مجموعة من اللقطات تخص الخطاب الاشهاري لكسكس داري، تطرق بعدها للحديث عن:

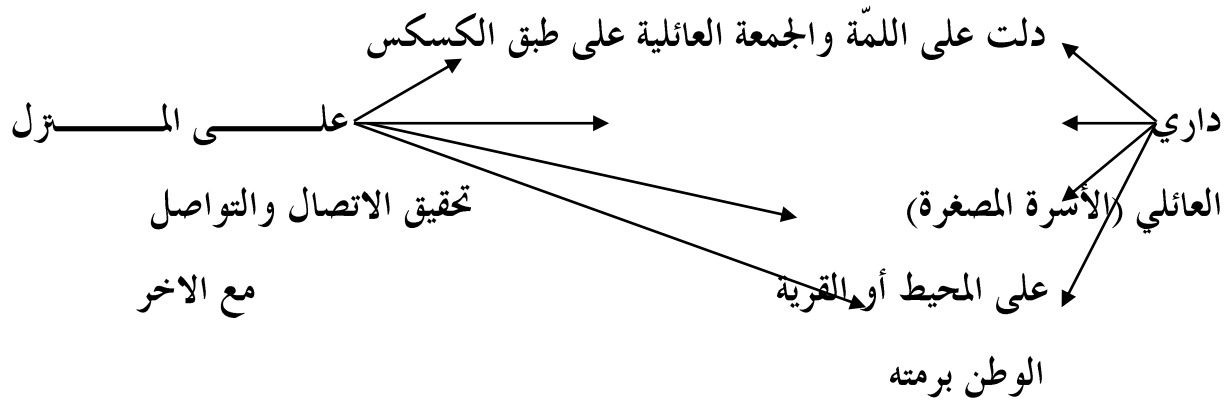
الصور المشكلة لخطاب كسكس داري تحوي ايماءات ودلالات عميقة لم تقرأ من الشكل الخارجي فحسب بل وجب الغوص في أعماقها فطريقة سكب الكسكسي المفتول (المصنوع) باليد، وسكبه في قصعة مصنوعة من الخشب الطبيعي كلها مظاهر مستمدة من الثقافة و البيئة الشعبية المغربية، رش الماء على الكسكس هي أولى خطوات قبل البدء في عملية تفويره وبعد أن يتشرب الماء يتم إضافة الزيت عليه ويمحر جيداً، يوضع بعدها فوق القدر النحاسية ليفور، بعدها أبان المحتوى الإشهاري عن صورة لكيس كسكس مكتوب عليه باللون الأزرق " داري " **dari** " وأسفل منها كتب بالأحمر كسكس، بعدها عاد الى متابعة طريقة تفويره سكب في صحن رتبت فوقه الخضر واللحم وإضافة المرق عليه أصبح الصّحن أو الطاجين جاهز لتقديم، في ختام الومضة الاشهارية قدّمت صورة للغلاف الخارجي فالزخرفة المستوحاة من التراث الشعبي المغاربي أسقطت على غلاف كسكس داري وبعض الكتابات وخلفية اللقطة الأخيرة من الإشهار كلها صبغت باللون الأزرق، وهو "لون التفاعل بين الأشكال والأشعة الضوئية الساقطة عليه فيؤلف بذلك المظهر الخارجي لهذه الأشكال، وأن الألوان في اللوحة بانسجامها وترباطها تتحقق الوحدة الجمالية." (1)

(1) قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دط، 2005، ص142.

أما عن اللون الأكثر حضوراً على الغلاف ككس داري فهو اللون الأزرق له مدلول إيجابي في الثقافة الشعبية المغربية تحتفي به كونه " لون يرمز إلى الشوق والليل الطويل الذي ينتظر شروقه" ⁽¹⁾

كلمة كسكس باللغة العربية والفرنسية فقد اختار لها صانع المحتوى الأشهر اللون الأحمر فهو جذاب يوحي بالنشاط والحيوية والحركة والإنفعال؛ ونجاح الوصلة أو فشلها مقترن في أبعد حدوده بالتناسب القائم بين اللون والشكل، ومن ثم يمكن التأكيد على أن كل منتج يستدعي الألوان والأشكال المناسبة له (ميدياتيل- اتصالات المغرب...)

كلمة داري متأية من المصدر " دار " وهي كلمة عربية فصيحة تدل على المكان الذي تجتمع فيه العائلة أسقطها منجز المحتوى الإشهاري على المتزوج للدلالة على جمعة ولّمة أفراد العائلة في مكان واحد ومنه تحقيق عناصر الاتصال والحوار فيما بينهم ، وتحيل كلمة "داري" لعديد الدلالات:



⁽¹⁾ قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، ص 143.

بعد دراسة الباحث لمجموعة من الخطابات الاشهارية المغاربية تبين له أن هذه الانتاجات قد أفصحت عن نضجها، بعد أن حددت أسس وأساليب الخطاب الاشهاري وانتقاء علامات تحمل مميزات تركيبية تواصلية بالدرجة الأولى، سيكون محط اهتمام المشهرين لا محالة.

طريقة عرض الخطابات الاشهارية في الدول المغاربية تختلف " ففي خطاب نجمة تمت الاستعانة بعلامة رياضية بارزة (زيدان) في الوقت الذي حرص فيه خطاب تونيزيانا على استحضار المدينة العتيقة، بينما عمل الخطاب الاشهاري المغربي على إبراز جانب من موروته تمثل في الرقصة الشعبية".⁽¹⁾

المواضيع التي تبنت دراستها الاشهارات المغاربية ذات نفس المحتوى (الاتصال والكسكس)، أما الاختلاف فيمكن في طريقة عرض وترويج المنتج، أدرج الباحث في هذا المنحنى اشهار نجمة الجزائري كان بطله الرياضي العالمي زيدان، في إشهار تونيزيانا مثلت أجواءه في المدينة العتيقة (المدينة العربية)، أما في المغرب فجسدت ملامح الاتصال في الرقصة الشعبية المغاربية.

في اطار حديث الباحث عن الموروث الشعبي وتجلياته في الخطاب الاشهاري المغاربي فقد أقر بأن التصرف في الموروث الشعبي بمثابة تقزيم لدوره الريادي، طالما أن الخطاب الاشهاري لا يؤمن بقداسة الخطاب أمام غاياته النفعية، والتي لا تعرف أخلاقيات الاكتفاء أو الإمتناع عن الخوض في كل ما يفي بجوهر الرسالة بما في ذلك الخطاب الديني الشائع في الحملات الاشهارية في الأيام الأخيرة فتلك حقيقة الخطاب الإشهاري المتمرد بذاته وبعلاماته.⁽²⁾

⁽¹⁾ جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطات الإشهارية المرئي المغربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية، ص 238.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 239.

استعمال الموروث الشعبي باجحاف كبير أو مجرد الإشارة فحسب له يعد إحدى مشبطات مسير الخطاب الاشهاري لأنه لم يُبين على المحتوى مباشرة، بل وجب أن يتحرر الإشهار من ربقة السيطرة والكبت المستمر ويتمرد بذاته وبعلاماته.

أمسكنا بزمام مذكرة الباحث جلال خشاب الموسومة توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) وتبعنا لحظة بلحظة وقفنا عند أهم العتبات النصية التي خط بها باحثنا عماد بحثه .

أخذنا الباحث بعدها الى رحاب فصل آخر سمي بالخطاب الاشهاري الجزائري افتتحه بتوطئة و ألحقه بمجموعة من الصور تخص اشهار نجمة قام بدراسة من عديد الزوايا، كدراسة سيميائية الفضاء البصري، وسيميائية الصورة والألوان والموسيقى واللوغو، أتبعه بدراسة كسكس سيم، وبذات الطريقة وبنفس التشكيلة درس الباحث بقية الخطابات الإشهارية التونسية والمغربية إلى غاية وصوله إلى الخاتمة التي تتضمن فيها عديد النتائج التي إستخلصها من جراء تعمقه ودراسته لتركيبات .



أولا : مناهج بحث : "الأغنية الشعبية في الجزائر — منطقة الشرق الجزائري نموذجاً" — للباحث "عبد القادر نظور" استعان بالمناهج العالمية للفولكلور :

1 المنهج الجغرافي التاريخي

2 المنهج النفسي .

3 المنهج الأنثروبولوجي .

4 المنهج الوظيفي .

إستعان بشكل كبير على المنهج الوصفي .

ثانيا : مناهج دراسة بحث : "التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر

بلطيجي" للباحث: "عبد اللطيف حني" .

1 المنهج التاريخي في البحث عن حياة الشاعر .

2 المنهج التحليلي الفني للمضامين .

3 الإحصاء .

ثالثا : منهج دراسة بحث : "توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري

المرئي المغاربي (الجزائر، تونس ، المغرب)" للباحث : "جلال خشاب"

1 المنهج السيميائي .

- توطئة :

التنوع في المواضيع المطروقة لدراسة الأدب الشعبي في البحوث الأكاديمية على كثرتها واتساع مضامين رقعتها، انتقينا نماذج منها وغصنا بين لجأها، فأفصحت بدورها على جملة من التيمات ذات الدلالة العميقة والمحتوى المعبر عن طموح وأمال وأحلام الإنسان الشعبي وعن قضاياها وانشغالاته.

وقف الباحثون مطولاً عند عتبات هذه الإبداعات وحركوا معاول البحث والتقيب في فحواها، كل أخذ بزمام موضوعه وهياً له الظروف، وحين له الفرص ووفر له الإمكانيات اللازمة التي تعنى بدراسته من جميع الجوانب.

سلك الأساتذة الباحثون- الذين راجعنا موضوعات أطاريحهم _ في إيراد المعلومات الخاصة بمضمون مواضيعهم عدة طرق، والكثير من الآليات التي تضافرت جميعها لتشكيل في نهاية المطاف لم تشمل تلك المواضيع المتنوعة، هذه الأخيرة أفضت إلى أحداث تنوع في المناهج الموظفة، فيا تري ماذا يقصد بالمنهج ؟ ولماذا عرج الباحثون إلى استخدام هذه الآلية في ضبط مسار بحثهم؟ وهل هناك مناهج خاصة بالأدب الشعبي أم أنها تشترك مع مناهج أخرى مغايرة؟

1- تعريف المنهج :

أ- لغـة :

المنهج في معجم لسان العرب: "مصدر مشتق من الفعل نهج، بمعنى طرق أو سلك أو إتبع، والنهج والمنهج والمناهج وتعني الطريق الواضح." (1)

المنهج بحسب هذا التعريف إنتهاج أو إتباع طريق معين، يقال نهج فلان هذا السبيل في حلّ عملية حسابية ما ،أي أنه إعتد على آلية سهلة بحلها، ويقال سلك الطريق الفلاني أي صار على خطاه والنهج هو الطريق البين والجلّي والواضح للعيان.

- منهج: Method ,Méthode,Methodus,Méthode :

"هو الطريق و بالمعنى العلمي هو مجموعة الإجراءات التي ينبغي إتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين" (2)

المنهج السبيل الواضح والّبين للعلن، أما علميا فهو مجموع الآليات التي يتكأ عليها الدّارس في حلّ مسألة ما لبلوغ هدف معين، أو هي طريقة يصل بها الفرد إلى حقيقة ما.

ب- اصطلاحا:

المنهج في المجلد الأعم يعني "الطريق المؤدية للكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط 3 ، 1999، باب نون، مادة نهج،

ج 14، ص 300.

(2)عبد المنعم الحنفي ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي ط 3 ، القاهرة ، 2000م ، ص 845.

من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة⁽¹⁾.

تتداخل المناهج وتتعاون فيما بينها باستحضار أساليب وأدوات علمية مختلفة بغية تحقيق غايات متنوعة هذه النظريات، تخدم في المقام الأول نظرية المعرفة ومنه تكوين قاعدة العلم التي هي حصيلة جهد الإنسان المنظم في مختلف جوانب الوجود بهدف فهم كنه الأشياء ومركباتها، والتنبؤ بمستقبلها ومحاولة التحكم فيه⁽²⁾، فبفضل المعرفة العلمية استطاع الإنسان بناء وسائل عقلية وعملية خاصة تمكنه من الوصول إلى أهدافه بكفاءة، أطلق على هذه الوسائل اصطلاح مناهج Méthodes

علم المناهج : Methodology

قسم الفيلسوف كانط المنطق إلى قسمين : قسم يتناول شروط المعرفة الصحيحة، وقسم يحدد الشكل العام أو الطريقة التي يتكون بها أي علم ، القسم الثاني هو ما يشكل علم المناهج فهو فرع من المنطق يطبق مبادئه وعملياته على الموضوعات الخاصة بالعلوم المختلفة.⁽³⁾

تقسيم الفيلسوف كأنه المنطق إلى قسمين لم يكن عفويا، استنشق ذلك من خلال المعاشة الفعلية والتجربة،مكنه من إن يستخلص هذه النظرية ويقربان المنطق يحكم لآليات ومناهج تسييره وتضبط مسار مواضيعه؛ وبالتالي يبقى علم المناهج بمثابة الجنس الذي تندرج تحته المناهج النوعية للعلوم الخاصة .

المنهجية (إجراءات البحث):

(1) عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 3، 1977، ص 05

(2) ينظر: عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، دار النмир، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص2، 3.

(3) عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور (التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان،

الأردن، ط1، 2007، ص127.

تشير إلى مجموع الإجراءات الضرورية والمنطقية لتنظيم البحث، تعني بالقضايا الشكلية كتركيب الأبواب والفصول وطرق الاقتباس والتهميش... وتقسم المنهجية إلى: ⁽¹⁾

- المنهجية العامة: هي قواعد وإجراءات عامة يتوجب الالتزام بها في كل العلوم.
- المنهجية الخاصة: ما اختص بها علم أو حقل من الحقول العلمية كعلم النفس وعلم الاجتماع.

المنهجية هي الطريقة التي يتبعها الباحث عند بدأ بحثه حتى انتهائه فهي بمثابة الخطة التي رسمها وسار على خطاها في تكوين لبنات بحثه.

- تصنيف المناهج:

تخضع المناهج لتصنيفات عدة سواء على مستوى المادة المدروسة أو على مستوى طرائق وإعدادات صياغة هذا التعداد راجع بطبيعة الحال لإختلاف الأزمنة بين الماضي والحاضر، مس هذا التعداد حتى معالم البيئة الاجتماعية التي تفرض على الباحث أن ينسج منهاج يحوي بين أعطافه جلّ هذه التحوّلات، بهذا فالتصنيف الواحد لهذه المناهج يختلف من باحث لآخر إما بالزيادة أو بالنقصان أو بالتلخيص والإقتضاب، أو باتفاق الأغلبية على تصنيف معين وإن اختلفوا في إيراد مسمياتها أو ترتيبها، وقد قدّم ماركيز Marguis بتوظيف التصنيف التالي: ⁽²⁾

■ المنهج الأنثربولوجي.

■ المنهج الفلسفي.

⁽¹⁾ ينظر: عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور (التراث الشعبي)، ص 173

⁽²⁾ عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور (التراث الشعبي)، ص 180

■ منهج دراسة الحالة.

■ المنهج التاريخي.

■ منهج الدراسات المسحية.

■ المنهج التجريبي.

أما وينتي (whintaney) فقد ميز بين سبعة مناهج للبحث العلمي وهي: ⁽¹⁾

■ المنهج الوصفي.

■ المنهج التاريخي.

■ المنهج التنبئي.

■ المنهج الفلسفي.

■ المنهج الاجتماعي.

■ المنهج الإبداعي.

■ المنهج التجريبي.

تصنيف المناهج للباحث وينتي تختلف عن ماركيز في مواضيع كمنهج الدراسات المسحية ودراسة الحالة موجودة عند الأول وعند الآخر مفقودة .

وقد اعتمد "يحي عليان"، و"عثمان محمد غنيم" تصنيفاً أكثر شهرة وهو: ⁽²⁾

■ المنهج التاريخي.

⁽¹⁾ عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور (التراث الشعبي)، ص 181

⁽²⁾ عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور (التراث الشعبي)، ص 181.

- المنهج الوصفي.
- أسلوب المسح.
- أسلوب دراسة الحالة.
- تحليل المحتوي.
- المنهج التجريبي .
- المنهج المقارن .
- أسلوب النظم .

يرجح أن هذا التقسيم هو الأنسب كونه ملم وشامل لما أقر به كل من "ماركيز" و"ينتي"، فهو تقسيم آخذ بشأيب الأول، وإستعان بالثانية في تكوين الرأي الثالث.

من خلال هذه التصنيفات تبين أن المناهج في تركيبها تخضع لمعيارين: ⁽¹⁾

– معيار طبيعة الأسلوب أو المنهج : فرضا إذا كان المنهج نظرياً توضع له مناهج نظرية كالتاريخي والوصفي .

–معيار يتعلق بطبيعة المادة أو الظاهرة : فبعضها يناسب العلوم الاجتماعية والإنسانية كالمناهج الوصفي والتاريخي، أو يتناسب مع العلوم الطبيعية كالمناهج التجريبي .

من خلال التقسيمات الحاصلة على مستوى المناهج، فقد استند الدارسون إلى منطلقات عدة في إيرادها وتكوينها كالإستناد إلى الواقع الاجتماعي وإلى طبيعة المادة المدروسة وإلى الزمان وغيرها من العوامل الأخرى التي دفعت الباحثين إلى أن يحذوا حذو هذه التقسيمات، التي هي في

(1) عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور(التراث الشعبي)، ص 181 .

تنوع وتجدد مستمرين تبعاً و التجدد والتنوع الحاصل على مستوى الحقول العلمية والمعرفية، هذا التنوع لم يكن حكراً على العلوم العلمية والمعرفية التي تخضع لضوابط علمية محكمة، بل إن تيار التنوع قد مسّ ميدان الدراسات الشعبية وأحدث فيها تغيرات جمة.

– دور المناهج في الدراسات الشعبية :

- ✓ للمنهج دور بارز في تكوين أمشاج الدراسات الشعبية وربط أواصرها بعدة نواحي كالاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ.
- ✓ ضبط المدونة الشعبية وتحديد مسار انتقائها.
- ✓ التعمق في المواضيع الشعبية واستلهاهم العبر منها.
- ✓ تقويم الاعوجاج الحاصل على مستوى المواد الفلكلورية المنتجة وإثراءها بآراء ثري مواضيعها .
- ✓ الإغلاء من قيمة الدراسات الشعبية التي عدها الكثير مجرد ترهات لا ترقى إلى مصاف العلم
- ✓ يفتح المنهج آفاق جديدة تجعل المتلقي يتشارك مع صانع الإبداعات الشعبية في إبداء رأيه وتقديم قراءات جديدة للنصوص الشعبية تلامس الخيال الشعبي بالدرجة الأولى.
- ✓ تنوع مناهج دراسة المواد الفولكلورية بين الباحثين فلكل منهج أسسه وخصائصه التي يبنى عليها شريطة أن تكون مطابقة لمحتوى ما ورد في المدونة الشعبية .
- ✓ أسهم المنهج في توضيح الأفكار وتقريب المعنى للمتلقين نظير تحليله للمدونات الشعبية الشفوية والمكتوبة وفهم تركيبية بناءها وتعرية مقاصد المبدع الشعبي في إتباعه لمثل هكذا خطية عند إيراد أفكاره.

- ✓ المنهج يتعامل مع مادة حيّة ومتداولة بين الناس.
- ✓ جمع وتصنيف المادة الموجودة في الواقع والمستمدة من المصادر التاريخية المتاحة.
- ✓ هناك مناهج تتناول المادة الشعبية من حيث تحليلها وتفسير ودورها في المجتمع .
- ✓ الإطار النظري الذي تدور داخله عملية الجمع والتحليل ويرسم حدود المفاهيم التي تتعلق في بحثنا.

–طبيعة المنهج في الدراسات الشعبية :

إذا ما ذهبنا إلى طبيعة المنهج المعتمد في الدراسات الشعبية، فيختلف ويتنوع بحسب طبيعة المواضيع المدروسة من قبل الباحثين، فهناك مواضيع تبنى على أسس نظرية محضة يختار لها مناهج تتوافق مع هذه الرؤية، وأخرى تعتمد مناهج في ذات سياق الدراسة التطبيقية وبالتالي فالبحوث العلمية تنقسم إلى :

- 1- البحوث حسب طبيعتها و دوافع البحث :
 - أ) بحوث أساسية أو بحتة: Pure Or Basic Research
 - ب) بحوث تطبيقية : Applied Research
 - 2- حسب مناهج و أساليب البحث المستخدمة :
 - أ) البحوث التاريخية : Historical Research
 - ب) البحوث الوصفية: Descriptive Research
- ما يخلصنا في هذا المقام هو التقسيم حسب طبيعتها ودوافع البحث فيها.
- البحوث النظرية :

البحوث النظرية أو الأساسية " تهدف إلى التوصل للحقيقة وتطوير المفاهيم النظرية ومحاولة تعميم نتائجها بغض النظر عن فوائد البحث ونتائجها".⁽¹⁾

هذا التوجه يسلط الضوء على البحوث النظرية ويعتني بدراساتها في دعوة منه لتعميم نتائجها، لذلك وجب على الباحث أن يلم بهذه المفاهيم ويصاغ لها فرضيات، ويستفيد من دراسات الباحثين التي أنجزت في وقت مضى، وصياغتها مع ما أنجزه الباحث بهدف الإحاطة بالمشكلة وإيجاد حلول وجيهة لها

– البحوث التطبيقية :

البحوث التطبيقية نوع آخر يندرج ضمن طبيعة المنهج، هذا النوع من الدراسات يقوم به الباحث بغرض الإحاطة بالأهداف المحددة لمسار البحوث النظرية " بهدف معالجة مشكلة من المشاكل العلمية في أي مجال من المجالات، أو لاكتشاف معارف جديدة يمكن تسخيرها والاستفادة منها"⁽²⁾.

فالبحوث التطبيقية لها آليات تبنى وفقها وتولي الإهتمام بالمشاكل العلمية في أي مجال من المجالات، أو أنها تكتشف معارف جديدة يستفاد من تطبيقاتها لاحقاً.

في إطار الحديث عن طبيعة المناهج المطبقة في الدراسات العلمية وبالتحديد الفولكلورية منها، فقد تبين أن هذه التقسيمات في الأغلب الأعم لا تقبل الفصل فهما يكملان بعضهما البعض،

⁽¹⁾ يحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2000، ص 28

⁽²⁾ محمد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتبة نور، 2020، ص 124.

فالبحوث النظرية تستفيد من التطبيقات من نتائج دراستها، والتطبيقية تشكل الفرضيات والإشكاليات للنظرية .

بدخولنا عالم المناهج وتطبيقاته على العلوم المعرفية بشكل عام والعلوم الفلكلورية بشكل خاص، تكون الرؤية قد اتضحت ،ومنطلق استندنا فيه لرصد الاختلافات الحاصلة في تطبيقات المناهج الفولكلورية عند الباحثين المحليين الجزائريين، نقطة الاختلاف هذه قد كانت محطّ اهتمامنا بعد أن درسنا التنوع في المواضيع ،وسلمنا بأن الاختلاف سيكون فقط على مستواها وبعد أن غصنا في بطون البحوث العلمية الأكاديمية الخاصة بدراسة المقدرات الشعبية تبين أن تيار التنوع قد اجتاحت معالم المناهج كذلك.

الباحثون الذين اعتمدنا على مدوناتهم في إرساء دعائم بحثنا، لاحظنا أنهم نوعوا في إيراد هذه المناهج بين فصول بحثهم، فمنهم من أبقى على المناهج الأصلية التي أقرت بوجودها الدراسات الفولكلورية العالمية وتتبع فصولها بدقة من باب أن الموضوع قديم قدم وجود الإنسان، لذا وجب أن يوشح بمناهج قديمة تكون مطابقة له، في حين أن البعض الآخر فضل إدخال مناهج جديدة على مواضيع قديمة بغية إشراك الملتقى الحداثي وفتح مداركه لفهم محتوى الإبداع الشعبي وبثّ نفس جديدة فيه يحدث ضجة وحيوية في كل فصول بحث الباحث.

أمام هذا الاختلاف والتباين الحاصل على مستوى المناهج وتطبيقاتها في البحوث الأكاديمية الجزائرية، ارتأينا أن نتكفل بالمهمة ونستشير أغوار هذه القضية بذات أنفسنا ،ونقف عند أهم الأسباب والدوافع الكامنة التي دفعت بمنجز الرسالة في بناء خطية بحثه وفق هذه المنهجية.

نتقل أول الأمر إلى المدونات الأكاديمية الشعبية الجزائرية نتبعها واحدة تلو الأخرى وبطبيعة

الحال سوف نبتدىء بـ:

أولاً: مدونة الأغنية الشعبية في الجزائر - منطقة الشرق الجزائري نموذجاً - للباحث "عبد القادر نطور":

استنتجنا نوع المنهج المتبع من قبل الباحث من عنوان الدراسة الذي ينم على أنه خط على أسس منهجية فولكلورية محضة، أعربت عن ذاتها من الوهلة الأولى، أبانت عن ذلك أكثر تنوع تشكيلاته في صفحات الدراسة من صدارة المدونة، تساؤلات عدة تقف نصب أعيننا تنتظر الجواب الكافي لها وهي : كيف استطاع الباحث أن يستجمع عديد الأغاني الشعبية على كثرتها وتنوعها من الشرق الجزائري ويقوم بتحليلها وفق المنهاج الفولكلورية؟ هل هي لعبة إغواء لتحفيز القارئ وشد انتباهه واستمالته لدخول غمارها ؟ أم أنه تعمد إيراد مناهج الفولكلور ليبين للدارس أنه علم يبنى وفق أسس وضوابط تؤطره ؟ أم حاول أن ييث في هذه الإبداعات نفس جديدة ؟ ولماذا لم يستخدم المناهج الحداثية (الجديدة) والمتعددة وفضل الإندلاف خلف مناهج الفولكلور ؟

تساؤلات عدة تقال في هذا الشأن ولإعتبارات يراها الباحث أنها الأصلح في بناء قوام بحثه، لكننا سنتدرج معه في تعرية أسطر منجزه ونكتشف السر الكامن من حول تطبيقات المناهج الفولكلورية المورفولوجي، النفسي..... الخ لتحللها الوصف والتحليل والتفسير، كلها مناهج التحمت مع بعضها البعض لتشكل الأمشاج الداخلية للمذكرة .

بداية وقبل أي شيء لابد أن ننوه بأن بحث الباحث يندرج ضمن الدراسات الميدانية^(*)، وهي دراسة يقترب فيها الباحث من مجتمع البحث محلّ الدراسة يتكفل بذات نفسه بجمع مادته العلمية، نحن هنا لا نقف موقف متأمل أو كمن يقرأ المنجز البحثي قراءة عابرة من أجل إثراء الرصيد المعرفي والثقافي فحسب، بل إننا غصنا بين أسطر المذكرة وترقبنا صفحاتها واحدة تلوى الأخرى، تشبعنا بقيمها استخلصنا منها درر هذه التوظيفات.

إذا ما ولجنا عالم المناهج الخاصة بدراسة المقدرات الشعبية فإن الباحثين والمنظرين بخصوص هذا العلم قد اختلفت التقسيمات الحاصلة على مستواه، وبعد قراءتنا لبعض الكتب استخرجنا بعضا منها وهي :

1 (تقسيم منهج الدراسات الشعبية عند نبيلة إبراهيم من كتاب الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق:

✓ المنهج الوظيفي .

✓ المنهج الاجتماعي .

✓ المنهج الجغرافي التاريخي .

✓ المنهج النفسي .

(*)الدراسات الميدانية هي دراسات تجريبية Expost Facto

تهدف لاكتشاف العلاقات والتفاعلات التي تجري بين المتغيرات التربوية والنفسية في بيئة اجتماعية حقيقية، والدراسات الميدانية نوعان: استكشافي والثاني اختبار الفرضيات؛ يتبأ النوع الأول باكتشاف العلاقات بين المتغيرات وله ثلاثة أهداف الهدف الأول اكتشاف المتغيرات المهمة في الميدان والثاني اكتشاف العلاقة بين المتغيرات والثالث لوضع الأساس لاختبار الفرضيات لاحقا: نقلا عن: محمد عبد العال النعيمي وآخرون، طرق ومناهج البحث العلمي، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2015، ص212.

✓ المنهج الانتربولوجي .

✓ المنهج البنائي .

(2) تقسيم الاتجاهات المنهجية في علم الفولكلور لمحمد الجوهري من كتاب علم الفولكلور - دراسة في الانتربولوجيا الثقافية ، الجزء الأول:

✓ الاتجاه التاريخي

✓ الاتجاه الجغرافي واطلس الفولكلور .

✓ الاتجاه الاجتماعي (السوسيولوجي) .

✓ الاتجاه النفسي ودراسة الطابع القومي .

(3) تقسيم مناهج البحث في الفولكلور عند نادية الدمرداش وعلا توفيق من كتاب مدخل الى علم الفولكلور:

- المنهج الفولكلوري .

✓ أولا : الاتجاه التاريخي .

✓ ثانيا : الاتجاه الجغرافي .

✓ ثالثا : الاتجاه الاجتماعي (السوسيولوجي).

✓ رابعا : الاتجاه البسيكولوجي (النفسي).

- المنهج الانتربولوجي

✓ أولا : الملاحظة .

✓ ثانيا : المقابلة .

4) تقسيم قضايا وإشكالات في الأساليب والمناهج في الفولكلور عند عزام أبو الحمام المطور من كتابه الموسوم بالفولكلور- التراث الشعبي (الموضوعات، الأساليب، المناهج)

- المنهج الوصفي بمستوياته المتعددة

✓ الوصف البسيط .

✓ الوصف المستوى (التحليل والتفسير) .

✓ الوصف المستوى التجريدي الدلالي .

- المنهج التاريخي :

✓ منهج أو أسلوب تحليل المضمون.

✓ المنهج الارتباطي (العلائقي).

✓ الدراسات المقارنة .

✓ مناهج البحث الأدبي .

✓ منهج النظم .

✓ منهج التحقيق من الحديث النبوي الشريف .

اختلافات جليلة على مستوى تقسيم مناهج الدراسات الشعبية عند عديد الباحثين فمنهم من أبقى على مناهج معينة مثل المنهج التاريخي ، والاجتماعي والجغرافي ، ومنهم أضاف إليها مناهج أخرى وآخرون فضلوا الجمع بين هذا وذاك، وآخر فضل السير على خطى المناهج الحديثة، وبالتالي لا يمكننا أن نحكم حكم مطلق على أن هذه المناهج قديمة أم جديدة خادمة للدراسات الشعبية أم لا إلا إذا عدنا إلى تتبع مسارها داخل مواضيع الأدب الشعبي وهو الأمر الذي سنتكفل

به عند دراسة المواضيع الأكاديمية "لأن دراسة الفولكلور تسعى إلى تحقيق هدف واحد، ولذلك فإن السبل إليه يمكن أن تتعدد وتتنوع ولا يعرف الفولكلور منهجاً واحداً شاملاً"⁽¹⁾

بالعودة إلى مدونة الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجاً للباحث عبد القادر نظور، فقد استعان بمجموعة من المناهج الخاصة بالدراسات الفولكلورية المحضة ولم يوظف المنهج المورفولوجي والاجتماعي أما بقية المناهج الأخرى فقد طُفح حضورها بين طيات البحث وأقر بأنه ستفاد أيما استفادة من هذه المناهج بداية من :

1- المنهج الجغرافي التاريخي:

أعرب الباحث على أن هذا المنهج " يبرز الروايات المتعددة للمأثور الشعبي في توزيعه الجغرافي والتاريخي مع الكشف عن التطوير والتغير الذي يعتري هذا المأثور زمانياً ومكانياً"⁽²⁾

يجمع المنهج التاريخي الجغرافي شتات الروايات المتعددة للمأثور الشعبي ويكشف عن كيفية توزيعها أو يرصد ملامح التطوير والتغير الحاصلة على المستوى الزمني والمكاني.

تجلت ملامح المنهج الجغرافي بين لبنات بحث الباحث في عدة مواقع مقدماً إياها في مفتح موضوع الدراسة محدد المكان الجغرافي الذي استمد منه مادة دراسته، وتطورت الدراسات العلمية لتراث الشعبي الجزائري عبر مراحل عديدة.⁽³⁾

المكان الجغرافي الذي أخذت منه عينة الدراسة هي الجزائر بعد أن مرت بعدد المراحل إلى

(1) نادية الدمرداش، علا توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور، دار عين الدراسات والبحوث الإنسانية، د ط، 2003، ص 36.

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص ب

(3) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 03.

غاية اكتمال نموها ونضجت، بعدها حدد الباحث مكان الدراسة بدقة متناهية من خلال دراسة
 "واقع الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري"

الجزائر كبلد بحجم قارة تحوي عديد المناطق (الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية والوسطى) التي تشكل جميعا دولة الجزائر، تحتفي كل مناطقها بمقدّرات شعبية معتبرة وبالتالي فالمنهج الجغرافي هو الذي يبرز ارتباط عناصر التراث الشعبي بالظروف الجغرافية، الجيولوجية والمناخية وغيرها من ظروف البيئة الطبيعية"⁽¹⁾ المحيط الجغرافي يكشف من عناصر التراث الشعبي وعن طريقة تركيبه.

درس الباحث المتغيرات التي تحدث على مستوى التراث الشعبي راداً إياها إلى اختلاف وتنوع المناطق الجزائرية، "وقد يبدو للبعض أن الأدب الشعبي أيسر قدره على الحركة من مكان لآخر والهجرة من بلد لآخر متجاوزاً العقبات والحوجز الجغرافية وإن صحّ هذا الحكم لبعض الأعمال الأدبية الشعبية، إلا أنه لا يمكن أن يصدق على طول الخط فتلك الأعمال الشعبية هي مرآة البيئة"⁽²⁾

الإنجازات الأدبية الشعبية على اختلافها وتنوعها سوى كانت قابضة في البيئة المحلية أو خرجت عن نطاقها تبقى تحاكي وتلامس البيئة الشعبية الجغرافية: "لهذا نجد أنواع هذه الأغاني تشبه أنواع الأغاني الأخرى، وتشترك معها كذلك في بعض الخصائص"⁽³⁾

تتشترك الأغاني الشعبية مع بعضها البعض في عديد المناحي، يمكن أن نستشف ذلك في الأغنية

(1) نادية الدامرداش ، علا توفيق ، مدخل إلى علم الفولكلور، ص 41.

(2) محمد الجوهري علم الفلكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ج 1، ط 1، ص 223.

(3) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر — منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 35 .

الشعبية الواحدة تداولها عديد المناطق، لكن اللهجة تختلف مرد الاختلاف الحاصل على مستواها إلى البيئة وطرق العيش والظروف الطبيعية والاجتماعية؛ وبالتالي يبقى "تنظيم المجتمع وشكله يتوقف إلى حد بعيد جداً على طبيعة أرضه وعلى موقعه، فهذه الطبيعة وهذا الموقع هما اللذان يثيران لدى أبنائه كثيراً من الاحتياجات الإنسانية ويعملان على إشباعها"⁽¹⁾

الموقع وطبيعة الأرض مؤثران هاما يحددان نظام المجتمع وشكله ويعملان على إثراء احتياجات الشعب مع إشباعها، "كما هي معيشة في مختلف المجتمعات المحلية التي تشملها منطقة الشرق الجزائري باعتبارها منطقة جغرافية أو مساحة مكانية، يشغلها مجموعة من الأفراد الذين يشتركون في الثقافة عامة"⁽²⁾

الجماعة الشعبية كان لها الفضل في تكوين عناصر التراث الشعبي بتضافر مجموعة من الآليات أسهمت في تكوين "المادة الشعبية وهي عبارة عن واقع معين ومعلومات معينة تعكس تنوعاً عبر الزمان والمكان والانتماء الاجتماعي لحاملها"⁽³⁾

المقدرات الشعبية تنمو في أوساط واقع معين وتستجمع معلومات معينة مرد هذا إلى التنوع الحاصل في خاصيتي الزمان والمكان والانتماء الاجتماعي، من هذا المنطلق "تنبه رواد علم الفولكلور إلى ضرورة استكمال النظرة التاريخية التي تسعى إلى تحديد البعد الزمني للظاهرة المدروسة"⁽⁴⁾

(1) محمد الجوهري، علم الفولكلور، ص 223.

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر - منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 23.

(3) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر - منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 41.

(4) محمد الجوهري، علم الفولكلور، ص 86.

المنهج التاريخي يكتمل نموه بوجود المنهج الجغرافي فالأول ترتب الأجواء الزمنية والثانية تعين المكان، وباتحاد كلا البعدين التاريخي والجغرافي تتشكل صورة حية متحركة تغطي شأيب تلك الظاهرة، وبهذا يتبين أن المنهج التاريخي الجغرافي يتكون من شقين تاريخي يتعلق بتحديد التسلسل التاريخي للمقدرات الشعبية ذات المواضيع المشتركة، وجغرافي يتعلق بتحديد التوزيع الجغرافي لانتشار الروايات المختلفة لمواضيع المقدرات الشعبية ويبحث عن نشأتها وكيفية انتشارها. ⁽¹⁾

"وعلى هذا الأساس فإن النظرة التاريخية لتحول الأغنية الشعبية عبر المكان والزمان تحتم علينا الأخذ بهذا المنظور التي تجسد في السنوات الأخيرة فيما يسمى بنظرية الخصوصية التاريخية" ⁽²⁾ الأغنية الشعبية قابلة للتحويل بمقتضى الزمان والمكان، وهذا بند من بنودها وجب الأخذ بزمامه في تجسيد محتواه على أرض الواقع، "ومن الثابت أن الارتباط الجغرافي لعناصر التراث الشعبي، أي ارتباط هذه العناصر بظروف المنطقة والجماعة التي تسكن مكانا معينا، ذو تأثير حاسم على هذه العناصر" ⁽³⁾

التراث الشعبي مرآة عاكسة لما يحيا في نطاقه الإنسان الشعبي استمد مادته الخام من الجماعة التي تقطن في مكان معين، والذي أنتجه فردا معينا أكثر تحورا من البيئة المكانية أو ظروف المنطقة، لكنها في مقابل ذلك أكثر ارتباطا وخضوعا للسياق التاريخي الزماني.

التراث الشعبي إذا ما تم وضعه عند نقطة تاريخية ما وفي مجتمع معين، فإن ملامحه تتجلى بوضوح بالرغم من وجود بعض الاختلافات في مناطق جغرافية معينة، إلا أن هذا التمايز وهذه

⁽¹⁾ ينظر: أمينة فزاري، مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، 2010، ص 169.

⁽²⁾ عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجا، ص 42.

⁽³⁾ محمد الجوهري، علم الفولكلور، ص 186.

الفروق الإقليمية أبقت على الشكل والملح العام لتراث مجتمع ما في زمن ما .

للمكان خصوصية مميزة لدى صناع المواد الشعبية كيف لا وهو الذي يمدّه بالمواد الأولية لبناء لبنات أفكاره، فهم لا يعبرون من العدم بل إن هناك محركات ودوافع دفعت بهم لإنتاج هكذا علوم وبالتالي فالمكان الجغرافي احتل الصدارة كأسبقيته في صياغة وتركيب معالم الأدب الشعبي .

في حين لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نلغي حلقة مهمة من حلقات تركيب الأدب الشعبي ألا وهو المنهج التاريخي الذي "أسهم في الكشف عن المنشأ التاريخي لمختلف التراث الشعبي وصولاً إلى فهم التطور الذي طرأ على كل عنصر من تلك العناصر سواء أكان حكاية أو عادة معينة أو معتقد أو قطعة من قطع الزّي الشعبي"⁽¹⁾؛ المنهج الجغرافي التاريخي مُقترح رصّ ببيان المواضيع المطروقة و تجلّى حضوره بصفة مباشرة عندما أثار الحديث عن الأغنية الشعبية إبان الثورة التحريرية.

صور الباحث تاريخ الشعب الجزائري وما عاناه من ويلات المستعمر ،سنوات عجاف لا ينطقها إلا اللسان ،هيمنت فيها السلطة الفرنسية على المجتمع الجزائري في المدن الكبرى سياسياً، اقتصادياً وثقافياً، في حين فشلت فشلاً ذريعاً في البوادي والقرى حيث كان النضال وكانت المقاومة.

أدرج الباحث المنهج الجغرافي التاريخي في عديد من المواقع، فقد عاد بنا إلى مرحلة مهمة من مراحل تاريخ الجزائر وعن كيفية تحرك المستعمر بين المدن والقرى، "من هذا يتضح بكل جلاء أنه

(1) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص176 .

(2) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور و الفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي، الإسكندرية،

مصر، دط، 1993، ص23

لأمناس من الاستعانة في الوقت نفسه بالطريقتين الجغرافية والتاريخية كي نتمكن من فهم الموضوع المدروس - ببعديه الزماني والمكاني - كشيء متطور وكائن في آن واحد معا ⁽¹⁾

أسهم المنهج الجغرافي التاريخي في الكشف عن مختلف التشكيلات التي تصافرت جميعها في تحديد مسار البحث والكشف عن كنة التراث الشعبي؛ وسلط الضوء على الثقافة الشعبية بغض النظر عن حاملها، لكن الأمر المفروغ منه أن نضع في الحسبان أن الإنسان هو حامل التراث الشعبي وهو من يتكفل بنقل الظاهرة عبر الزمان وينشرها داخل المكان.

الأغنية الشعبية ذات أصول تاريخية مجتمعية، تفصح عن الإرتدادات الثقافية والجهوية التي وسمت الأغنية عبرت عن الشخصية والنفسية الاجتماعية لسكان المجتمعات المحلية باعتبارها حجر الأساس للوحدات المكانية تسعى في جهد حثيث لإرساء تنظيم اجتماعي يكشف عن الروابط والعلاقات المشتركة بين الأفراد، ولم يتوقف الباحث عبد القادر نظور عند حدود هذا المنهج، بل استعان بمناهج أخرى مغايرة تعنى في المقام الأول بدراسة المقدرات الشعبية، من بينهما:

- المنهج النفسي: (السيكولوجي):

يعنى هذا المنهج بدراسة الأحوال النفسية التي يحيا فيها صانع المحتوى الشعبي، ويهتم بإلقاء الضوء على الجوانب الشعورية واللاشعورية التي تمخضت في فكر الإنسان الشعبي، هذه الإبداعات التي يقوم الإنسان الشعبي بإنجازها مرددا إلى دوافع لا شعورية، ترجع جذورها إلى مدرسة فرويد تسمى بمدرسة التحليل النفسي، إذ ظهرت مدارس عدة وتسميات مختلفة أولت الاهتمام بالجوانب النفسية للإنجازات الشعبية على تنوع مسمياتها، تتفق في تركيزها على الملمح

(1) محمد الجوهري، علم الفولكلور، ص 187.

النفسي الإبداعي الشعبي وتضعه في قمة اهتمامها.

الطابع العاطفي أهم ما ميز الأغنية الشعبية كونها عبرت عن الأجواء الداخلية (النفسية) للإنسان الشعبي، وهو في حالة مزاجية هادئة ذات تعابير عفوية وبسيطة تنم على الاتزان النفسي لمبدعها، تجلت الملامح العامة للمنهج النفسي و"بدأت خيوطها الأولى في علم الفولكلور تظهر مع "أودلف شبامر" بنظريته عن "نمط الإنسان الشعبي" بوصفه يمثل الدراسة في علم الفولكلور"⁽¹⁾

"أودلف شبامر" أول من نوه بالمنهج النفسي وعلى مدى فعاليته في الأدب الشعبي تحدث عن إسهاماته في بلورة أفكار الإنسان الشعبي وطرحها في قوالب شعبية إبداعية، تعرب عن خلجات روحه، هذا ما احتوت عليه الأغنية الشعبية في ارتباطها "بالعقائد والطقوس وإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية، والترويح عن النفس والتعبير عن مسيرة الإنسان في مراحلها المختلفة"⁽²⁾

يولي الاتجاه النفسي اهتمامه في المقام الأول بالجوانب النفسية وما لها من أهمية كبرى في الإحاطة بالعوامل الأساسية في تكوين ملامح الأدب الشعبي، يؤسس لمضامين موضوعاته تبعاً للانفعالات معينة حزينة كانت أم مفرحة، وتجلت ملامح هذا التوجه بصفة مباشرة في بحث الباحث عبد القادر نظور خاصة عندما صور حالة الأم الحبلى قبل أن تستقبل جنينها وتتهيأ لدخول مرحلة الأمومة بكل حب وحنان وسرور.

صور الباحث الحالة النفسية للأم وهي تنتظر جنينها بفارغ الصبر، فهي مفعمة بالحب والحنان والمشاعر الفياضة تكنها لفلذة كبدها وضياء عينيها، تحيطه وتحرسه بها خاصة عند تمهينها له

(1) أمينة فراري، مناهج دراسات الأدب الشعبي، ص 191 .

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 29 .

بمستقبل زاهر مليء بالسعادة والفرح الدائم، وتجلى المنهج النفسي بوضوح "عند هدهدة الأم لطفلها وهو يتفاعل مع شعورها وهي تعبر عن أحاسيسها الداخلية بصورة أدق وأسرع وبأسلوب مباشر" (1)

أبان المنهج النفسي عن ملامحه في الأغنية الشعبية وفي تعامل الأم مع وليدها وهي تقدمه ليخلد للنوم يندمج معها وهي تغني بصوت شجي مفهم بالعطف والحنان، ومن باب أن "الطفل يعيش مع لا شعوره فترة من الزمن يستمع فيها بما تقدمه له الأم من طعام ودفع وحماية، ثم يندفع الطفل - بقوة دفع الحياة - إلى الحركة وإلى التغيير وأخيرا إلى التحول." (2)

الطفل في مرحلة نموه الأولى يكون على اتصال مباشر ودائم مع أمه يترعرع في أحضانها، ويحتسي الحليب من ثديها يتعلم منها مبادئ الحياة الحقة بصوت الأم الناعم وأغانيها المعبرة يكون بنى شخصيته، خص الباحث الحديث عن الملامح النفسية داخل مدونته بأن خصص لها جزئية كاملة تعني بهذا الجانب وسمه بعنوان العاطفة تحدث فيها عن هذه الخاصية التي تتنوع وتختلف بحسب الحالة النفسية والمزاجية التي يحيا فيها مبدع الأغنية، محمدا محتوى العواطف التي تختلف بين كافة "أبناء المنطقة، كالعاطفة الوطنية، والعاطفة الإنسانية، وتعكس آلامهم بالطريقة التي يستخدمها عامة الشعب ومن ثمة تكون قريبة مما يسمى بالضمير أو العقل الجمعي" (3)

هناك عواطف وأحاسيس مشتركة بين جمهور الشعب تقاسم أفرادها ذات الشعور ونفس العواطف كثفوا جهودهم لتصدي لهذه الارتدادات العنيفة التي تعرض لها الوطن برمته، بأن

(1) عبد القادر نطور ، الأغنية الشعبية في الجزائر ،منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ،ص64.

(2) نبيلة إبراهيم ، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ،ص 246.

(3) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 168 .

كفكفوا دموعهم ولملموا جراحهم لرفع صوت الحق عاليا وردّ الاعتبار للوطن" والمحتوى اللاشعوري الفعال يطفو إلى حالة الشعور حينما يصل إلى مرحلة الإدراك في شكل صورة رمزية لانفعال نفسي محدد فالشكل الداخلي لا يصبح محتوي شعورياً إلا إذا أمكن تصوّره، أي أنه يصبح قابلاً للتجسيد والتجسيم في شكل صورة" (1)

اللاشعور تبرز قيمته الفعلية عندما يصل إلى الشعور المقترن وجوده بوجود الإدراك تكشف عن دواخل ملامحه الرمزية المجسدة للانفعال النفسي، والشعور لا يصبح شعوراً إلا إذا أفصح بشكل مباشر عن تصور قابل للتطبيق (التجسيد والتجسيم في شكل صورة)، "وعليه فإن دراسة العاطفة في الأغاني الشعبية تأخذ هذه المتغيرات بعين الاعتبار دور عزل أية أغنية في سياقها الاجتماعي التاريخي" (2)

الإبداعات الشعبية تفصح على الوعي الجمعي من أجل تأسيس وبناء إنتاجات شعبية، تجلت فيها ملامح اللاشعور الجمعي عبرت عن عواطف وأحاسيس الجماعة الشعبية وعن حنين دفين (لاشعوري) وبالتالي وحدة النفس البشرية. المنهج الأنثروبولوجي:

منهج آخر استعان به الباحث في تكوين لبنات بحثه، هذا المنهج الذي يعني " بدراسة الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي ويشمل موضوع بحثها جميع ظواهر الحياة الاجتماعية من غير تحديد لزمان أو مكان وبالتالي فهو يعني: بدراسة الإنسان ودراسة أعماله" (3)

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 246

(2) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 171.

(3) أمينة فزاري، مناهج دراسات الأدب الشعبي، ص 173.

هذه النقطة بالذات قد أثارت حفيظة الباحث لوجوب وضع هذه الخاصية نصب الأعين، الأمر الذي ركزت عليه الدراسات الشعبية وأسست لمعالمه على إثره، فالإنسان هو مبدع ومنهج الإبداعات الشعبية والمحرك الأول لمقاليدها ووجب الوقوف عند هذه الشخصية وكيف عبرت عن مكنونات ذاتها وسكبها في قوالب إبداعية، ما الداعي إلى ذلك؟ هل هي تفسير خلجات روحه؟ أم أنها صورة الملامح العامة للبيئة الشعبية؟، ثم هل عبرت الإنتاجات الشعبية عن دواخل الإنسان الشعبي؟ وهل هذه الأعمال جاءت مطابقة لأحاسيسه ومشاعره؟ تساؤلات عديدة أحاكت في هذا الشأن، هذا ما عبر عنه باحثنا حين اقر إبداعات المجتمع الشعبي والمتمثلة في الأغنية الشعبية "قديمة قدم وجود الإنسان، حيث كانت غذاء روحياً له، ولحناً ينبعث من وتر الحزن من قيثار الحياة، وصدى لنوازع النفس في الأمل والتطلع للمستقبل، بحر تتلاطم فيه أمواج التفكير الشعبي ببساطة وعفوية"⁽¹⁾.

إن موضوع الأغنية الشعبية قديم قدم وجود الإنسان، رصد الباحث جل ما هب ودب، بدأ بمنجزه هذا الإبداعات وصولاً إلى عمله الأغنية الشعبية، فالانجاز الشعبي مقترن بشكل مباشر بما يبدعه ويتفنن في إحاكته جمهور الشعب الذي "خلّد حياته في أغانيه، فلم تكن مجرد مبدعات فنية وإنما لوحات تصور مختلف أوجه الحياة، فهي تعبير مشترك لما يخطر في قلوب الناس"⁽²⁾.

يركز هذا المنهج بالأساس على الإنسان كمحرك أول في عملية إنتاج وتكوين المادة الشعبية فلوما الإنسان لما تكونت وقيلت هذه الإنتاجات، بيد أن حضوره شكل منعطف حاسم في تاريخ الدراسات الشعبية ولم شملها، هذا المنهج كشف عنه عديد البنى يكفي أن المنجز الذي بين أيدينا

⁽¹⁾ عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 30.

⁽²⁾ عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 31.

يندرج ضمن البحوث الميدانية.

الباحث اتبع في صياغة بحثه على خطة منهجية محكمة تشمل على عديد العناصر، وبالتالي فإن التزول إلى أرض الواقع كشف اللثام عن عديد القضايا، فهو في دراسته يتعامل مع مادة حية وحيوية ملموسة، يتعامل مع صوت وصورة، ستكون دراسة مستوفية الشروط تامة العناصر، فهو عايش التجربة وأحسن التعبير عنها من منطلق المثل الشعبي القائل "أَتَشُوفُ الْعَيْنَ إِيْطِيْبُ الْحَاظِرُ"، انتقل الباحث عبد القادر نظور إلى قلب الميدان ورصد عديد المظاهر التي احتفت بوجودها عينة دراسته (الشرق الجزائري)، تجلت ملامح المنهج الانثربولوجي بشكل مباشر في تصوير الباحث لبعض المعتقدات والطقوس التي يؤمن بها أصحاب المنطقة ويحرصون على تطبيقها، فعند ميلاد الطفل "والاهم عندهم هو الإبقاء على حياة الطفل، بإبطال العين الشريرة، بوضع حجاب في عنق الطفل، وهذا على الحبل السري للمولود إلى جانب حبات من الفول و الملح والحناء" (1)

لم يكتف الباحث بإيراد الأغاني الشعبية الخاصة بالمناطق الشرقية، بل انه دون بين صفحات منجزه العديد من المعتقدات والطقوس التي ترافق دورة الحياة، لهذا فالفولكلوريون يستفيدون من عديد الوسائل في جمع البيانات المعروفة في الدراسات الانثربولوجية وهي: (2)

✓ ملاحظة السلوك.

✓ مقابلة أفراد مجتمع البحث لجمع مزيد من المعلومات المتعلقة سلوكهم ومعتقداتهم الكامنة وراء هذا السلوك .

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 60 .

(2) ينظر: نادية الدمرداش وعلا توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور، ص 48 .

✓ التسجيل المنظم للبيانات والمعلومات المختلفة عن طريق المذكرات و التصوير والتسجيل الصوتي وجمع النماذج .

منهج استعان به الباحث في عديد المواضيع وخاصة في الجانب التطبيقي لمسنا وجوده في الأغاني الشعبية وما تحمله بين أعطافها من بنى وقيم وعادات وتقاليد وطقوس ومعتقدات ، طمح حضورها بين اسطر المذكرة و أبان على "إن الإنسان منذ القديم له طقوس و ممارسات سحرية استخدمها كجزء من التكنيك الوحي للسيطرة على الطبيعة وجعلها في خدمته" (1)

المنهج الأنثروبولوجي ساعد كثيرا في الكشف عن أهم الطقوس والممارسات الرائجة تداولها في المناطق الشرقية الجزائرية ، فمن سياق الأغنية وما يرافقها من تشكيلات يتم فهم محتوى هذه التوظيفات ودلالاتها وكيف تجلت بين أعطاف البحث من مثل علاقة القائمة بين الفلاح الجزائري بمحيطه.

علاقة وطيدة تجمع الفلاح بأرضه وعقائده، تتجلى في صورة شكوى تحمل رسالة وتذمر الفلاح من قسوة العمل جراء الآلات البدائية المستخدمة، فيلوذ إلى الأغنية الشعبية ليعبر فيها عن مكونات الروح ويفصح لها عن أسرارها وعن انشغالاته اليومية، باعتبار أن "دراسة الأغنية الشعبية من الناحية الأنثروبولوجية تعنى إبراز ما ترسب في الأغاني من معتقدات وتصورات قديمة، وإن بدت هذه المعتقدات والتصورات في شكل جديد يتناسب مع الظروف الحضارية التي يعيشها الناس" (2) الدراسة الأنثروبولوجية للأغنية الشعبية أفضت إلى استجلاء جميع الترسبات القابعة خلف أسوار الأغنية من عادات ومعتقدات، وإن تجلت هذه الأخيرة في حلة جديدة تتواءم والظروف

(1) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر ،منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص110.

(2) ينظر: نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، ص 255.

الحضارية التي يعيشها الناس، هذا ما أعرب عنه الباحث حين أقر بأن الأعراس كثيرا ما ترافقها "عادات وتقاليد منها ركوب العروس فرسا في القرية وهي لابسة ثوبا أبيض طويلا واضعة على رأسها خماراً، لكن هذه العادة قلت في السنين الأخيرة واستعين بالسيارة وبالمشي على الأقدام"⁽¹⁾ طقوس ومعتقدات تحيا وأخرى تندثر بفعل عوامل كثيرة كالزمان والمكان، وهذا ما وقف عنده الباحث عندما صور حال العروس وهي تمتطي فرسا بلباس ابيض وخمار على رأسها، هذه العادة أقل نجمها في الوقت الراهن واستبدلت بالسيارة.

-المنهج الوظيفي:

منهج آخر ساقه الباحث بين دفات بحثه واعتراف بأنه من بين أهم المناهج التي اتكأ عليها خاصة في الجانب التطبيقي، يكفي أن كلمة الوظيفية لوحدها كفيلة بأن تدلي بدلالاتها ففي العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة الروابط الثقافية والاجتماعية وتطبيقاتها على العلوم الفولكلورية خاصا بذلك دراسة عناصر المادة الشعبية.

وظف الباحث ملامح المنهج الوظيفي عندما قام بدراسة العلاقة القائمة بين الثقافة والمجتمع ومن ثمة إلقاء الضوء على العوامل الثقافية في المجتمع أو الشخصية أو التفاعل الاجتماع يوضع جل هذه الآليات في الحسبان بغية الغوص في أعماق المواقف الاجتماعية، وما تحويه من عادات ومعتقدات وممارسات شعبية، ركز المنهج الوظيفي على الدور الذي يقوم به التراث الشعبي في ثقافة معينة "وبهذا الخصوص تعد الأغنية الشعبية جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع، فهي وسيلة تعبيرية عن حاجات الإنسان وآماله وواقعه في أي وسط اجتماعي وتبين كيفية التعبير عما يجيش في

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر — منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 95.

قلب المجتمع من أحداث" (1)

انطلق الباحث في تبيان العلاقة القائمة بين المنهج الوظيفي و التراث الشعبي من منطلق الأغنية التي هي إحدى تشكيلات الثقافة الشعبية عبر فيها الإنسان عن كل ما يساور تفكيره ،وما يخص محيطه الاجتماعي معرجاً للكشف عن كيفية استقباله للأحداث والتعبير عنها، يبقى الغرض الأساسي من "دراسة النظم السلوكية الراسخة عند شعب من الشعوب، وتداخل هذه النظم بعضها مع بعض، والتعرض لها بالتحليل، هو خدمة المنهج الوظيفي" (2)

الغرض إذن هو من دراسة النظم السلوكية لأي شعب من الشعوب، واحتواءها بالدراسة والتحليل هو دعم وإثراء المنهج الوظيفي الذي سلط الضوء على دراسة وظيفة هذه النظم بشكل منفرد ثم جماعي ورصد تأثيراتها على الملامح الحضارية" ثم إن التعبير عن الحياة الإنسانية بشكل إحدى المتطلبات الأساسية للحياة وتجسد على الخصوص في الأغنية الشعبية التي تعكسها في غايتها الاجتماعية والمحلية " (3) .

تتجلى ملامح المنهج الوظيفي فيما تقدمه الأغنية الشعبية من تعابير ورؤى تخدم بالدرجة الأولى الإنسانية مطلب أساسي يحمل مطالب وغايات اجتماعية ومحلية، ووجب على الباحث أثناء القيام بعملية التحليل الوظيفي أن يضع نصب عينيه سلوك الإنسان البدائي الذي يتركب من مزيج عقلائي حتى يتمكن من الانغماس في واقع الإنسان الشعبي، بدعوى أن "الوظيفة ترتبط بنمط النشاط الذي يقوم به الجزء أو الكل حيث لا يكون غيره قادر على أن يقوم بمثله، وفي مجال

(1) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر ، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 54

(2) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، ص 181.

(3) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر ، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 106.

الفولكلور يقصد بالوظيفة الأدوار التي يلعبها التراث الشعبي⁽¹⁾

تسلط الوظيفة الضوء على نمط النشاط في تميزه وتفرد به بالمهام المنوطة به وأدائه على أكمل وجه، أما في ميدان الفولكلور فتعني الوظيفة بالأدوار المختلفة التي يقوم بها التراث الشعبي، تجلت ملامح هذه التوجه في " الأغاني لتضمنها أشياء معينة وفنية كاحتوائها على طابع الحزن والتأكيد عليه، والتأكيد على ظاهرة العمل "⁽²⁾

مرد الاختلاف القائم على مستوى الوظيفة إلى الاختلاف السائر في التنظيم الاجتماعي، دليل ذلك أن وجود وظيفة نظام سلوكي بعينه أو عادة من العادات ومدى فعاليتها مع عادات أخرى.

تتجلى الوظيفة في الأغنية الشعبية الثورية و "تؤجج حماس الجماهير وتزيد من فعاليتها وتستقطب أنصارها و مؤيديها وتحاول طرح مفاهيم الثورة "⁽³⁾

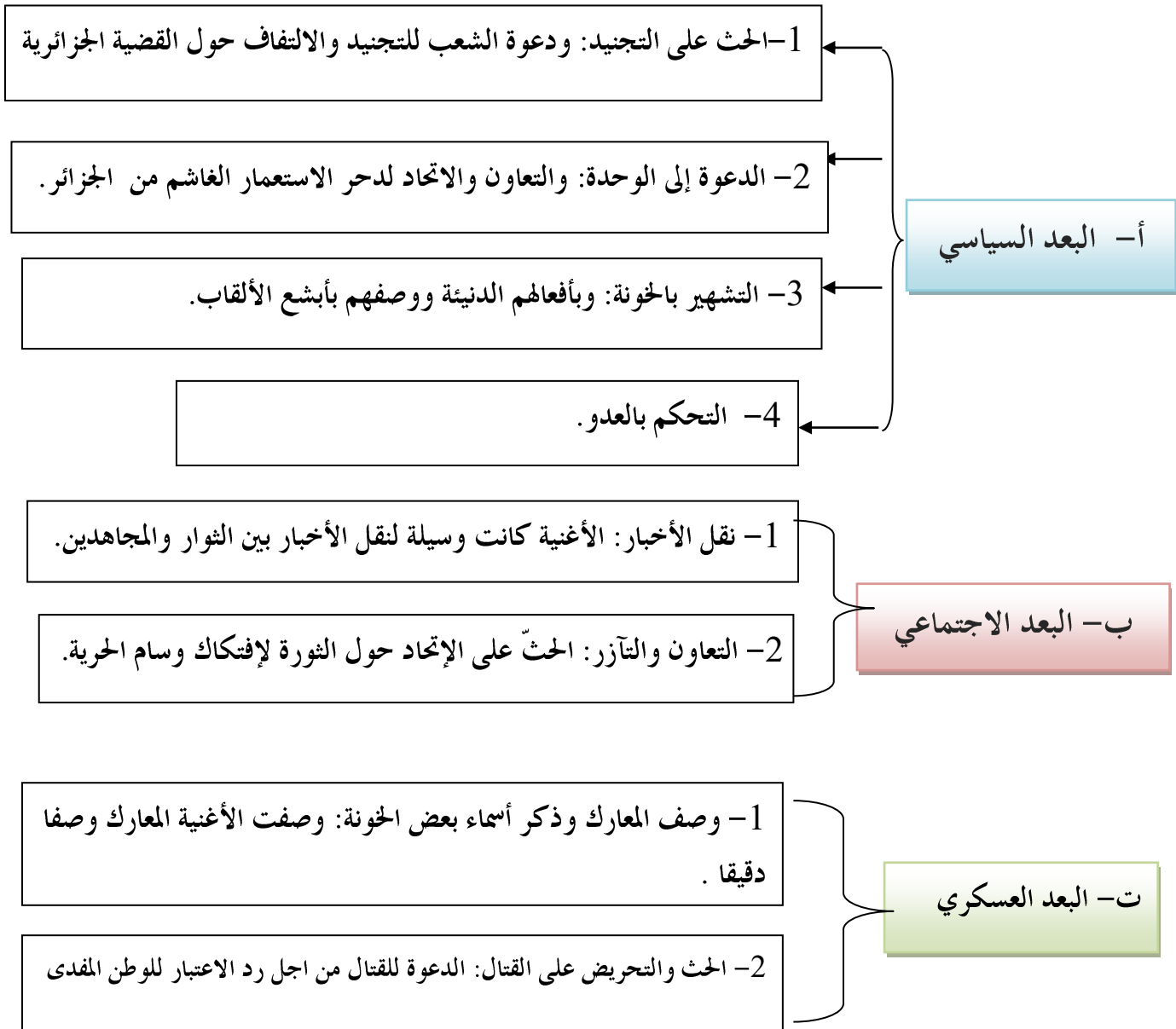
ارتأى الباحث إلى قسم الأغنية الشعبية الثورية إلى عديد الوظائف تدرج تحت لواءها جملة من العناوين الفرعية الأخرى، أجمالها في النقاط التالية:⁽⁴⁾

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور و الفنون الشعبية، من منظور علم الاجتماع، ص 29 .

(2) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 123 .

(3) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 129.

(4) ينظر: عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 129، 130، 132



لخص الباحث وظائف الأغنية الشعبية في مجموعة نقاط يكون بذلك قد سار على خطى المنهج الوظيفي الذي يتطلب "البحث عن العلاقة الوثيقة بين النظم السلوكية المختلفة، ويكون البحث عن هذه الحالة أبعد ما يكون عن مجرد دراسة اثنوجرافية" ⁽¹⁾

⁽¹⁾ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 186 .

- المنهج الفني الأدبي:

منهج آخر ضمنه الباحث بين فصول بحثه، هو منهج يقوم على "مواجهة الأثر الأدبي بالقواعد والأصول الفنية المباشرة، ويعتمد هذا المنهج أولاً على التأثير الذاتي"⁽¹⁾، يركز المنهج الفني على ركيزتين: أولى ذاتية نابعة من ذات المبدع تنطبع بالمنحنى الجمالي، وأخرى موضوعية تتشكل من قواعد وأصول فنية خارجة عن ذواتنا، عبّر الباحث عن هذه الخاصية فقال إن "الخيال إنتاجي أو جمالي فكلاهما يشخص إبداعات مؤلف الأغنية وإمكانياته في إبراز تناقضات واقعية وتطلعات أمته، فضلاً عن إضفاء الطابع الفني على نص الأغنية"⁽²⁾

في إطار حديث الباحث عن تشكيلات الفنية في النصوص الشعبية جنح لبيان ذلك إلى الخيال ودوره في تكوين ملامح الأغنية الشعبية في كشفها عن الخلفيات والتناقضات الواقعية القابعة في أمته، إضافة إلى اتسام الأغنية بالطابع الفني .

الدوق الفني الرفيع حتى يضمن فعاليته وجب أن يحوي بين أعطافه القوة المعبرة والمؤثرة في الآن ذاته، تحتكم في صياغتها على تجارب شعورية ذاتية ، وذات اطلاع واسع بمأثور الأدب و"هذا يشير إلى التنوع والثراء الثقافي واللغوي ولا يتوقف أنصار هذا الاتجاه عند هذا الحدّ، بل يربطون بين عناصر ومكونات الأغنية الشعبية بمستوى التحضر والتقدم وطبيعة البيئة"⁽³⁾

(1) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، د ط ، دت ، ص 132 .

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 160 .

(3) سيد قطب النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 123 .

وضح الباحث موقفه من هذا المنهج ومدى فعاليته في محتوى دراسته ارتأى إلى تضمين ملاحظته ، ذهب إلى الإقرار بأن من أسباب التنوع والثراء الثقافي واللغوي في الأغنية الشعبية يعود إلى مدى استهلاك معالم المنهج الفني الأدبي في إحاكة أمشاج المدونة الشعبية.

بعد أن تحدث الباحث عن أهم المناهج الشعبية الفولكلورية العالمية التي استعان بها في تشكيل فصول بحثه ، ولج إلى مناهج أخرى مخالفة ودخلية عن المناهج السالفة الذكر للمنهج الفني الأدبي وبحسب اطلاعنا وتقليبنا بين عديد المراجع الخاصة بالدراسات الشعبية، لاحظنا وجود اختلافات جلية في تقسيمات المناهج وراح كل واحد يدلي بدلوه في هذا المقام، هذه النقطة أفصحت على أن الباحث ساق منهج جديد لم يسبق للباحثين في العلوم الفولكلورية إلى طرق بابه، التمس فيه مظاهر فريدة قلما أثار الدارسون البحث فيه خاصة في إطار حديثهم عن الجوانب الفنية والجمالية و"يكشف عن القيمة الجمالية في التعبير الفني من خلال تحليله الشكلي، والربط بين الشكل والمضمون" (1)

- المنهج الوصفي:

منهج طرق الباحث بابه واستعان بثمار نتائجه في تبيان أفكاره، تجلت سيمات المنهج الوصفي في مواضيع كثيرة من البحث، فكان محور دراسته يدور حول الأغنية الشعبية حاول أول الأمر التأصيل لهذا المنحى، بأن استعراض مجموعة من التعريفات الأجنبية والعربية شرحها وحللها وفسر إياها ليخلص في نهاية المطاف إلى الإدلاء برأيه الخاص وتقديم تعريفه "فهي مرآة تنعكس عليها عواطف الإنسان الشعبي وطبيعة تفكيره

(1) عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص ب.

وأما ترتبط بأحاسيس الناس وتتواصل مع مشاعرهم، أنها تتميز بالنعمة والحن مما يجعلها تنتشر و تتغلغل داخل الإنسان الشعبي" (1)

المعايشة الفعلية للباحث لعينة دراسته وما رافقها من ملاحظات ومقابلات لأفرادها اكسبه العديد من المميزات وطعم ميدان دراسته بها، معرجا على ذكر التطور الحاصل على مستوى الأغنية الشعبية إذ "صارت باقية لتقليد طوت الأيام منها على أشياء وأبقت على أشياء، بحيث أصبحت لوحة من لوحات تاريخ الشعب ومراحل تطوره" (2)، بعدها عرج الباحث إلى ذكر أنواع الأغنية الشعبية مقسما إياها إلى ثلاثة أقسام (أغاني المناسبات الاجتماعية ، أغاني العمل والموال)، يكون بذلك قد قدم وصفا دقيقا لمواضيع كبرى تنطوي تحت لواءها مواضيع أخرى صغرى "وظيفتها في وصف الظاهرة التي يدرسها من خلال جمع المعلومات عنها ووضعها بدقة ويقدمها بتعابير كيفية وكمية" (3)

تجليات المنهج الوصفي ظهرت بشكل مباشر عند حديث الباحث عن الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري و"كأي منطقة من مناطق الوطن ترجع إلى أجيال الأمم البدائية ومعتقداتها الطقوسية الفطرية، وعن عوامل محلية إقليمية من أثر البيئة المكانية والزمنية التي تؤثر فيها تأثيراً بيناً" (4)

كل منطقة من مناطق الجزائر تحتوي على مقدرات شعبية خلقتها لها الأمم السابقة

(1) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر ،منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص21.

(2) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص31.

(3) سعد سلمان المشهداني، منهجية البحث العلمي، دار أسامة، عمان الأردن، ط 1، 2019، ص 126 .

(4) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر ، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً ، ص 35 .

تحتوي معتقدات وطقوس تؤمن بها وتجعلها نبراس تقتدي به في مطبات الحياة، طبعت بعوامل محلية إقليمية من تأثيرات البيئة المكانية والزمنية، من هنا بات من "الضروري على الباحث أن يتوفر لديه وصفاً دقيقاً لما يقوم بدراسته من ظاهرات قبل أن يمضي لحلّ المشكلات التي اقتضت للدراسة هذه الظاهرات" (1)

ملاحظ المنهج الوصفي استعان بها الباحث في تشكيل الفصول التطبيقية، خاصة في حديثه عن الأغنية الشعبية ودورة الحياة بدأ من مرحلة الطفولة ومن منطلق "أنها تتم بالظروف والعلاقات القائمة، والممارسات الشائعة، والمعتقدات" (2) هذا الأمر تكفل الباحث بإبراده في مضمون بحثه عن الأغنية الشعبية بعدها "جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع، فهي تعبيرية عن حاجات الإنسان وآماله وواقعه في أي وسط اجتماعي" (3)

الأغنية الشعبية هي إحدى لبنات ثقافة المجتمع، عبّر فيها الإنسان آماله المرسلّة وعن أحلامه الكامنة، عن واقعه، فهي آلية تجسد التراث المشترك للمجتمع وعن كيفية تعبيره عن أفكار المجتمع في تعاملاته مع الأحداث وحتى يكون الوصف شاملاً لأبعاد الظاهرة وعناصرها ودينامياتها إذا ما كانت في حالة الحركة أو التفاعل (4)

تتبع الباحث الأغاني الخاصة بدورة الحياة منطلقاً من أغاني الميلاد ثم السبوع، وترانيم الأطفال وترقيصهم وختانهم وألعابهم، استجمع مجموع الأغاني التي قيلت في هذا

(1) ينظر: جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، ص 134 .

(2) محمد عبد العال النعيمي وآخرون، طرق ومناهج البحث العلمي، الوراق للنشر، الأردن، د ط، 2015، ص 227 .

(3) عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر، منطقة الشرق الجزائري نموذجاً، ص 54 .

(4) عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور، التراث الشعبي، ص 187

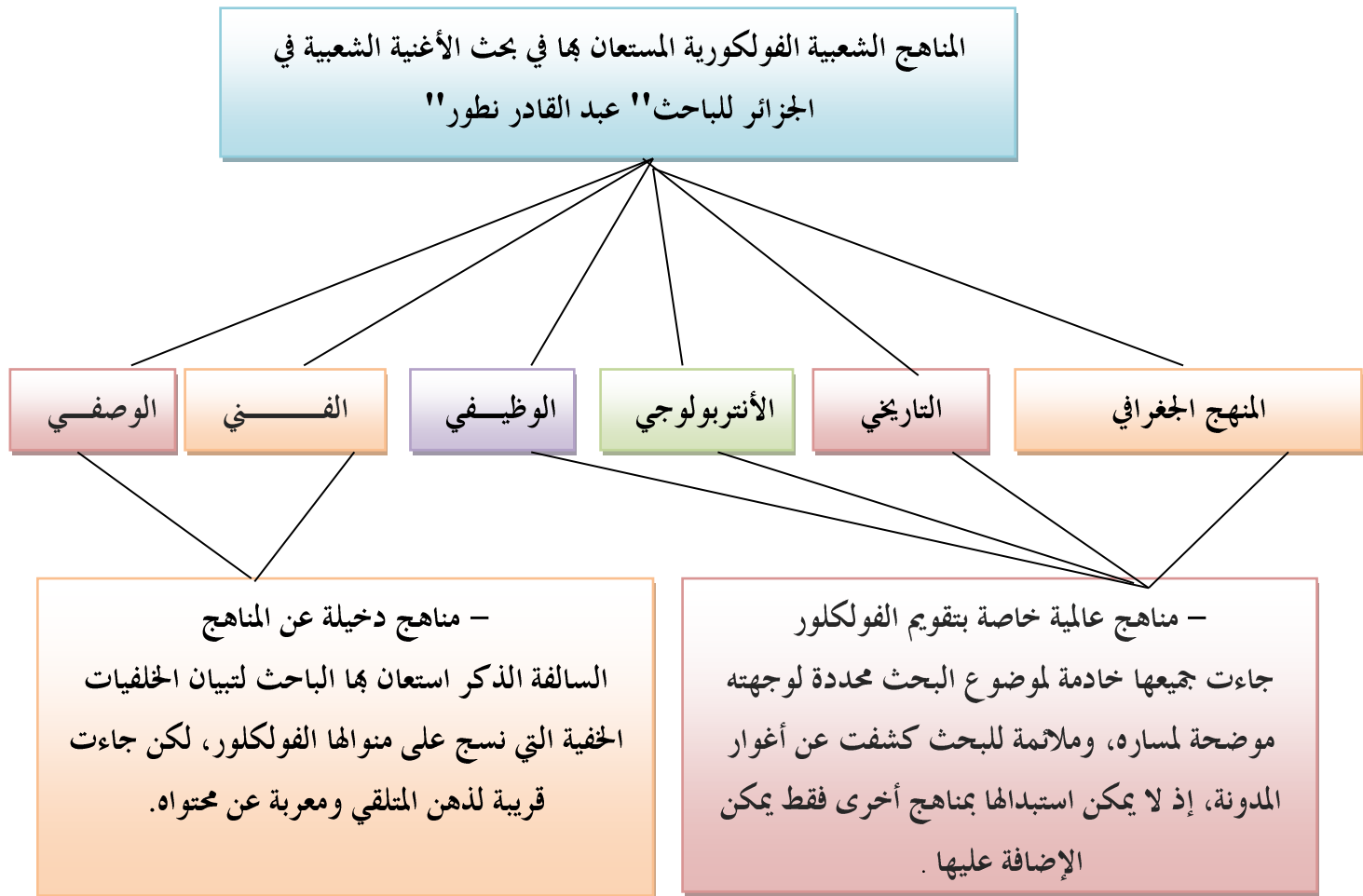
الشأن، أرفق هذا بذكر بعضا من الطقوس المرافقة لهذه المناسبات.

طقوس ومعتقدات ترافق ميلاد الطفل وتحرس النسوة على تطبيقها بحذافيرها كونها عادات استمدت أصولها من الماضي التليد ودأبت الفئات الشعبية على ممارستها والتبرك بإقامتها حتى تصدّ الحسد عن المولود الحديث الولادة؛ أي أنها "لا تكتفي بتسجيل النص المجرد عن المناسبة، ذلك لأن التبصر في الظروف المحيطة بالنص من شأنه أن يضيف معان قد تكون جوهرية للنص".⁽¹⁾

بحضور المنهج الوصفي يكون الباحث قد أتم استخدام جميع المناهج التي رصّها بنیان بحثه، تراوحت بين الخاصة بالفولكلور والدخيلة عليه، بهذا الشأن سوف تقوم بفرز كلا منهما، ونقف عند أبعاد هذه المناهج فيما كانت خادمة لموضوع البحث شارحة إياه وفاصحة عن مكنوناته أم زادته غموضا وضبابية، مناهج البحث التي اتكأ عليها الباحث جميعها خاصة بمناهج البحث العالمية الخاصة بالفولكلور، استثنى الباحث منها المنهج الأنثربولوجي والاجتماعي والبنائي، في حين أن بقية المناهج استعان بها وتجلت ملامحها وحضورها الملفت للانتباه بين فصول البحث، أما عن المناهج الحديث التي دخلت حيز الخدمة في فصول البحث فتكمن في: المنهج الوظيفي والمنهج الفني الأدبي .

⁽¹⁾ عزام أبو الحمام المطور ، الفولكلور، التراث الشعبي ، ص 187 .

- الشكل رقم 01 : يوضح المناهج الشعبية الفولكلورية المستعان بها في بحث الأغنية الشعبية في الجزائر للباحث "عبد القادر نظور":



استخدام الباحث لمناهج جديدة من باب أن المنهج الفني الأدبي يبحث عن مكان الجمال والفن في الإبداعات الشعبية كونها غنية بمواضيع تستحق الدراسة بتركيبات ألفاظها الشعبية المميزة كما هو الحال بالنسبة للأغنية الشعبية، وإضفاء المنهج الوصفي زائداً أكثر ترسيخاً كونه انطلق في دراسته من الميدان كان لزاماً عليه أن يصف المكان وعقلية أصحاب المناطق الشرقية عاداتهم وتقاليدهم "وهكذا تتداخل المناهج و تتكامل

أساليب البحث وأدواته العلمية المختلفة لتحقيق غايات متنوعة، هذه الغايات جميعاً تستخدم نظرية المعرفة عموماً، وتوضح الجوانب المتنوعة لأوجه الظاهرة الاجتماعية والنتائج المعرفية⁽¹⁾

باتباع الباحث لجميع هذه المناهج سواء الفولكلورية أم الدخيلة عليها يكون الباحث قد استوفى جميع الشروط، وكفى ووفى بضبط قيمة ومقاس بحثه بأن ألم بجميع جوانب بحثه من حيث العدد والتعداد، فكانت جلّ هذه المناهج خادمة لبعضها البعض قومت عود البحث، وأردته أكثر قرباً وملامسة لمخيال المتلقي واستمالته بفضل تركيبها وتشكيلها المميز .

فتحت مدونة الباحث عبد القادر نطور آفاق جديدة للباحثين في مضمار الأدب الشعبي كونه استعان في تركيب لبنات بحثه بأغلبية مناهج الفولكلور المستخدمة في العالم، وما إضافة المناهج التي ضمنها في فحو عمله إلا لتبيان مدى مرونة وحيوية الفولكلور (الأدب الشعبي) في تأقلمه وتماشيه مع جميع القوالب الشعبية، وجعلته أكثر وضوحاً وأشد رسوخاً وأبانت عن الكثير من القضايا والقيم المتجذرة في الذاكرة الشعبية الجزائرية وبثت بين كلمات وخلف عبارات الأغنية الشعبية ليصل صداها لأبعد الحدود.

(1) عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور، التراث الشعبي ، ص 168 .

- ثانيا: مدونة: "التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي للباحث" عبد اللطيف حني

بعد أن أتممنا رحلة البحث عن المناهج المتبعة بين أعطاف بحث الأغنية الشعبية في الجزائر للباحث عبد القادر نطور وتتبعنا حركتها ومسارها وحاولنا استجلاء تركيباتها، حزمنا أمتعتنا وتهيأنا للرحيل إلى وجهة أخرى وإلى ميدان بحث آخر نستقضي الأمر ونغوص أكثر بين حنايا المناهج وتوظيفاتها من قبل الباحث عبد اللطيف حني بمنجزه الموسوم ب: التشكيل الفني في ديوان عبد القادر بلطجي ونقف عند أبعاد المناهج الموظفة ، فقد استخدم :

- المنهج التاريخي (*):

نلمس حضور هذا المنهج بشكل كبير عند بحث الباحث عن سيرة حياة الشاعر عبد القادر بلطجي، حيث أقر منذ البداية عن صعوبة البحث في هذا المضمار راداً إياه لعدة أسباب حالت دون إرساء دعائم بحثه بالشكل المطلوب وبالطريقة التي يريدها هو ، فقلة أو انعدام "الدراسات الأدبية والأبحاث الأكاديمية" تهم بسيرته وخطابه الشعري شُحَّتْ من ذكره، ماعدا الجهد الذي قدمه عبد القادر غلام الله" (1)

بحث الباحث أول الأمر عن الأصول الأولى للشاعر عبد القادر بلطجي "أبوه التاجر المشهور والمعروف في مدينة مستغانم، وابن عائشة، فوالده كانا ينتسبان إلى عائلة

(*) من الدارسين من اعتمد على المنهج التاريخي لذاته ولأجل ذاته فحسب، ومنهم من قرنه بالمنهج الجغرافي وهو الأمر الذي قام به باحثنا فضل الأخذ بزمام المنهج التاريخي للبحث عن أصول شاعره وصاحب ديوان منجزه البحثي .

(1) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 17 .

شريفة ومحترمة في مستغانم، وهي الشائعة باسم بن حميدوش، حيث عرف عنها التقى والصلاح والعلم والغنى بين أهل المدينة، فهم أشرافها و أعيانها⁽¹⁾

تتبع الباحث نسب وأصل الشاعر بأن ذكر اسم والده ومكان إقامتهما وعائلتها، وبالتالي "فدارس الفولكلور لا يقوم بهذه المهمة باعتبارها نوعا من الرياضة الذهنية، أو من قبيل ممارسة (العلم للعلم) فحسب، وإنما يقوم بها لهدف بعيد تخدمه كافة نشاطات علماء الفولكلور، وأعنى محاولة الكشف عن شخصية ثقافة شعب من الشعوب وتعيين سماقتها"⁽²⁾.

توقف الباحث كذلك عند مستوى بلطجي التعليمي من أين استقى العلوم والمعارف وكيف كان تكوينه في علوم الدين والتعليم؟، كل هذه الإشكالات أثارها الباحث في التنقيب عن الأسس والعوامل التي أسهمت في بناء شخصية بلطجي، "فمولده بمستغانم في شهر مارس 1871 م، وعلى الساعة الثانية مساء بحي تجديد زاول تعليمه في الكتاب تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وعلوم الدين بمسقط رأسه"⁽³⁾

ارتأى الباحث إلى إيراد نسب الشخصية الرئيسية ومحور الدراسة بين صفحات منجزة حتى يستطيع أن يغوص في أعماله كان لزاماً عليه أن يكون على دراية كافية بمنشأه الأول، وكيف استطاع أن يؤسس لموضوع بحثه ويؤثث له عبر أشعار تفي بالغرض وتكشف عن الداء وتصف له الدواء، أشعار معبرة عن ذاته وعن محيطه وواقعه، فكان ديوانه شاهد عيان ومؤرخ لتلك الأحداث برمتها بأن أحسن الباحث استجلاء

(1) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 18 .

(2) محمد الجوهري، علم الفولكلور، ص 191 .

(3) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 18 .

تاريخ مولده وتوقف عند محطات مساره الدراسي حتى يكشف الشخصية الحقيقية للمبدع،" وهكذا يتضح أن المنهج التاريخي في دراسة عناصر التراث الشعبي يقوم على محاولة الكشف عن أصول (ليس بالضرورة الأصول الأولى) هذا التراث ، بمراحلها التاريخية المختلفة، والنظر إليها نظرة تاريخية تشريحية تعميقية على اعتبارها هذا الكيان الثقافي المائل أمامنا في الحاضر"⁽¹⁾

لفهم منشأ المواضيع التي ساقها الباحث بين فصول منجزه كان عليه أن يعود إلى تاريخ نشأته وكيفية تربيته وتعليمه، فمن ضمن المواضيع التي وظفها نجده قد برع في "العلوم الدينية والسيرة النبوية والمدح والثناء وسرد سيرته للناس، والتغني بفضائله وأخلاقه الكريمة وترغيب الناس في التعلق به"⁽²⁾

ليفصح الباحث أكثر عن شخصية الشاعر وطريقة تكوينه للمواضيع تعمق أكثر فيها بأن أدرج عنوان آخر وسمه بنشأة الشاعر الدينية، تحدث فيها عن مدى ثراءها بهذه السمة، فطبع أشعاره بها فأضفت عليها لمسة مميزة يتجلى ذلك في نصحه للناس "ياكثر الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى والتحدث عن الشمائل المحمدية التي تغزل فيها وفي جمالها وعبر عن حبه له وشوقه إليه"⁽³⁾

المنهج التاريخي لا يقوم على سرد الأحداث التاريخية وإسقاط نتائجها على الفولكلور بعده " علم تاريخي من حيث انه يلقي الضوء على ماضي الإنسان وإذا كان التاريخ

(1) محمد الجوهري ، علم الفولكلور ، ص 191 .

(2) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي، ص 19 .

(3) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي، ص 19، 20.

يدرس العصور المختلفة كما تمثله فئة قليلة هم طبقات الحكام ورجال الفكر والأدب بشكل خاص، فإن على الفولكلور أن يعيد بناء التاريخ الروحي للإنسان كما تمثله أصوات العامة من الناس"⁽¹⁾

تابع الباحث حديثه عن الميزات التاريخية المشكلة لتيمة بحثه بأن تحدث عن تاريخ وفاة بلطجي والذي كان سنة " 1948 م، بعد مسيرة حافلة بالشعر والإنشاد، والمديح النبوي، والتغني بالولي الصالح عبد القادر الجيلالي، وقد شاء الله له أن يتوفى في حي عتيق من مدينة مستغانم، فُج سيدي بن هجي"⁽²⁾

حتى تاريخ وفاة الشخصية البطل (بلطجي) قد تتبع تفاصيلها، فذكر سنة الوفاة وعدد أهم المواضيع التي برع فيها، والحي العتيق الذي توفي فيه وبذلك يبقى الماضي" هو في الحقيقة سلسلة من الأحداث التي تم وقوعها، ولكنها تركت بعض الآثار أو البصمات في هذا الحاضر"⁽³⁾

– المنهج التحليلي الفني:

لتحليل مضمون النصوص الشعرية استعان الباحث بالمنهج التحليلي الفني للكشف عن مكان الصياغة الفنية ذات الأبعاد الجمالية في النصوص الأدبية الشعبية والبحث عن كيفية تشكيلها، ومن ضمن المضامين التي استخرجها الباحث من الديوان نجد: الدعاء والابتهاال والتوسل والشكوى لله عز وجل، ثم عرج على ذكر المديح النبوي التي

⁽¹⁾ عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي، ص 197 .

⁽²⁾ عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 21 .

⁽³⁾ عزام أبو حمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي، ص 197

تنطوي تحت لواءه مجموعة من المواضيع الفرعية كوصف خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم والشوق والحنين لزيارة الحرمين والتوسل بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، ساق الباحث في هذا المقام العديد من النماذج الشعرية البلطجية التي تبرز الجوانب الفنية الجمالية في أشعاره بعد أن قدّم تحليلاً تاماً لجميع مفرداتها ومعانيها ومن ضمن ما وظفه من أشعار نجد :⁽¹⁾

يا رب العرش العالي يا رب الكائنات الأعالي

انظر ليا وشوف حالي داويني من كل علّة

وظف الباحث العديد من الأبيات الشعرية في هذا الشأن حلل إياها كلمة كلمة وقف عند دلالتها ومعانيها وسياقها داخل الأشعار ، فهو يرجو من المولى عز وجل أن يحقق له مراده، فطبعت بعض قصائد بلطجي بسمة "التوسل الذي لا ينفصل ولا تجزأ عن موضوعات قصائده ، حيث نجده حاضرا في كل خطاب، يلجأ إليه الشاعر ويتمسك به، وكأنه قطعة من نفسه فتجده يتوسل كعادته بكل المقدسات والرموز والشخصيات الإسلامية في شكواه لله"⁽²⁾

تفنن الباحث في شرح وتحليل الأبيات الشعرية البلطجية بأن أفصح عن مدلولها وعمقها، استنتق الباحث معالم الجمال فيها و وقف عند أبعادها، وتحدث عن كيفية التحام الألفاظ بالقصيدة الشعرية " والبيانات من داخل النص متعددة الحقول ووفق طبيعة النص وأهداف الباحث من دراسته لمؤلف النص أو جماعة مثلما جرى في دراسة

⁽¹⁾عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 36.

⁽²⁾عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص36.

الحكايات الشعبية والأمثال... وقد تكون البيانات في مجال العادات أو التقاليد أو المعتقدات أو الدلالات عموماً⁽¹⁾

ساق الباحث عديد التشكيلات الفنية التي تطبع بها الديوان فقد خط فصل كامل بعنوان تشكيل اللغة الشعرية وتندرج تحت لواء أهم جزئية فيه أطلق على تسميتها التشكيل الفني للمفردة الشعبية.

سار الباحث في بقية مسار بحثه على ذات الخطية، فبعد توظيف أبيات شعرية بلطجية يلحقها بتحليل مضامينها ومواضيعها لكنه يقف على الجوانب الفنية الجمالية التي أردت أعمال البلطجي أكثر واقعية وأعمق أثر وأقرب محاكاة وملازمة للطبقات الشعبية نتيجة تقاربها اللهجي، إذ طفح وجود هذا المنهج ذو الطابع الجمالي بين جميع فصول بحث التشكيل الفني في الديوان.

يكفي أن الباحث وسم عنوان موضوعه على شاكلتها، فالعتبة الأولى للبحث أفصحت مباشرة على أكثر المناهج المستخدمة لدى الباحث، هذا ما يشير إلى أنه منهج يقوم "على دعامين (الأولى) تأثير الذاتي بهذا النص، وذلك التأثير منبعث من ذوقنا الخاص وتجاربنا الشعورية والفنية السابقة، (الثانية) نظرنا الموضوعية على قدر الإمكان إلى القيم الشعورية والقيم التعبيرية الكامنة في ذلك العمل (...). و نملك كذلك حدود هذا المنهج أن نواجه الأديب ذاته"⁽²⁾

⁽¹⁾ عزام أبو حمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي، ص 207.

⁽²⁾ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 165.

توقف الباحث عند عديد التشكيلات التي قامت بتعريّة موضوع الأشعار، فقد درس فيها الجوانب الجمالية في الأبيات الشعرية بالضبط الأنواع البلاغية في الصورة، كالصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية هذه الأخيرة سنأخذ منها مثال:

راهي في الضيق حال حرة البلدان من يوصلها يعود نادم
إذا ينظر حالها هربان الله يلف بمستغانم

حلل الباحث هذه الأبيات تحليلا فنيا جماليا ورد سبب اتكأ الباحث على الكنايات إلى:
"الحالة النفسية لبلطجي المتحسرة بشدة على مدينته مسقط رأسه وتكشف حزنه العميق أمام هذا المصاب الجلل الذي لا يستطيع تغييره، فيحاول جاهدا تشخيص الموقف المؤلم لعله يستنهض الهمم، ويستصرخ الضمائر ويوقظ النفوس" (1)

قبل هذا وذاك شرح الباحث الكناية الموجودة في هذه الأبيات السالفة الذكر، فقد "كنى الشاعر عن مستغانم الجميلة (حرة البلدان)، وعن الخسران والتغيير المنفر الذي أصاب المدينة العامرة (يعود نادم) و(يرجع هربان)" (2)

أحسن الباحث استخراج الصور البلاغية من الديوان، فكان التحليل مطابقا لمحتوى الأبيات زادته لمسته التعبيرية ذات التشكيل الفني أكثر حضورا وأرقى تجليا لأنه إندلف إلى أعماق الروح و استوطن فيها.

مما لا شك فيه أن الشاعر "الشعبي قد جسد أفكاره وعواطفه باللغة الشعبية، فهي رصيده اللغوي و معجم ألفاظه، وملجأه في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره، متأقلماً

(1) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 111.

(2) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص 111.

مع بيئته مستجيبا لمتلقيه الذي يمثل الطبقة العامة فلا يستطيع الخروج عن قيودها وأطرها⁽¹⁾ لتبيان مدى فعالية المنهج التحليلي الفني بين فصول البحث توقف الباحث عند عديد التشكيلات إن لم نقل جميعها، والتي أسهمت في بلورة أفكار ومبتغى الشاعر من وراء إدراجها، من جهة أخرى كشف عن براعة الباحث في استئصالها من جذورها ودراستها وتحليلها بدقة وتفاني، " فالبحث الذي يستخدمه هذا المنهج يمثل أدوارا مختلفة كناقذ أدبي، وناقذ تاريخي وباحث اجتماعي أيضا، لابد أن يكون لديه ما يكفي من المعارف علم النفس مادام يتعامل مع أشكال من الإبداع، وهو فوق ذلك يحتاج إلى مراس ودربة كبيرين في البحث"⁽²⁾، وبالتالي فقد سعى " البحث للوقوف على التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، متخذاً من الدراسات الجمالية و الفنية والبلاغية وسيلة "⁽³⁾، كان هدف الباحث من وراء ذلك هو تعرية مضمون النصوص الشعرية البلطجية وتبيان مدى جماليتها في تحقيق معالم الاتساق والانسجام في المواضيع الشعبية المطروقة في حواريتها مع مجريات الواقع.

– الإحصاء:

استعان الباحث بهذه الآلية في العديد من المرات خاصة بعد أن قدم مجموعة من الأشعار شرحها وحللها واستخلص المغزى منها، استجمع بعد ذلك النسب، مركزا على أكثرها تواترا في الديوان، تدرج بعد ذلك في إيراد جميع النسب المتبقية، وبالتالي فقد استعان في تركيب فصول بحثه على الأسلوب العلمي الذي يستخدمه الاجتماعيون في

(1) عبد اللطيف حني ، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 217.

(2) أبو الحمام المطور، الفولكلور التراث الشعبي ، ص 207

(3) عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي ، ص 370.

تحليل الأبحاث و المؤلفات الاجتماعية عن طريق استخدام الفنون الإحصائية و الرياضية في تحديد الأفكار " .⁽¹⁾

بعد أن استعرض الباحث مجموعة من الأبيات الشعرية ،عرج إلى كيفية اهتمام الباحث لتوشيح عناوين قصائده، وتعدد حضورها بين أسطر الأشعار فمرة مبثوثة في صدر اللازمة أو في عجزها أو صدر البيت الأول أو الشطر الثالث من شكل المثلث.....، بعد أن رصد عدد العناوين وتنوعها بين صفحات الديوان، ارتأى الباحث إلى تضمينها في جدول مقسما إياه أربع خانات الأولى وضع فيها الرقم، والثانية طريقة عنوانة القصائد والثالثة عدد ورودها، ومن ثمة نسبة المساهمة في الديوان ليستخرج من هذا كله المجموع التام لعدد ورودها إلى أن يصل عرض إجمالي النسبة المئوية مئة بالمائة من خلال النتائج المتحصل عليها من الجدول، سكب الباحث محتوى هذه النسب في دائرة نسبية إحصائية ساعدته "على الدقة في الوصف، كما ألزمته بأن يكون دقيقا محددًا في الطرائق التي يستخدمها و كذا في أسلوب تفكيره، وفي تلخيص النتائج في صورة مفهومة سهلة ومريحة"⁽²⁾، بذات الطريقة وبنفس المنهجية سار الباحث في بقية فصول بحثه، ففي الفصل الثالث الموسوم "بتشكيل اللغة الشعرية في جزئية التشكيل الفني للمفردة الشعبية، بعد أن حلل الباحث هذه الجزئية " و وقف عند أبعادها وتجلياتها على مضمون الديوان، أدرج جداول الأول قسمه لأربعة خانات وضع في الأولى المفردة وفي الثانية أصلها وفي الثالثة أحرف الزيادة وفي الرابعة الأحرف الناقصة، بعد أن استخرج هذا الجدول تبين للباحث أن " هناك مفردات شعبية بعيدة عن

⁽¹⁾ محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، اليمن، ط3، 2019، ص60.

⁽²⁾ عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، ص116.

الفصاحة، لكنها متغيرة في الشكل والبناء"⁽¹⁾ وبالتالي فالبيانات التي يبحث عنها الباحث قد لا تبدو في ظاهر النص، وإنما في ثناياه أو في باطنه و اللغة الشعبية من أكثر اللغات التي تبطن المعاني والدلالات، ألحق الباحث هذا التوجه بأن وظف جدولاً آخر مقسماً إياه إلى قسمين، الأول وضع فيه المفردة الشعبية والثاني وضع فيها أصلها الفصح، مستعينا في إيراد ذلك بالإحصاء، مدرجا أول الأمر جدول النسب المئوية مقسم إلى أربعة خانات الأولى فيها الرقم والثانية نوع الألفاظ، والثالث عدد تواترها والرابعة النسبة المئوية للتواتر، ليختم الجدول بنسبة المجموع كاملاً، ملحقاً إياها بدائرة نسبية اسقط فيها جميع النسب التي استخرجها، خرج الباحث بعدها بنتيجة مفادها أن تشكيل المفردة في قصائد بلطجي "وعلى مخططة نسجت كل روائعه، وهذا ما يجعلنا نفسر تردد هذه الظاهرة في ديوانه بأنه عالم بقواعد و أسس اللغة العربية، يستطيع نظم شعره على فصاحتها ومفرداتها وأوزانها"⁽²⁾

استخدم الباحث منهجية السير على خطى الدائرة النسبية في عديد المرات وفي أكثر من موضع في عديد صفحات البحث، ففضل إتباع نفس الخطية ولم يشأ أن يستبدلها بآليات وطرق أخرى كاستخدام التخطيط البياني أو الأعمدة البيانية، استعان الباحث بالإحصاء من باب أن الديوان البلطجي يعج بالمواضيع، ونظراً لعدم قدرة بحث الباحث عن استيعاب الكمية المتعبة للمواضيع وعدم الوقوف عندها بالتحليل و الدراسة، اهتدى إلى تقنية الإحصاء للإيفاء بمحتوى الديوان وملامسة جميع

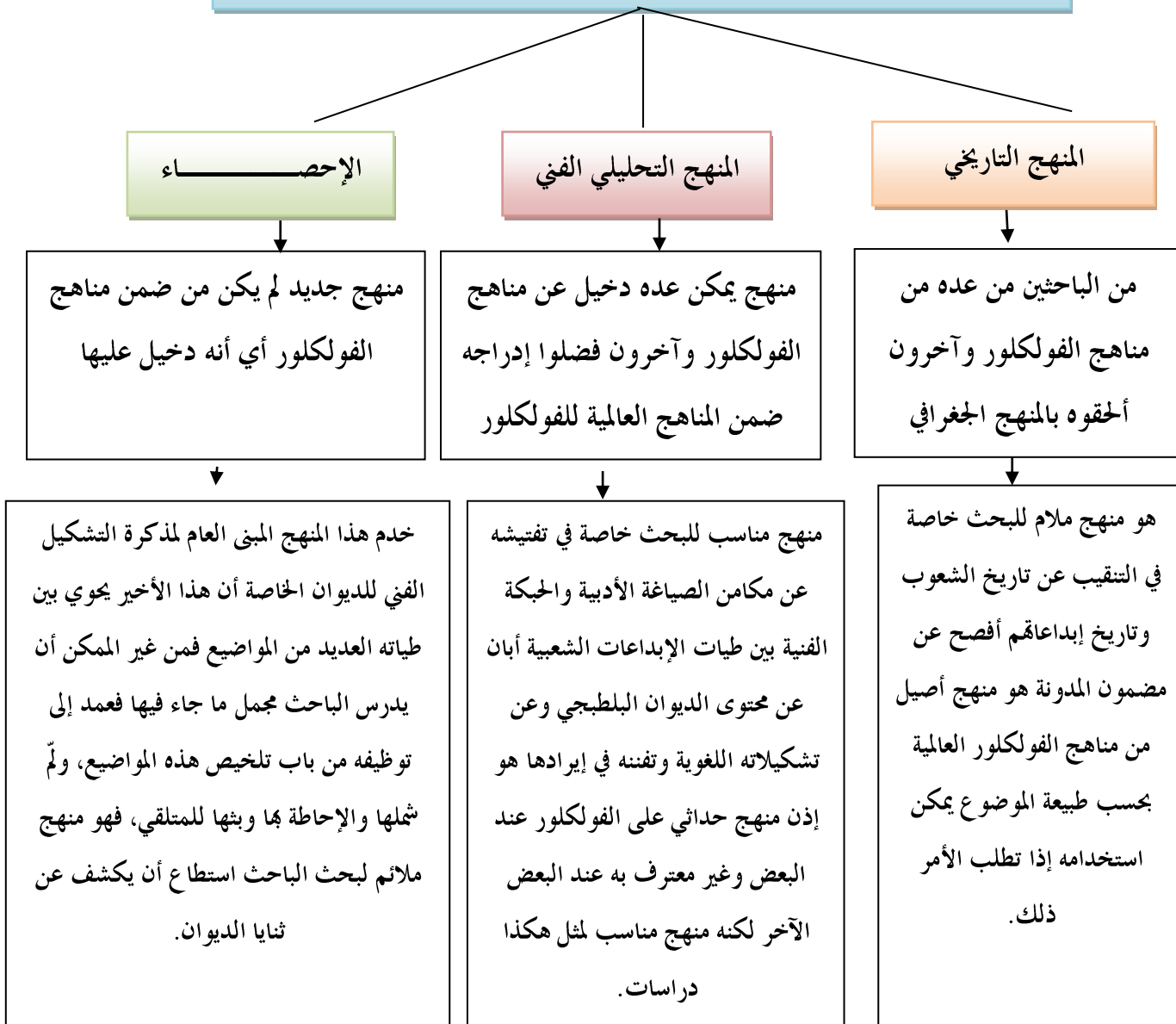
⁽¹⁾ عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص219.

⁽²⁾ عبد اللطيف حني، التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطجي، ص220.

المواضيع عبر الاندلاف في أعماقه واستنطاق كوامنه وإحصاءها في جداول بيانية وسكبتها في دوائر نسبية تعدد أهم المواضيع التي تطرق اليها الباحث لإيرادها .

- الشكل رقم 02 : يوضح أهم المناهج الفولكلورية التي استعان بها الباحث عبد اللطيف حني بمذكرة: التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطبجي

أهم المناهج الفولكلورية التي استعان بها الباحث عبد اللطيف حني بمذكرة: التشكيل الفني في ديوان الشيخ "عبد القادر بلطبجي"



نوع الباحث في أدراج المناهج بين أعطاف بحثه بين الخاصة بالفولكلور وبين الجديدة عليه لكن في كلتا الحالتين، جاءت المناهج خادمة للبحث أعربت عن محتواه ورصت بنيانه، وبالتالي فقد فتحت مدونة التشكيل الفني في ديوان الشيخ "عبد القادر بلطيجي" المجال أمام الباحثين للبحث في مضمارها والنهل من ثمراتها بفضل ما تحتويه من مبادئ وقيم جديرة بالدراسة والبحث الجاد .

- ثالثا: مدونة توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشعاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) (مقاربة سيميائية) للباحث جلال خشاب.

على خلاف البحوث الأخرى بتنوع المناهج المستعان بها في تركيب فصول البحث، قرر الباحث جلال خشاب من عتبة النصية الأولى أن يفصح عن المنهج الذي صاغ على إثره بحثه، هذا بعد ذكر عنوان بحثه كتب بالبنط العريض وألحقه بعبارة مقارنة سيميائية.

- المنهج السيميائي:

اتبع الباحث هذا المنهج وخط به فصول بحثه من باب أنه "علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، ومن هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها" (1)

(1) سعيد بنكراد، السيميائيات - مفاهيمها و تطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط3، 2012، ص25.

المنهج السيميائي يحتكم في تركيب تشكيلاته إلى عديد العلوم المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق... فهو حقل معرفي يستقي معالنه من حقول معرفية شتى قومت عود الدراسة وكشفت اللثام عن معانيها وجسدت المعنى وقربت الصورة للمتلقي.

لم يكن المنهج السيميائي مكتفي بدراسة علوم معرفية بعينها فكانت علوم اللغة العربية أولى اهتماماتها إذ تعنى في المقام الأول "بدراسة الإشارات أو العلامات وفق نظام منهجي خاص يبرز ويحدد الإشارة أو العلامة اللغوية في النصوص الأدبية في الحياة الاجتماعية" (1)

بالعودة إلى البحث وإلى تجليات المنهج السيميائي بين دفتاه تحديدا إلى الفصل التطبيقي فبعد أن حلل الباحث مجموع الصور الواردة في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي مفتتحا إياه بالخطاب الإشهاري الجزائري، اتبع الباحث في هذا المقام منهجية يضبط بها أسطر بحثه، تحدث أول الأمر عن "سيميائية الفضاء البصري فيعمل كل الإطار اللقطة على إبراز الفضاءات التي يرد فيها الخطاب الإشهاري" (2)

يركز هذا التوجه على المكان الذي أقيم فيه عرض الإشهار" والذي جمع الصورة بغيرها من العلامات الشبيهة والمتمة بأشكالها وأحجامها المختلفة، فضلا عن الإطار الذي يحددها ودلالاتها المعنوية والفنية... (3)

(1) ليلي شعبان شيخ محمد رضوان، سهام سلامة عباس، المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، مج 1، ع 33، ص 785.

(2) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية، ص 89.

(3) مريم الشنقيطي، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، دار الفیصل الثقافية، الرياض، 2018، ص 14

الصورة بهذه الشاكلة أبلغ من ألف كلمة أعطت لقطة معبرة وموحية عما بداخلها، وأظهرت مختلف الجوانب المحيطة بها وبجل تشكيلاها وصولا إلى إيراد الملمح العام لمحتواها، كما تحدث الباحث عن سيميائية الصورة غرضه " تجسيد مشروع بصري جديد يتميز بالعمق وبالشمولية مقارنة بحقيقة الصورة في طابعها المنفرد "(1)

سيميائية الصورة هي إحدى بنى الخطاب الإشهاري المرئي، وليبين الباحث مدى فعالية الصورة ساق في تجسيد ملامح الخطاب الإشهاري ألحق الباحث جلّ الأفكار التي نوه بها في مربع سيميائي صبّ فيه العلامة والشيء والماثول ورصد كيفية تحركهما داخله وتمثيله بصريا للتمفصل لمقولة دلالية ما.

تحدث الباحث أيضا عن سيميائية الألوان وأهمية في رسم الخطاب الإشهاري يعمل على " تعميق المفاهيم والأحاسيس على حد سواء لارتباطه الوثيق بالأبعاد والعلاقات والأحجام "(2)؛ بهذا فالألوان المدرجة بين لبنات الإشهار لم توضع عفواً بل أن صانع المحتوى الإشهاري تعتمد انتقاء ألوان معينة يكون لها صدى في مخيال الإنسان الشعبي، الألوان لها تأثير كبير في سيرورة الخطاب الإشهاري ومدى فعاليته داخل نصوصه وتبث رسالة صانع المحتوى وتدعم رأيه وتثري محتواه، من باب أن "للألوان حياة

(1) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية ، ص91.

(2) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية ، ص100.

ولالألوان روح ولكل حياة روح ولكل روح معنى وهدف وهو طرح فلسفي عميق للحياة والطبيعة⁽¹⁾

توقف الباحث أيضا عند سيميائية الموسيقى في تكوينها للخطاب الإشهاري "مما رسخ شكل الرسالة في ذهن المشاهد كونه لا يستقبل كلاما فحسب بل موسيقى"⁽²⁾

الإنسان بطبيعته ميال إلى الطرب وتعتمد صانع المحتوى الإشهاري إدراج الموسيقى داخل نصوصه غرضه استمالة المشاهد والتأثير فيه لانتقاء المنتج، كما ضمن الباحث سيميائية اللوغو الذي يتكون من "مجموعة من العلامات كأن تكون لسانية أو أيقونية فضلا عن مكونات أخرى تنظم جميعها داخل فضاء علامة اللوغو"⁽³⁾

سيميائية العنوان كذلك كانت من بين اهتمامات المنهج السيميائي كيف لا "وهو العتبة البارزة في البحث السيميائي لما تحمله من أبعاد خفية تدعو إلى تقصي حقائقها كونها منطلقا أكيدا للتعامل مع الخطاب الرئيس"⁽⁴⁾

استجمع الباحث جميع هذه الآليات وأخرى في قراءته للصورة الإشهارية المغاربية المرئية فبفضل احتوائها على مختلف التشكيلات كالصورة و الصوت واللون...،وهي

(1) كريم شلال الخفاجي، سيميائية الألوان في القرآن الكريم، دار المتقين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2012، ص25.

(2) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية ، ص109.

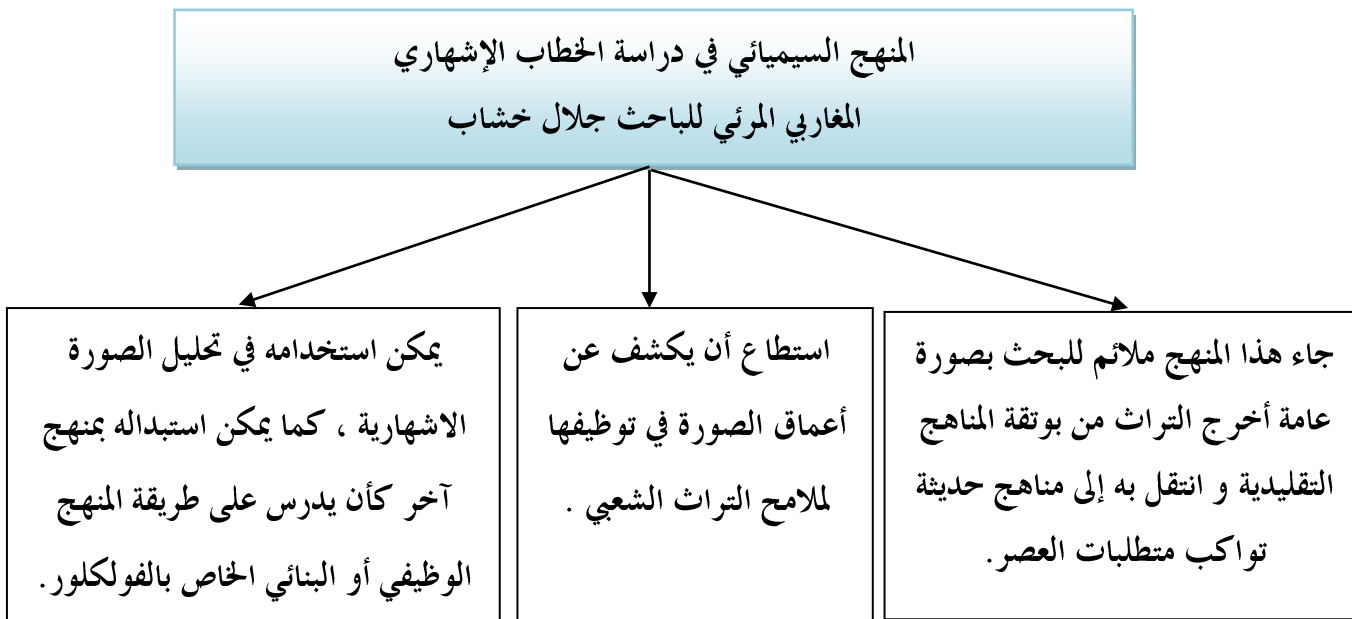
(3) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية ، ص152.

(4) جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس، المغرب) مقارنة سيميائية ، ص161.

عناصر للتواصل غير لغوية أعربت عن البنية العميقة للإشهار، وجادت بمعانيه خاصة وأن التراث الشعبي المغاربي ملامحه جلية في محتوى هذا الخطاب وتبيان مرامييه، ومن ثمة ضمان سيرورة الخطاب الإشهاري وذيوعه و بالتالي تحقيق نسبة مشاهدة أكبر.

طرح حضور المنهج السيميائي بين دفات بحث الباحث جلال خشاب، واستعان بجميع تركيباته وأسقاطها على الصورة الإشهارية بأن حلل مضمونها، واستخرج المعاني والقيم التراثية القابعة خلف اسطرها.

الشكل التالي: يوضح المنهج السيميائي في دراسة الخطاب الإشهاري المغاربي المرئي للباحث جلال خشاب.



حبذ الباحث أن يوضح بحثه بالمنهج السيميائي بالرغم من أن موضوعه يعني بالتراث الشعبي (الفولكلور) الذي لديه العديد من المناهج الخاصة به إلا أنه فضل أن يحدد عن جل هذه المناهج لأغراض في نفسه هو، فربما تعمد إدخال منهج جديد بغرض بث

ملامح التجديد بين أعطاف التراث الشعبي حتى يكون سريع المفعول وتسري فعاليته بين جميع أطراف الشعب، أو أنها تجربة جديدة و جريئة أراد الباحث من خلالها أن يبين أنه ليس بالضرورة التقيد بمناهج الفولكلور بل أن الخروج منها وإتباع طرق أخرى ستثمر عنه نتائج جديدة وذات فعالية وأكثر مصداقية.

تباينت المناهج المتبعة من قبل الباحثين "عبد القادر نطور، عبد اللطيف حني، جلال خشاب" و اختلفت فمنهم من أبقى على المناهج الفولكلورية العالمية وسار على هديها في جميع صفحات البحث، ومنهم من فضل الخروج من هذه البوتقة وسعى إلى المزج بين القديم منها والحديث "عبد اللطيف حني"، وآخر "جلال خشاب" فضل السير عكس التيار واتبع مناهج جديدة فحسب، غير أنه بالرغم من الاختلافات الجلية بين الباحثين في استخدام المناهج وتعددتها فلا ضيم أن تدخل الجديد لمحتواه لتواكب متطلبات العصر ويكونه يكفي أنها أعادت إحياء وتحيين التراث الشعبي الجزائري و أثرت معاوله بالدراسة المثمرة والبحث الجاد .

- الجدول التالي يوضح ما يلي :

الباحث	عنوان البحث	المصدر	المنهج المتبع	الإضافة
عبد القادر نطور	الأغنية الشعبية في الجزائر - منطقة الشرق نموذجاً -	بحث ميداني أي أن الباحث انتقل بذات نفسه لجمع الأغاني من أفراد المناطق الشعبية	- المنهج الجغرافي التاريخي - المنهج النفسي - المنهج الانتربولوجي	- استجمع الباحث عدد لا بأس به من الأغاني الشعبية الخاصة بالمناطق الشرقية الجزائرية . - أدرج بعضها من

		الشرقية للجزائر.	- المنهج الوظيفي - المنهج الفني الأدبي - المنهج الوصفي	العادات و الطقوس والمعتقدات الخاصة بهم . - اعتمد مناهج الفولكلور العالمية في تحليل بنياتها، غير أنه وبللمسة منه وبحسب مقتضى الحال ارتأى إلى إضافة مناهج جديدة لتقريب الصورة للمتلقي و توضيحها. - التعريف بالمناطق الشرقية الجزائرية و بمقدراتها .
عبد اللطيف حني	التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطبجي	اعتمد على مدونة ورقية مطبوعة للديوان من جمع وتحقيق و نشر القادر غلام الله	- المنهج التاريخي في البحث عن حياة الشاعر - المنهج التحليلي الفني لتحليل مضامين النصوص الشعرية. - الإحصاء في رصيد	- التعريف بشخص عبد القادر بلطبجي الشخصية المغمورة . - الإشادة بديوانه وما يحمله في جعبته من مواضيع قيمة وثرية ومتنوعة (كالدعاء

			الظاهرة الشعرية وكشفها.	والابتهاال لله عزّ وجلّ، وصف النبي وآله وصحبه والأولياء الصالحين. - دراسة الديوان من مناحي فنية جمالية.
جلال خشاب	توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهارى المرئي المغاربي الجزائر- تونس - المغرب دراسة سيميائية.	خطابات اشهارية (قرص مضغوط)	المنهج السيميائي	- التعريف بالموروث الشعبي المغاربي من خلال الخطابات الاشهارية المرئية - موضوع حدائي يعتمد على العلامات والدلالات المشكلة للإشهار . - دراسة الصور المرئية من منظور التراث الشعبي المغاربي تجربة جديدة خاض فيها الباحث معاول بحثه.

– خلاصة الفصل:

بعد أن تطرقنا لدراسة بعضا من المواضيع الأكاديمية الجزائرية التي أقيمت على شرف الأدب الشعبي على كثرتها وتعدد مناهجها في كل قطر من أقطار الجزائر العميقة التي تزخر بمقدرات شعبية أهلتها بأن تكون محط دراسة مستفيضة من قبل الباحثين الذين تفننوا في إيرادها وأبدعوا في تحليلها واستنطاق كوامنها، خاصة وأنهم انتهجوا في ضبط مسارها بمناهج متنوعة بين الخاص بالفولكلور والدخلية أو الجديدة عليه .

مما لا شك أن التنوع في المواضيع والتعدد في المناهج إما أن يؤثر سلبا أم إيجابيا على الدراسة وبالتالي كان لزاما علينا أن نفصل القول إزاء هذه القضية ونرجح كفة ميزان على أخرى ونقر بأن التنوع في المواضيع والتعدد في المناهج أفضى إلى إثراء المادة الشعبية كونه لامس عديد مناطق الجزائر وألم بها وحفظها في بطون الكتب وبين رفوف المكتبات، كما أن التنوع في المناهج أسهم بشكل كبير في الكشف عن القيم والمعاني وفهم مغزى العديد من العادات والطقوس....

التنوع في المواضيع اجتاحت أيضا تيار المناهج ليشكل مع بعضهما البعض حمّة ويسهما في انتشار الأدب الشعبي من برائث القديم ونقص الغبار عليه بأن يكشف الباحثون جهودهم للم أكبر عدد منه إحاطته برعاية خاصة تحفظ ماء وجهه وتعلي من شأنه.



خاتمة



خاتمة :

بعد السفر البحثي بين الجانبين النظري والتطبيقي يكون عود بحثنا قد استوى وقد عملنا بجد لسبر أغوار الدراسات الأكاديمية الخاصة بالأدب الشعبي في الجامعات الجزائرية، ومع ذلك فمازال هذا الموضوع بحاجة ماسة لوجوب تكاثف جهود الباحثين والمنظرين على حد سواء لاستنطاق كوامنه واستجلاء أبعاده عبر تقنيات منهجية متنوعة متجددة.

من هذا المنطلق غصنا بين أعطاف الدراسات الشعبية الأكاديمية في نماذج من الجامعات الجزائرية في رحلة البحث عن عديد القضايا التي تسهم في بناء دفاته اقتضى الأمر لزيارة مناطق بدأ بالدول الغربية وصولاً إلى العربية منها هدفنا في المقام الأول استجلاء الحقائق من دراساتهم التي تولي عناية خاصة بهذه الجوانب كونها أصل كل العلوم خرجنا من هذه الرحلة محملين بزيادة معرفي وثقافي ذو طابع شعبي بامتياز أسهم في إثراء مداركنا ونأمل أن تكون الدراسة قد قدمت إضافة ولو بسيطة للدارسين وللمكتبة الجزائرية وللدراسات الشعبية الأكاديمية بشكل خاص.

يمكننا استخلاص جملة من النتائج هي بالأساس حوصلة وليست خاتمة للبحث، بقدر ما هي دعوة إلى الاهتمام بقضايا الأدب الشعبي مع وجوب تكاثف جهود الباحثين والمنظرين الجزائريين للالتفاف حول قضايا هذا الميدان واستنباط قيمه ومبادئه من رحم البيئة الشعبية للنهوض بهذا العلم الذي ما يزال ينتظر من يتلقفه بمزيد من الدراسات والبحوث التي تحفظ مكانته بين العلوم لأنه زاخر بمواضيع عدة وبمناهج شتى تنتظر من يثريه والتأصيل له وحفظه من الزوال، ومن أهم النتائج التي خرجنا بها من موضوع بحثنا:

✓ البحث عن واقع الدراسات الشعبية الجزائرية مع الوقوف عند اجتهادات بعض الباحثين المحليين في تقسيمهم للثقافة الشعبية الجزائرية تتبعنا منطلقات الدراسات فيها باعتبارها مربط الفرس وبيت القصيد كان لزاما علينا أن نقف عند أهم الأسباب الكامنة خلف تأخرها في احتواء لمقدرات شعبها.

✓ التزايدات القومية والسياسية وإسهاماتها في بلورة معالم الفولكلور والأدب الشعبي، مع الوقوف عند واقع هذه الدراسات وتشكيلاتها في تقويم عماد هذا العلم.

✓ اخترنا نماذج من الدراسات الأكاديمية الجزائرية المقامة على شرف الأدب الشعبي غصنا في مضمونها وتبعنا مسار دراستها تبعا والمنهج المستعان به من قبل الباحث للإفصاح عن أغواره لنخلص إلى الإقرار بأن الأدب الشعبي متنوع وغني وثري بالموضوعات،

اجتاح هذا التوجه حتى عوالم المناهج المتبعة في ضبط جهاج هذه الموضوعات، هو الأمر الذي دعانا إلى وجوب استقصاء الوضع والاستتباب خلف أغواره بأن استحضرننا بعضا من نماذج من الدراسات الأكاديمية الجزائرية فاخترنا كعينات تطبيقية مذكورة "الأغنية الشعبية في الجزائر - منطقة الشرق الجزائري نموذجاً -" للباحث "عبد القادر نطور" المتحصل على شهادة الدكتوراه عن كلية الآداب واللغات من "جامعة منتوري بقسنطينة"، السنة الجامعية 2008 - 2009 ذو التخصص العربي الحديث ، حدد الباحث منطقة دراسته - الشرق الجزائري - والتي تحوي في جعبتها عديد الأنواع الغنائية كحديثه عن أغاني الميلاد والسبوع وترانيم الأطفال...أرفق ذلك بنماذج غنائية أثار معاول البحث فيها، استعان في إيراد ذلك بمجموعة من المناهج الخاصة بدراسة الفولكلور كالمناهج الجغرافي

التاريخي والنفسي والأنثروبولوجي والوظيفي والفني الأدبي مع الاعتماد بشكل أكبر على المنهج الوصفي .

بالنسبة لبحث "التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي" للباحث "عبد اللطيف حني" والمتحصل على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة سنة المناقشة 2009 - 2010 تخصص أدب شعبي، قام فيها بدراسة الديوان منطلق التشكيل الفني مروراً بذكر سيرة ونسب ومولد البلطيجي وصولاً إلى وفاته غاص الباحث بين جنبات الديوان واسترسل في إيراد موضوعاته فتحدث عن التشكيل الموضوعاتي للديوان مقسماً إياه إلى مباحث كمبحث الدعاء والابتهاال لله تعالى ومبحث المديح النبوي... وتحدث عن التشكيل الجمالي للصورة الشعرية، ثم عن خصائص الصورة عند البلطيجي ، مواضيع عدة استنطق الباحث كوامنها واستقى معالمها من الديوان معتمداً في استجلاء ذلك على المنهج التاريخي الذي خصّ به دراسة سيرة وحياة الشيخ عبد القادر البلطيجي، أما المنهج التحليلي الفني وظفه الباحث في تحليله ودراسته لبعض النماذج الشعرية البلطجية ليتدرج بعدها بالحديث عن مضمون هذه الآليات إلى غاية وصوله لمنهج الإحصاء فبعد تحليل البحث للأشعار تبين له أن الديوان يحوي موضوعات عدة ونظراً لكثرتها وطولها استلزم عليه الأمر أن ينتهج سبل هذه الطريقة للملمة أشلاءها جملة وتفصيلاً.

شهادة الدكتوراه الموسومة "بتوظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشعاري المرئي المغاربي الجزائري، تونس ، المغرب، مقارنة سيميائية" للباحث "جلال خشاب" والمتحصل عليها من كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، من جامعة باجي مختار- عنابة - للسنة الجامعية 2009- 2010 ، تخصص تحليل خطاب، سلط

الباحث الضوء على الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي فاختر كأ نموذج غذائي متمثل في الكسكسي كطبق رئيسي تشتهر بطبخه المناطق المغاربية (في الجزائر كسكس سيم ، تونس كسكس العولة، والمغرب كسكس داري) بعده رمز للأصالة والمعاصرة ، كما استنطق الباحث في دراسته بعضا من نماذج الخطاب الإشهاري الخاص بمجال الاتصال فاعتمد على (اتصالات نجمة في الجزائر، وتونيزيانا في تونس، وميدياتيل في المغرب) قام الباحث بدراسة هذه الخطابات الاشهارية اعتمادا على صورة ولقطة وتتبع مسار تحركاتها إلى غاية الاندلا ف بين أعطافها لاستجلاء أهم الأبعاد التراثية القابعة خلف قضبانه مستعينا في الإفصاح عن ذلك "بالمناهج السيميائي" وتطبيق آلياته وتقنياته عبر الغوص في كنه الدراسة ليختم الحديث عن كل جزئية بإيراد مربع سيميائي .

المواضيع التي تطرقنا إلى إدراجها بين فصول منجزنا لا يكمن اختصارها أو تقليص حجمها في هذا البحث المتواضع بل أنها متعددة ومتنوعة، هذه السمة لا تقتصر على إيلاء الإهتمام بالمواضيع فحسب بل تتعداها إلى عالم المناهج المتطرق إليها في تحديد وضبط مسار هذه الموضوعات، هذه المواضيع وتلك المناهج لا يمكن استحضر جلها وركزنا على بعض منها فحسب بغية تعريف الدّارس بمبادئها ودفعه لوجوب تكملة الدّرب عبر البحث عن مواضيع أخرى والتنقيب عن المناهج مغايرة تسهم في الكشف عن القيم الموضوعاتية والجمالية ذات الصياغة المنهجية المحكمة .

بعد أن تطرقنا لذكر بعضا من النتائج التي أسهمت في إذكاء عنوان بحثنا وطعمت معالمة بالتنوعات والاختلافات الحاصلة على مستواه خرجنا ببعض التوصيات منها:

✓ وجوب الإطلاع على إنجازات الدّراسات الشعبية محليا وبالجامعات الوطنية.

- ✓ تقويم مقدّرات النص الشعبي في المقررات التعليمية الأكاديمية.
- ✓ دراسة موضوعات الأطروحات (التنوع في المواضيع والتخالف في الإشكاليات).
- ✓ دراسة مناهج البحث في عينات من موضوعات الدكتوراه المنجزة حديثا في ميدان الأدب الشعبي.
- ✓ الكشف عن الإضافات التي قدّمتها الدّراسات الأكاديمية للأدب الشعبي.
- ✓ وجوب تكاثف جهود الباحثين والمنظرين ونحن بطبيعة الحال معهم لإيلاء الإهتمام بهذه الجوانب بوضع اليد في اليد و البحث عن موضوعات الأدب الشعبي في كل أقطار الجزائر تركيزا على أهم المناهج المتبعة.
- ✓ ضرورة التّزول إلى الميدان لجمع العلوم والمعارف الشعبية التي تزخر بها الجزائر على اتساع مساحتها من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها ودراسة عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم...
- ✓ التعريف بالمناطق الجزائرية من خلال مقدراتها وبالتالي مواضيعها الشعبية.
- ✓ الحرص على وجوب إدراج مواضيع الأدب الشعبي في المقررات الدراسية التعليمية الثلاثة (الطور الابتدائي والمتوسط والثانوي) لتعريف الأجيال بمقدرات شعبه.
- ✓ ضرورة إبرام عقد بين الباحثين والمؤسسين للأدب الشعبي في الجزائر لإنشاء أطلس فولكلوري جزائري يعني باحتواء ودراسة الإبداعات الشعبية.
- ✓ فتح متاحف تراثية في الساحات العمومية تشهر بإنتاجات الطبقات الشعبية عن طريق بث أغاني وحكايات وقصص مروية شفاهيا وبثها عبر مكبرات الصوت.

- ✓ الدعوة إلى نشر الموروثات الشعبية عبر وسائل الاتصال الحديثة (الفايس بوك، أنستغرام، اليوتيوب،...) بهدف تعريف العالم بمدى غنى المادة الشعبية الجزائرية وثراء مناهج البحث فيها.
- ✓ إقامة معارض وندوات علمية محلية ووطنية ودولية عبر المؤسسات الأكاديمية والمكتبات المحلية الوطنية والعمومية تشيد بالدور البارز الذي يلعبه التراث الشعبي في إدارة حياة الفرد والجماعة.
- ✓ القيام بخرجات وزيارات ميدانية للأطفال والشباب نحو المناطق التي تزخر بإنجازات شعبية لتعريفهم بمدى غنى المادة الشعبية الوطنية المحلية.
- ✓ ضرورة بث برامج تلفزيونية تعنى بالتراث الشعبي كأن يث يومين في الأسبوع.



قائمة المصادر والمراجع



- قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع، دار الخير دار القرآن الكريم، بيروت ، لبنان، ط1، 1425هـ/2004م.

- أولا-المصادر :

1. عبد القادر نظور، الأغنية الشعبية في الجزائر ،منطقة الشرق الجزائري نموذجاً

-رسالة دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة ،الجزائر، إشراف: محمد العيد تاورتة ، 1429، 1430 هـ، 2008، 2009 م.

2. عبد اللطيف حنيّ ، التشكيل الفنّي في ديوان عبد القادر بلطيجي، رسالة دكتوراه علوم ،جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، إشراف: عبد الرزاق بن السبع، السنة الجامعية 2009، 2010 م.

3. جلال خشاب، توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الاشعاري المرئي المغاربي(الجزائر، تونس، المغرب)، مقارنة سيميائية، رسالة دكتوراه علوم، جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، إشراف: محمد عيلان، السنة الجامعية 2009، 2010 م.

- ثانيا : المراجع باللغة العربية :

1. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1، 1998.

3. عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية، تاريخ والقضايا والتجليات ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات الرابطة الوطنية لآداب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين الجزائر، دط، دت.

4. سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، سلسلة دروس جامعية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1998.
5. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور الفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1993.
6. أحمد علي مرسى، مقدمة في الفلكلور، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية، دار روتابرينت للطباعة، 1995.
7. نادية الدمرداش، علا توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية، د ط، 2003.
8. أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 2002.
9. شريف كناعنة، ملامح المادة الفولكلورية، مركز الوثائق والأبحاث، جامعة بيرزيت، عمان، 1985.
10. محمود مفلح البكر، البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، دمشق، سوريا، دط، 2009.
11. نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، دار الحمام للطباعة مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، د ت.
12. ابن الشيخ التلي، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983.
13. محمد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتبة نور، 2020.
14. عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، مكتبة الإشعاع للطباعة، مصر، ط1، 1996.

15. أحمد علي مرسى ،الأغنية الشعبية ،مدخل إلى دراستها ، دار المعارف ، كلية الآداب،جامعة القاهرة، د ط، 1983
16. نبيلة إبراهيم ،أشكال التعبير في الأدب الشعبي ،دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3.
17. فاروق أحمد مصطفى ،المواليد دراسة العادات والتقاليد الشعبية في مصر، الهيئة المصرية للكتاب، د . ط ، 1980.
18. أحمد رشدي صالح ، فنون الأدب الشعبي ،دار الفكر ،القاهرة، ط1 ،1956.
19. عبد الأمير جعفر ،الأغنية الفولكلورية في العراق، مطبعة العبايجي ،بغداد ،دط، 1975.
20. محمود ذهني ،الأدب لشعبي العربي (مفهومه ومضمونه)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1972
21. إبراهيم زكي خورشيد ،الأغنية الشعبية و المسرح الغنائي ،مطابع الهيئة المصرية ،العامة للكتاب، المكتبة الثقافية ، د ط، 1985.
22. لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ،العراق، دط، 1979.
23. عبد الحميد يونس ، التراث الشعبي ،دار المعارف ،القاهرة ، د ط ، 1979.
24. محمد طالب الدويك ،الأغنية الشعبية في قطر، إدارة الثقافة و الفنون ،قطر ، ط 2، 1990 ، مجلد 01 ، ج 1 ، ج 2.
25. أحمد مرسى ، الأدب الشعبي و ثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، دط، دت.

26. أحمد أبو سعد ،أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، دار العلم للملايين ، ط 2 ، 1982.
27. عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال و أساليب تربيتهم و تعليمهم و تثقيفهم ،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1، 2005.
28. محمد عباس إبراهيم ،التحديث و التغير (دراسة في مكونات القيم الثقافية)،دار المعرفة الجامعية، دط ،2008.
29. جابر عصفور ، الخيال ، الأسلوب ، الحداثة ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 2 ، 2009.
30. التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1990.
31. عبد الله الركيبي ،الشعر الديني الجزائري الحديث ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط 1، 1981.
32. أحمد حمدي ، ديوان الشعر الشعبي (شعر الثورة المسلحة) ،منشورات المتحف الوطني، الجزائر، د،ط، دت.
33. محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية (1925-1975) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان، ط 2.
34. تمام حسن، اللغة العربية مبناها ومعناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،المغرب ، 1994.
35. محمد صابر عييد ،التشكيل الشعري (الصفة والرؤيا) ،دار بننوي للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م.
36. إبراهيم جابر علي ، المعجم الشعري بحث في الحقول الدلالية، أمواج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ،2015.

37. سراج الدّين محمد، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ط، د.ت.
38. أيمن محمد زكي العشماوي، قصيدة المديح عند النبي و تطوّر ها الفنّي، دار البهجة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983.
39. عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1954.
40. زكي مبارك، التّصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة، بيروت، ط 1، ج 1، 1938.
41. علي أحمد سعيد أدونيس، مقدمة الشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 3، 1979.
42. نعيمة سعدية، التحليل السيميائي والخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2016.
43. محمد الوفائي، الإعلان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
44. فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، دار الشروق، ط 1، 1992.
45. سعيد بنكراد، سيميائيات الصور الاشهارية الإشهار والتمثيلات الثقافية، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006.
46. مريم الشنقيطي، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، دار الفیصل الثقافية، الرياض، 2018.
47. سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2001.
48. كريم شلال الخفاجي، سيميائية الألوان في القرآن، دار المتقين، بيروت، لبنان، ط 2012، 1.

49. عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناس) منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
50. بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001.
51. قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط، 2005.
52. عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 3، 1977.
53. عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، دار النمر، دمشق سوريا، ط 1، 2002.
54. عزام أبو الحمام المطور، الفولكلور (التراث الشعبي؛ الموضوعات؛ الأساليب؛ المناهج)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
55. يحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000 .
56. محمد الجوهري علم الفلكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ج1، ط1.
57. أمينة فزاري، مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، دط، 2010 .
58. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، د ط ، دت.

59. سعد سلمان المشهداني، منهجية البحث العلمي، دار أسامة، عمان الأردن، ط1، 2019.
60. جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، د ت.
61. محمد عبد العال النعيمي وآخرون، طرق ومناهج البحث العلمي، الوراق للنشر، الأردن، د ط، 2015.
62. محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء اليمن، ط3، 2019.
63. سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط3، 2012.
- ثالثا : الكتب المترجمة :
1. يوري سوكولوف، الفولكلور قضاياه وتاريخه، تر: حلمي الشعراوي وعبد الحميد حواس، مكتبة الدراسات الشعبية، ط2، 2000.
2. ريتشارد درسون، نظريات الفولكلور المعاصرة، تر حسن الشامي ومحمد الجوهري، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1428هـ، 2007.
3. جيمس كورساو، كارين ناوسيج لوكس، الفولكلور في الأرشفة ترجمة: سامية دياب، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، ط1، 2008.
4. موريس أنجوس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، ط2، 2006، 2004.
5. جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، 2000.

- رابعا: المعاجم و القواميس:

1. ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1997، ج 3
2. ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط 3، 1999، باب نون، مادة نهج، ج 14
3. عبد المنعم الحنفي ، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي ط 3، القاهرة ، 2000.

- خامسا: المجلات:

1. رشدي صالح، المأثورات الشعبية والعالم المعاصر، مجلة عالم الفكر، مطبعة حكومة الكتب ع 1، م 3، أبريل، ماي، جوان، 1972.
2. عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ،الدار القومية للطباعة و النشر، ع 178.
3. محمد السيد الدسوقي، الصور الاشهارية، دراسة بلاغة الخطاب البصري للجسد الأنثوي في الشعر العربي القديم، دار المنظومة، مجلة الدراسات الشرقية، مصر، ع 45، 2010.
4. ليلي شعبان شيخ محمد رضوان، سهام سلامة عباس، المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي، حولية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات، الإسكندرية، مج 1، ع 33.
5. عمر المزوغي ، عروس الريف (دراسة لبعض مظاهر المأثورات الشعبية)، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع و الإعلان، طرابلس، ط 1 ، ع 2 ، فبراير 1983 .

- سادسا: الرسائل الجامعية :

1. عبير داوود المراغي، تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط لدراسات العليا، 2013.

- سابعا: المحاضرات:

1. محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، الحجار، عنابة، الجزائر، ج 1، 2013.



ملخص الدراسة



- الملخص باللغة العربية :

أولت الأبحاث الأكاديمية الجزائرية عنايتها الفائقة بدراسة الموروثات الشعبية فكانت محطّ اهتمام العديد من الدّارسين الذين شغلهم الإلمام بها وإحاطتها بالبحث الجاد والدراسة المستفيضة، بعد أن لمسوا فيها مكامن الجودة في التركيب والدّقة في الصياغة ومجاراتها لتقلبات الواقع بسكناته وحركاته، المسكوبة في قوالب إبداعية تنم على حنكة المخيال الشعبي وبراعة أسلوبه وحسن سبكه.

إن فكرة التنوع في معالجة مواضيع الأدب الشعبي في الدراسات الأكاديمية كانت نقطة بداية انطلاقنا في رحلة بحثنا؛ حيث انتابنا الفضول الجامح لوجوب البحث عنها، وتطلب الأمر منا أن نقف عند أعتاب بعض من نماذج الأبحاث الأكاديمية التي أقيمت على شرف الدّراسات الشعبية غصنا في لججها لنعرف كيف تمت معالجتها بالدراسة بين دفات هذه البحوث، وكيف يمكن للباحث الأكاديمي إذا قهيأت له الظروف العلمية المناسبة أن يدرس هذه المواضيع وفق خطة ومنهجية تضبط مساره وتكشف أغواره، من خلال التنويع في دراسة مختلف موضوعات الأدب الشعبي وابتاع مناهج تكشف عن مقاصدها وتضبط مقاس موضوعاتها، ما دفعنا إلى طرح عديد التساؤلات التي تصب في هذا السياق هي :

كيف استطاع الدّارس الأكاديمي الجزائري استحضار مواضيع الأدب الشعبي على تنوعها واختلافها وتشعب مضامينها بين طيات بحثه؟ ثم كيف احتواها ولملم شتاتها وكيف استنطقها بالبحث والدراسة؟

للإجابة عن هذه الإشكالية قمنا بدراسة بعض النماذج من الدّراسات الشعبية الأكاديمية الجزائرية لعدد من الباحثين الأكاديميين الجزائريين؛ حيث وقفنا مطولا عند

أهم المواضيع التي درسوها والمناهج التي اتبعونا في تشكيل لبنات بحثهم، وفق آليات منهج نقد النقد مع الاستعانة بالمنهج الوصفي والتحليل والتفسير.

خرجنا من هذه الدراسة محملين بزيادة كبيرة من النتائج نجملها في مجموعة نقاط هي:

- المواضيع الأكاديمية الشعبية التي قمنا بدراستها في بحثنا تحوي بين دفتها قواعد وقوانين وقيم وعادات وتقاليد وطقوس وأشعار وأغاني دأبت الفئات الشعبية على ممارستها وجعلتها من الأمور المقدسة التي يصعب المساس بها أو الإخلال بمبادئها لأنها رمز للأصالة والمعاصرة، ما جعلها محط أنظار الباحثين الأكاديميين الجزائريين لاستنطاقها بالدراسة والتحليل.
- اعتمد هؤلاء الباحثون مجموعة من المناهج لدراسة هذه المواضيع لتكون مناسبة لها ومواكبة لتطلعات وآمال الإنسان الشعبي الذي عبّرت عن مقاصده وفي ذات السياق ضبطت مسار هذه الموضوعات وأفصحت عن مدى خبرة .
- إن التنوع في المواضيع والاختلاف في المناهج مرده إلى طبيعة الموضوع المدروس ونوعيته وكذا إلى ما يريد الباحث استنطاقه من خلال الدراسة حسب خصوصية كل بحث.

Abstract

Algerian academic research paid utmost attention to the study of popular heritage. It was the focus of many scholars who addressed it through serious research and extensive study after having touched the places of quality in the composition and accuracy in the formulation, as well as keeping up with the volatility of reality with its movements, spilled into creative molds of popular imagination and ingenuity. The idea of diversity in addressing subjects of popular literature in academic studies was the starting point of our research journey, where we got the unbridled curiosity to investigate it. It required us to stand at the threshold of some of the academic research models set up in the honor of popular studies to know how they have been addressed by studying these research, and how, if the academic researcher is prepared for the appropriate scientific conditions, can study these subjects according to a plan and methodology that regulates his course and reveals his roads. The latter is done by diversifying the study of various subjects of popular literature and following approaches that reveal their purposes and adjust the size of their subjects. We have raised many questions in this context:

- How did the Algerian academic researcher present the subjects of popular literature, despite the diversity and complexity of their contents, between the folds of his research? And then how did he contain and extrapolate them through research and study?

To answer this problem, we have studied some models of Algerian academic popular studies of several Algerian academic researchers. We stood on the most important subjects they studied and the approaches they followed in forming the building blocks of their research according to the mechanisms of the criticizing criticism approach, using the descriptive approach, analysis, and interpretation.

We came out of this study with considerable results, which we summarize in a set of points:

- The popular academic subjects that we have studied in our research contain rules, laws, values, customs, traditions, rituals, poems, and songs that popular groups have consistently practiced and made them sacred and difficult to prejudice or disturb their principles because they are symbols of authenticity and contemporary, making them the focus of the attention of Algerian academic researchers for study and analysis.
- These researchers adopted a variety of approaches to study these topics and keep up with the aspirations and hopes of those who expressed their purposes. In the same context, they set the course of these subjects and revealed the academic



فهرس الموضوعات



الصفحة	الموضوع
	بسم الله الرحمان الرحيم
	دعاء
	شكر و عرفان
	إهداء
أ.ر	مقدمة
المدخل : الدراسات الشعبية الجزائرية	
10	- توطئة .
11	أولا : بدايات الدراسات الشعبية في الجزائر .
19	ثانيا : أشكال التعبير الشعبي الجزائري .
21	ثالثا : أقسام الأدب الشعبي الجزائري .
30	- خلاصة الفصل
الفصل النظري الأول : الأدب الشعبي والنزاعات القومية السياسية .	
33	- توطئة .
39	أولا : الأدب الشعبي والنزاعات القومية السياسية في أوروبا .
50	ثانيا : مظاهر الاهتمام بالأدب الشعبي
78	ثالثا : التأليف العلمي للأدب الشعبي عند العرب
الفصل الثاني : موضوعات النص الشعري الجزائري في الدراسات الأكاديمية دراسة في نماذج	
82	- توطئة
88	أولا : دراسة في موضوع : الأغنية الشعبية في الجزائر - منطقة الشرق الجزائري نموذجا - للباحث : عبد القادر نطور .
169	ثانيا : دراسة في موضوع : التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي للباحث : عبد اللطيف حني .
206	ثالثا : دراسة في موضوع : توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس ، المغرب) مقارنة سيميائية .

	للباحث جلال خشاب .
251	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث : دراسة لبعض نماذج موضوعات الدراسات الشعبية الأكاديمية الجزائرية .
253	- توطئة
254	- تعريف المنهج
256	- تصنيف المناهج
263	أولا : مناهج بحث : "الأغنية الشعبية في الجزائر -منطقة الشرق الجزائري نموذجاً"- للباحث "عبد القادر نطور" استعان بالمناهج العالمية لل فولكلور :
267	1. المنهج الجغرافي التاريخي
272	2 . المنهج النفسي .
275	3 . المنهج الأنثروبولوجي .
284	4 . المنهج الوظيفي .
290	ثانيا : مناهج دراسة بحث : "التشكيل الفني في ديوان الشيخ عبد القادر بلطيجي" للباحث: "عبد اللطيف حني" .
290	1. المنهج التاريخي في البحث عن حياة الشاعر .
293	2 . المنهج التحليلي الفني للمضامين .
297	3 . الإحصاء .
301	ثالثا : منهج دراسة بحث : "توظيف الموروث الشعبي في الخطاب الإشهاري المرئي المغاربي (الجزائر، تونس ، المغرب)" للباحث : "جلال خشاب"
301	1. المنهج السيميائي
309	- خلاصة الفصل
311	- خاتمة الدراسة

فهرس الموضوعات

318	- قائمة المراجع
328	- الملخص
333	- فهرس الموضوعات

République algérienne démocratique et populaire
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université Chadli Benjedid – El Tarf

Collège des arts et des langues

Département de langue et littérature arabes



Sujet de thèse

**Les études académiques populaires
dans les universités algériennes**

**Études sur le
sujet et la méthode**

Une Recherche Présentée Pour Obtenir Un Doctorat, La Troisième Phase

Spécialisation : Linguistique Appliquée

Section : Études linguistiques

Préparation des étudiants :

Supervision du professeur :

Slami ahlem

Dr Halim Rachid

Comité de discussion

le professeur	Degree	l'Université	degré
DR HANI ABDELLATIF	professor	Université de Chadli Ben Jdid El Tarf	President
DR HALIM RACHI	professor	université de Chadli Ben Jdid El Tarf	Supervisor
MABROUKA HAOULI	lecturer A	Université de Chadli Ben Jdid El Tarf	Member
NAOUEL ATI	lecturer A	Université de Chadli Ben Jdid El Tarf	Member
BOUKAFA SABRINA	lecturer A	Université mouhamed el arabi tbissi -tbisa	Member
BOUKADOUM NAJWA	lecturer A	Université 20 aout 1955-skikda-	Member

ANNÉE UNIVERSITAIRE : 2022/2023